بداية المقاومة المغربية للغزو الفرنسي

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1843م)

المجاهد أبو الشهداء

الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري

1780 م - 1870 م



محمد ابن الطيب البوشيخي

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

2023

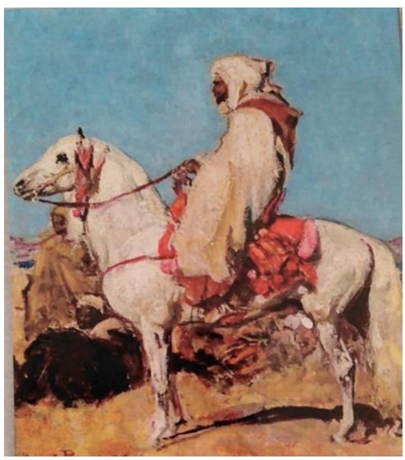
بداية المقاومة المغربية للغزو الفرنسي

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1843م)

المجاهد أبو الشهداء

الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري

1780–1870م



محمد ابن الطيب البوشيخي

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

2023

الكتاب: المجاهد أبو الشهداء الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري
المؤلف: محمد ابن الطيب البوشيخي
الطبعة الثالثة: 2023
رقم الإيداع القانوني: 2023MO1182
الترقيم الدولي 978-9920-41-381-7

بداية المقاومة المغربية للغزو الفرنسي

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1843م)

المجاهد أبو الشهداء

الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري

1780-1870م



محمد ابن الطيب البوشيخي

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

مطبعة أطلال – وجدة

2023

صورة الغلاف:

لوحة للرسام الفرنسي

هنري إميليان روسو(1875-1933)

بعنوان: فارس من أولاد سيدي الشيخ.

Henri Emilien Rousseau (1875-1933)

Cavalier des ouled sidi cheikh

Origine : www.artnet.com

تقديم*

تزايدت الأطماع الأوروبية وتنوعت المخططات الاستعمارية التي استهدفت مغرب القرن التاسع عشر، وتحديدا في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام(1822-1859 م)، ليجد نفسه أمام جملة من التحديات تعود في أصلها إلى اختلال في موازين القوى بين أوروبا صناعية تبحث في كل الاتجاهات عن مجالات حيوية ومواد أولية وأسواق جديدة لترويج منتجاتها وتموين مصانعها، ومغرب مازال يجتر دواليب حكم عتيقة موروثة عن الماضي تميزت تارة بالانفتاح المشوب بالحذر وتارة أخرى بالانغلاق للحد من علاقاته مع الدول الأوروبية خوفا من اطلاعها على مكامن ضعفه وواقع أوضاعه.

ولعل ما ميز هذه الفترة المحددة لموضوع هذا الإصدار، هو تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالبلاد. وقد عبرت المصادر عن هذا التردي بافتعال أزمة العرش بعد وفاة السلطان مولاي سليمان الذي عين ابن أخيه مولاي عبد الرحمان خليفة له على العرش دون أبنائه وإخوته، وهو الاختيار الذي برره السلطان الراحل بحسن أخلاقه ونباهته وشجاعته وحنكته وتشبعه بتعاليم ونهج الدين الإسلامي الحنيف، وهي صفات عَزَّ وجودها في باقي الأمراء.

هكذا ورث السلطان الجديد مغربا يعج بالمعضلات والإضرابات . فمن الناحية السياسية، كانت البلاد من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، غارقة في دوامة العصيان والتمرد كما وصفها المؤرخون. ومن الناحية الاقتصادية كانت لتوالي موجات الجفاف

والمجاعات والأوبئة والجراد تأثيرات سلبية على الأوضاع الاجتماعية في مغرب النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده.

وقد كان لاحتلال الجزائر «الإيالة العثمانية» من طرف الجيش الفرنسي في 5يوليوز 1830 أثر عميق في نفوس المغاربة واغتم له السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام؛ ورغم طمأنة السفير الفرنسي بطنجة للسلطات المغربية على أن الحملة الفرنسية ستكون محدودة في الزمان والمكان، فإن المغرب تابع الأحداث باهتمام بالغ مستشعرا خطر وجود قوة عسكرية غاصبة محتلة على حدوده الشرقية .ولما بدأت المقاومة الجزائرية تنظم نفسها، رأى منسقُها محي الدين بن المصطفى، والد الأمير عبد القادر الجزائري، أنه لابد من الانضواء تحت لواء مولاي عبد الرحمان سلطان المغرب، حتى يكون الجهاد شرعيا، كما توجب ذلك النصوص الشرعية. وهكذا، بايع أهل تلمسان ومن معهم من القبائل المستقرة غربها السلطان مولاي عبد الرحمان، والتحق الأمير مولاي علي بن سليمان بتلمسان، نائبا عن السلطان لتدبير شؤون المنطقة وانطلقت المقاومة بزعامة الأمير عبد القادر مدعومة ماديا ومعنويا وبشريا من السلطان على اعتبار أنهم رعاياه بمقتضى البيعة التي تربطهم به.

وجد المغرب نفسه ـ بهذا الدعم اللامحدود للمقاومة الجزائرية ـ في مواجهة حتمية مع الجيش الفرنسي في معركة إيسلي، التي مني فيها بهزيمة قاسية كشفت عن ضعف قوته العسكرية وترهلها وعتاقتها، مما حدا بالقوة الاستعمارية الغازية والمتربصة على حدوده إلى فرض حدود جديدة عليه، واقتطاع مساحات من أراضيه، وفتح الباب واسعا أمام المزيد من التوسع الفرنسي على حساب المجالات المغربية، وهو ما أوقد نار المقاومة الشعبية التي سيستمر أوارها متقدا ولهيبها مستعرا على مدى 90 سنة، حيث لم يسكت صوت بندقية المقاومة الشعبية إلا سنة 1934 .

بهذا المدخل، نكون قد مهدنا للشخصية التي يتمحور حولها موضوع الكتاب الذي اختار له الباحث الاستاذ محمد بن الطيب

البوشيخي وسم « المجاهد الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري: بداية المقاومة المغربية للغزو الفرنسي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي»، وهي الشخصية التي افتتحت مشوار المقاومة الشعبية المغربية في الثاني من شهر ماي من سنة 1845 ، عندما وقف المغاربة بزعامة الشيخ بن الطيب البوشيخي، وبإذن من السلطان مولاي عبد الرحمان، في وجه الغزو الفرنسي للأراضي المغربية، في التخوم الشرقية.

دعم المؤلف دراسته برسائل السلطانيْن مولاي عبد الرحمان بن هشام وسيدي محمد بن عبد الرحمان، وبعدة وثائق مغربية وفرنسية أخرى، تجمع كلها على أن معاهدة لالة مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا يوم 18 مارس 1845 كانت مجحفة في رسم الحدود بين السعيدية وثنية ساسي، كما أنها عمدت إلى تقسيم قبائل مغربية بين المغرب ومستعمرتها بالجزائر، ثم سلبت أراضي القبائل التي اعترفت هي بمغربيتها.

ومن خلال فصلين اثنين، وهما المكونين لمتن هذا الإصدار، يؤكد الباحث الأستاذ محمد بن الطيب البوشيخي بأن احتلال الأراضي المغربية لم يبدأ- كما هو شائع - سنة 1903 باحتلال فجيج وعين بني مطهر(بركنت)، ولكنه بدأ سنة 1845باحتلال القصور الجنوبية التي كانت في عنق سكانها بيعة السلطان مولاي عبد الرحمان، وكان يسوسهم قوادٌ بظهائر سلطانية، ويقضي بينهم قضاةٌ معينون من السلطان، ويتعاملون بالعملة المغربية.

كما يشير المؤلف إلى أن معاهدة لالة مغنية الموقعة بين الدولتين المغربية والفرنسية، بعد معركة إيسلي، نصت على مغربية أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وقبيلة حميان الجنبة، وقبيلة العمور، لكن التوسع الفرنسي الذي لم يتوقف على مدى أكثر من قرن من الزمن (1845-1960) احتوى وابتلع كل هذه القبائل، واقتطع أراضيها عنوة وألحقها بالجزائر التي كانت أرضا فرنسية حسب القانون الفرنسي.

يقدم المؤلف محمد بن الطيب البوشيخي للقارئ، من خلال دراسته هذه، شخصية محلية من الشرق المغربي، ذاكرا بأنه أول من افتتح المقاومة الشعبية المغربية ضد الغزو الفرنسي يوم ثاني ماي من سنة 1845 في المكان المسمى الشِريعَة في التخوم المغربية إذ ذاك، وظلَّ مدة خمس وعشرين سنة ثابتا على عهده مدافعا عن الأراضي المغربية في حدودها الشرقية، إلى أن توفي سنة 1870 بعد عدة معارك خاضها ضد جيوش الاحتلال الفرنسي في الجنوب الشرقي المغربي .وقد جاء في تقرير فرنسي بعد وفاته ما يلي:‹ توفي هذا الشيخ الكبير، زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بعد أن عاش حياة غير مستقرة، قضى معظم حياته على التراب المغربي، وكان يقف وراء ضروب المكائد التي حيكت ضدنا. شكَّل ملاذاً للمتمردين عَلَّهُم يجدون لديه الدعم والعون، كما كان يدفع بقبائل الجنوب إلى الوقيعة بالقبائل الموالية لنا، وباختصار، كان كله حرص دائم على خلق المتاعب لنا في هذه الناحية من الصحراء [1]›

وقد كان الشيخ بن الطيب يحظى بمكانة خاصة ومميزة لدى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام الذي حث قبائل حميان على الجهاد تحت لوائه وقيادته، ولما تحقق السلطان من انضباطه وإخلاصه ووقوفه عند التعليمات السلطانية، عَيَّنَهُ سنة 1849 في أعلى مناصب الدولة وهو منصب خليفة السلطان على المناطق الشرقية.

وبعد وفاة السلطان مولاي عبد الرحمان، ثَبَّتَهُ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في منصبه رغم اعتراض السلطات الفرنسية عليه، وكان الشيخ بن الطيب يحظى بمكانة خاصة لدى السلطان كما جاء في رسالته إلى وزيره محمد بركاش.

هذا الكتاب الذي يتناول السيرة الجهادية لأب الشهداء الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري، سليل الزاوية الشيخية المنتشر نفوذها في

[1] DPSENOA, De La Martinière et De Lacroix page 884.

مجالات المغرب الشرقي وغرب الجزائر الحالية، إنما يقدم لذاكرة مشتركة مغربية جزائرية، آثر فيها المغاربة المصلحة العربية والإسلامية على المصلحة الذاتية الضيقة، ولم يقايضوا أو يساوموا قوى الاحتلال، بل واجهوها من الجد إلى الحفيد، على الرغم من سقوط عدد كبير من الشهداء واقتطاع للأراضي وحرمان من الأوقاف وبالرغم أيضا من الدسيسة لدى السلطان من قبل الدخلاء الفرنسيين الذين كانوا يتحينون الفرص للانقضاض على المغرب واحتلاله، وهم يدعون بهتانا ابتغاء حسن الجوار، وهي متاعب ومصائب تحملتها قيادات الجهاد إيمانا واحتسابا مدعومة بزخمها القبلي.

فهذه المقاومة المغربية الأولى التي يتحدث عنها هذا المؤلف، بزعامة الشيخ بن الطيب البوشيخي، هي نموذج ساطع لا لبس فيه ولا غبار عليه، للتأكيد على المساهمة المغربية الوازنة في المقاومة بالمناطق المحسوبة اليوم على الغرب الجزائري. فالمجاهد الذي نتحدث عليه ازداد سنة 1780 م بالشلالة الظهرانية، جنوب وهران، وتوفي في 15 يوليوز 1870 م بوزدات جنوب عين بني مطهر بشرق المغرب بعد حياة حافلة بمقاومة مشتركة مع أبناء عمومته، الذين أخضعتهم فرنسا لإدارتها ونفوذها قسرا، من أجل الدفاع عن مجالات كانت تابعة للسلطان المغربي قانونا وتاريخا وواقعاً.

وتتغيأ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير من وراء نشر هذه الدراسة التاريخية البالغة الأهمية تمكين جمهور المهتمين بحقل تاريخ المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من الاطلاع على تطورات فترة ما قبل التدخل الاستعماري بالبلاد ومساهمة القوى المحلية وتحديدا في الأطراف الشرقية من الوطن، والوقوف عند أدوارها الطلائعية الدينية منها والسياسية والاجتماعية.

والمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير إذ تتوخى من خلال طرقها لأبواب الحقل التاريخ المحلي سواء من حيث

المجالات أو الأعلام، عبر نشرها العديد من الإصدارات والمؤلفات النوعية والجيدة ترقى إلى مستوى ذخائر ونفائس الكتب والتآليف والمصنفات؛ لكشف جوانب من التاريخ الوطني التليد وتناوله من زوايا وأركان شتى وتلمس وتقصي فضاءاته وجنباته الفسيحة والتعريف برجالاته، وإذكاء مدارك ومعارف تاريخية جديرة بتدوينها وتوثيقها لإخصاب وإثراء الذاكرة التاريخية الوطنية.

فذاك واحد من دروس التاريخ التي يحملها ويوحي بها هذا الاصدار الذي حرصت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير على نشره وإخراجه خدمة لرسالتها ووفاء وبرورًا بالتزاماتها مع التاريخ الذي هو خير شاهد.

ويقيننا أن هذا النوع من الحفريات التاريخية من شأنه أن ينفض الغبار عن الحقائق التي لم تنل حقها من الدرس والتحليل وحان الوقت للنبش فيها بموضوعية وتبصر لفك خيوطها وفهم ألغازها وعتماتها. إنها الدروس والعبر التي يخلص إليها العمل البحثي الذي انغمر فيه مشكورا الباحث الأستاذ محمد بن الطيب البوشيخي عن شخصية تاريخية عَبَّدَت الطريق للمقاومة الشعبية المغربية الضاربة جذورها في القدم عندما استجاب المغاربة لنداء حَيَّ على الفلاح، في مواجهة التغلغل الاستعماري الزاحف على وطنهم من التخوم الشرقية للجزائر الجارة.

أفلا يعلم من يتقاسمون ذاكرة مشتركة أن من واجبهم الوفاء لها والبرور بها لأنهم بذلك سيحفظون واجب الذاكرة الذي هو من أوجب واجبات الإخاء وحسن الجوار.

المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير
الدكتور مصطفى الكتيري

* تقديم بقلم السيد المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، قدم به الطبعة الثانية، للكتاب الذي نشر بعناية وإشراف المندوبية السامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن سهولة الوصول إلى المعلومة التي أتاحتها الشبكة العنكبوتية، ووفرة الكتب الرقمية، وظهور المصادر المختلفة، والوثائق المصورة، التي أصبحت في متناول الجميع، باحثين ومهتمين على السواء، جعلت مراجعة بعض الأحداث التاريخية، وإعادة النظر فيها وتقويم الإستنتاجات المستخلصة قبلُ عنها، حتمية تاريخية، وواجبا لا بد من القيام به.

ومن تلك الفترات التاريخية التي تقع مسؤولية إعادة النظر فيها على عاتق المؤرخ المغربي، فترة المقاومة المغربية للغزو الفرنسي بمنطقة الجنوب الشرقي المغربي، التي انطلقت ابتداء من سنة 1843 وتواصلت إلى سنة 1903.

اتسمت معالجة هذه الفترة التاريخية في جل الكتابات المتقدمة بالضبابية، ومجانبة الواقع، وتسربت- مع الأسف- هذه التصورات الخاطئة، والإستنتاجات المترتبة عنها، إلى عدة مراجع معتمدة في تاريخ المغرب، لتجد مستقرها الأخير في الكتاب المدرسي.

لا أدعي أنني أؤرخ لتلك الفترة التي مرت بها منطقة الجنوب الشرقي المغربي، ولكني جمعت معطيات ووثائق وصورا وأحداثا موثقة لأضعها بين أيدي ذوي الاختصاص والإهتمام، قصد الإسهام في تمكينهم من مراجعة وتصحيح ما يمكن تصحيحه من تاريخ المنطقة، ومواقف سكانها، وإعادة

الاعتبار لهم، ولتضحياتهم، وبناء أحكام تاريخية موضوعية ومنصفة تعكس الحقيقة والواقع، بعد الاستقصاء والتدقيق.

انطلقت مقاومة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الشرقي المغربي بزعامة الشيخ بن الطيب ممثل السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام آنذاك في المنطقة، وبإذن السلطان ودعم منه وَاجَهَ زعيم أولاد سيدي الشيخ الغزو الفرنسي في أول معركة يوم 1845/5/2 بالشْريعة في التخوم المغربية يومئذ، وواصل مقاومته إلى حين وفاته في 1870/7/15. ثم حمل لواء هذه المقاومة أبناء عمومته، ولم تتوقف إلا سنة 1903، بعد أن قطعت من عمرها 58 سنة، لتكون بذلك أطول مقاومة في شمال إفريقيا.

إلا أن تاريخ هذه المقاومة تجاذبته عدة أطراف متعارضة ومتناقضة، بحكم موقعها الحدودي بين بلدين، وكاد أن يتفرق دمها في القبائل، لولا وجود الكتابات الكثيرة التي سجلت أحداثها، والوثائق التي ظهرت ولا تزال تظهر لتزيد صورتها جلاء، واستقراء واقعها وضوحا، والتي قد يجد فيها ذوو الاختصاص والإهتمام ما يبرر المراجعة والتصحيح، والتقويم والتمحيص.

والله المستعان على ذلك.

وجدة في 2022/12/25

أوضاع الجنوب الشرقي المغربي قبل بداية مقاومة الشيخ بن الطيب

سقوط الأندلس

لا بد من الرجوع إلى الوراء لنرى الأحداث التي سبقت الغزو الأوروبي لشمال إفريقيا، ومهدت له في بداية منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، والمحطة الأنسب التي نفضِّل الانطلاق منها هي سقوط الأندلس، لأن سقوطها واستردادها من طرف الإسبان، فتح الباب أمام أطماع أوروبا المسيحية، للعمل على تحقيق حلم استرجاع شمال إفريقيا الذي كان يوما ما رومانيا مسيحيا.

إنها محطة مفصلية في تاريخ المنطقة بل في التاريخ العربي الإسلامي، بل الإنساني، إنها السقوط المدوي الذي هز أركان الأرض، فبعد ثمانية قرون من الوجود الإسلامي المميز في الأندلس، وبعد التعايش الراقي الذي جمع بين المسلمين والمسيحيين واليهود، فساهموا مجتمعين في بناء صرح حضاري قل نظيره، وبتسامح عز مثيله، بعد كل شيء هوى كل شيء، واقتلع سيلٌ هائل هائج تلك الدوحة الوارفة الظلال، الطيبة الثمار من جذورها، وجرفها إلى هاوية الإحباط، ورماها في زاوية النسيان، وأصبحت حصيدا كأن لم تغن بالأمس.

ويرحم الله لسان الدين ابن الخطيب[2] الشاعر الوزير، والمؤرخ الأديب الذي عايش بوادر وإرهاصات سقوط الأندلس، وكأنه يستجلي الغيب في مطلع موشحه الشهير[3] فيصف الفردوس الذي سيُفقَد بعد مائة وعشرين سنة من وفاة الشاعر ويصف حسرته عليه:

---

[2] لسان الدين ابن الخطيب: ذو الوزارتيْن (السيف والقلم) هو محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور باسم لسان الدين ابن الخطيب، ولد بلوشة (الأندلس) سنة 713هـ وتوفي مقتولا بفاس سنة 776هـ. مؤلف موسوعي مكثار، من فحول الشعراء، يصل عدد مؤلفاته المتنوعة المواضيع إلى ستين كتابا بين مطبوع ومخطوط ومفقود.

[3] موشح "جادك الغيث": نال شهرة كبيرة، ونسج على منواله شعراء كُثر، وهو موشحٌ عارض به لسانُ الدين ابن الخطيب موشحَ: "هل درى ظبي الحمى أن قد حمى"، للشاعر الإشبيلي أبي إسحاق إبراهيم ابن سهل، المسلم ذي الأصول اليهودية، ولد ابن سهل هذا بإشبيلية سنة 605 هـ وتوفي غريقا في البحر في طريقه إلى تونس سنة 649هـ. إلا أن ابن الخطيب تفوق في هذا الموشح على ابن سهل رغم أن هذا الأخير من رواد الموشحات، وغطى موشحُ ابن الخطيب على موشح ابن سهل في الشهرة.

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمـــــان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلمـــــا
في الكـرى أو خلسة المختلس
*

استسلم أبو عبد الله محمد الثاني عشر بن علي بن نصر الملقب بالغالب بالله[4] ـ آخر ملوك الأندلس - للملك الإسباني فرديناندو[5] والملكة إيزابيلا[6] في 1492/1/2م/ الفاتح من ربيع الأول سنة897هـ، وهو تاريخ دخول المَلِكيْن إلى غرناطة وتسلمهما مفاتيح قصر الحمراء، في حفل انتصارهما، وانتهى الحكم الإسلامي بالأندلس،[7] وغادر "الزُّغْبِي"[8] الملك المطرود محمد الثاني عشر غرناطة عاصمة ملكه صحبة ستة آلاف فرد من أهله وأتباعه، والتحق بالمغرب حيث استقر بفاس إلى أن توفي بها سنة 1533م.

لا يمكن تصور ألم الهزيمة وأساها في قلوب المسلمين شرقا وغربا، وكان مسلمو شمال إفريقيا أشد كمداً عند استقبالهم لآلاف الفارين بعقيدتهم، وتتبعوا بحسرة شديدة عملية تنصير الباقين، وتابعوا عن كثب جرائم محاكم التفتيش التي لاحقت المسلمين في

---

[4] هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سعد من بني نصر (بني الأحمر) من سلالة الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه سيد الخزرج. ولد أبو عبد الله سنة 1460م بقصر الحمراء بغرناطة عاش أحداثا متقلبة. بعد استسلامه وتسليمه لمفاتح غرناطة للملكيْن الإسبانييْن المنتصريْن عليه بقي في ضواحي غرناطة، وفي سنة 1493 رحل الى المغرب واستقر بفاس وبها توفي سنة1533م.

[5] الملك فرناندو الثاني: المعروف بالكاتوليكي، ملك أراغون ولد سنة 1452م بصوص وتوفي سنة 1516م بمادريغاليخو ودفن بكنيسة قرطبة، تزوج إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وبذلك وحَّدا مملكتيهما، اتحدا على حرب المسلمين لاسترجاع الأندلس إسبانية مسيحية كاتولكية.

[6] الملكة إيزابيلا: ولدت عام 1451م تزوجت فرناندو المذكور أعلاه سنة 1469م. وصارا يحملان اسم الملكيْن الكاتوليكييْن. وكانت متعصبة دينيا أكثر من زوجها.

[7] أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس للأستاذ محمد عبد الله عنان. مجلة الرسالة عدد 31.

[8] الزغبي: كلمة لا زالت متداولة في اللهجة المغاربية وتعني الفاشل والمشؤوم والبائس (وهي حسب بعض الأقوال نسبة إلى قبيلة زغبة) وقد أطلقها أهل الأندلس على آخر ملوكهم أبي عبد الله محمد الثاني بعد الكارثة التي آل إليها أمره وأمر غرناطة وأمر الأندلس كلها.

أدق آثار معتقداتهم، وجعلت من بعض المسيحيين عيونا على جيرانهم الموريسكيين[9]، يراقبونهم ويحصون عليهم مدى صدق اعتناقهم للنصرانية، وكل من شُمَّت فيه رائحة تمسكه بإسلامه، أو تأكدت ممارسته سرا لمعتقده، أو ضبطت لديه نسخة مصحف، حُكِمَ عليه بأنواع العقاب التي قد تصل إلى الحرق في الكنيسة أو في الساحات العمومية أمام الملأ من الناس.

تتالت المآسي إلى أن تم سنة 1017هـ/1609م اتخاذ القرار النهائي بطرد الباقين من الموريسكيين في أبشع تهجير قسري، وتطهير عرقي، وعقاب عنصري عرفه العصر الحديث، بعدما يئست الكنيسة من تنصيرهم، وأعلنت فشلها أمام حصانة المسلم، الذي لا يثنيه عن عقيدته ترغيب أو ترهيب أو تعذيب.

أقرَّ الملك فليب الثالث بفشله قائلا:[10]

" إنكم على علم بمحاولاتي مدة سنين طويلة لتنصير موريسكيي هذه المملكة بلنسية وكذلك قشتالة... وبإصداري أوامر العفو منة مني عليهم... وبالنتائج الهزيلة المحصل عليها، إذ من الواضح أنه لم يتنصر أحد بل على العكس لم يزدهم إلا إصرارا"[11].

واعترف الملك والكنيسة - في النهاية - بانتصار الإيمان على الإرهاب.

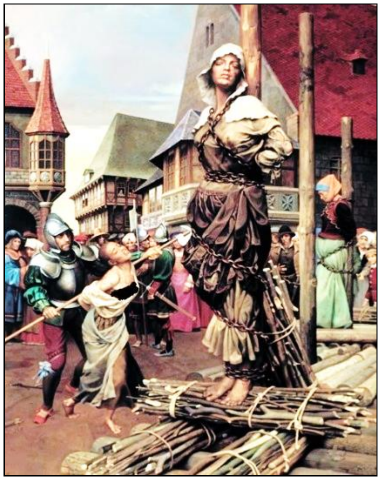
اختارت السلطة الإسبانية آخر أوراقها وهي طرد الموريسكيين من الأندلس، وأنهت تاريخها وتاريخ الحضارة الأندلسية بأبشع صورة.

---

[9] الموريسكيون: هم المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط الحكم الإسلامي، وأُجْبِروا على التنصر ليُسمح لهم بالبقاء بها، أو الخروج منها إذا هم أصروا على إسلامهم، فمنهم من أظهر التنصر تقية للبقاء بأرض كان يعتبرها أرضه، ورث العيش فيها أبا عن جد، ولكن حين اكتشف حالهم أجبروا سنة 1609م على مغادرة الأندلس نحو شمال إفريقيا وتركيا وبعض بلدان أوروبا.

[10] الملك فيليب الثالث: ازداد سنة 1578م بمدريد وتوفي بها سنة 1621م تولى الملك بعد أبيه فليب الثاني. من ذرية الملكيْن الكاتولكييْن فرناندو وإيزابيلا.

[11] جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492م-1610م ص 67.



مصير الموريسكيين أحفاد الأندلسيين في إسبانيا بعد سقوط مملكتهم الإسلامية في حال ارتكابهم جريمة الصلاة أو الصيام، أو قراءة القرآن أو الحديث باللغة العربية أو رفض أكل الخنزير وشرب الخمر.
(الصورة والنص من موقع: Andalushistory.com)

يختلف المؤرخون لتاريخ الأندلس حول عدد سكانها، ومن المؤكد لديهم أن سكان الأندلس في عهد الناصر بلغ خمسة عشر مليونا من المسلمين[12] من كل الأعراق، عربا وأمازيغ وإسبانا، وذوي الأصول اليهودية والمسيحية.

" ...وتقدر إحصائية تقريبية لسكان إسبانيا في تلك العصور بثمانية ملايين نسمة، وإذا حملنا ما يقوله نافاريتي وهو من كبار مؤرخي إسبانيا على حقيقيته بأن عدد من نفي من إسبانيا أثناء تلك العصور هو ألفان من الألوف اليهود وثلاثة ملايين من المسلمين أو من متنصريهم..."[13]

"... إن الجغرافية التاريخية لسكان الأندلس تؤكد على وجود أكثر من مليون نسمة قبيل السقوط يتوزعون في كل التراب الأندلسي، وأن قوافل الهجرة الأندلسية بدأت قبيل سقوط غرناطة (1492م)

---

[12] عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج 4 ص 137.
[13] محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي، خروج العرب من الأندلس، ص 7.

واستمرت حثيثة طوال القرن السادس عشر، لتُختم بإعلان الطرد سنة 1017هـ/1609م.

مع هذا فإن موضوع عدد سكان الأندلس وأعداد المهجَّرين وتواريخ هجراتهم التقريبية وتوجهات أصحابها في الفضاء الجغرافي العربي- الإسلامي مازال موضوعا يكتنفه الغموض، ويمكننا على ضوء ذلك أن نصف مليون نسمة أجبروا على ترك وطنهم الأندلس ما بين 1485م و 1615م ، وأن نفس هذا العدد وقع دمجه تماما في المجتمع الإسباني، بعد أن فرض عليه التعميد القسري والتخلي عن جميع مقوماته"[14].

إن قوة هذه الصدمة تركت في الذاكرة الشعبية العربية/الإسلامية شرخا كبيرا لا يمكن ترميمه، وجرحا عميقا يصعب اندماله، فقد كانت الألوف المؤلفة من المسلمين واليهود تقطع البحر الأبيض المتوسط فرارا بدينها، منهم من يغرق لأسباب طبيعية، ومنهم من يُرمى به قصدا في البحر للتخلص منه، ومنهم من يصل بعد لأي، وقد ضاع منه كل شيء.

"...إن تفاصيل عمليات الطرد الجماعي سنة 1609م تشكل هي الأخرى حلقة جديدة ومكملة لمسلسل الإقصاء الديني والاجتماعي والثقافي والحضاري والاقتصادي الذي مارسته السلطة الإسبانية يومئذ بكل عنجهية وقسوة تجاه الشعب الموريسكي الأعزل، حيث هُجِّر 275.000 نسمة وفقا لإحصاء المؤرخ الفرنسي هنري لابيير[15](Henri Lapeyre) الذي اعتمد فيه على دفاتر الهجرة الإسبانية التي كان يسجلها القائمون على ذلك.

---

[14]عبد الجليل التميمي، تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، ص 46.

(عبد الجليل التميمي: مؤسس لجنة الدراسات العثمانية والموريسكية، هو من أطلق حركة البحث في التراث الموريسكي الذي – بفضله - أصبح اليوم علما قائما بذاته، واستطاع أن يعيد إلى الواجهة مأساة الموريسكيين التي كادت أن تمحى من الذاكرة الإنسانية.)

[15] هانري لابيير(Henri Lapeyre) مؤرخ فرنسي ولد ببايون جنوب فرنسا سنة 1910 وتوفي سنة 1984م اختص بالتاريخ الإسباني الحديث.عمل أستاذا للتاريخ بجامعة ڤرونوبل. له كتاب "جغرافية إسبانيا الموريسكية".Gèographie de l'Espagne Morisque .

لقد تم التهجيرالقسري في ظروف يستحيل على الباحثين اليوم التعبير عنها بأمانة ودقة، لِمَا حفَّ بها من فظاعة وظلم صارخ ومتعمد، حتى أن الموريسكي منع من حمل ثروته وماله وبيع أملاكه ولو بأبخس الأثمان. بل إن الملك فيليب الثالث حرَّم على الإسبان شراء دورهم وأراضيهم وأملاكهم من قبل الإسبان وعوقب من خالف هذه القرارات الملكية !"[16].



صورة التهجير القسري الذي تعرض له الموريسكيون
(من موقع: Andalushistory.com)

تمزق نسيج المجتمع الأندلسي، وتشتت شمل العائلات، وتدفقت السيول البشرية الموريسكية المسلمة واليهودية على الشمال المغاربي، فمنهم من اجتازوا جبال البرانس للمرور عبر فرنسا إلى المناطق الأوروبية التي كانت تابعة للحكم العثماني، ومنهم من غيروا أسماءهم وتوزعتهم بلدان أوروبا، فذابوا في نسيجها المجتمعي، كما أظهرت بعض الأبحاث الحديثة آثار بقاياهم بأمريكا اللاتينية في المستعمرات الإسبانية والبرتغالية السابقة [17].

---

[16] عبد الجليل التميمي (م- س).ص 50.

[17] اتضح خلال تسعينات القرن الماضي، بفضل بحوث الأمريكي(Brent Kennedy) برينت كنيدي أن في أمريكا الوسطى، والجنوبية، وفي جنوب شرق الولايات المتحدة خليطا من الهنود الحمر ومجموعات أندلسية / موريسكية.. وقد بقي هؤلاء يمارسون طقوسا وتقاليد إسلامية موروثة عن الوطن الأندلسي المفقود منطوين على أنفسهم في جبال الآلاباش.. (andalushistory.com).

كم من الأقلام تناولت ولا تزال تتناول هذه المأساة، ولكنها لم توفها حقها بعد، لأن هول المصيبة أكبر من الكلمات، وأشجانها عصية على اللغات، لا تعبر عنها إلا آهات العجز، أو بلاغة الصمت، ولأنها قمة ما وصل إليه الحقد والعداء لكل ما هو إسلامي من طرف الكنيسة[18]، هذه المؤسسة المسيحية التي كان الإسلام يحترمها عندما كانت الغلبة له، ويُجِلُّ قساوستَها وأتباعها ، حتى إذا تحكمت في مصير المسلمين، كشرت عن أنيابها المسمومة، وكشفت عن عنصريتها البغيضة، وعاملتهم بعكس ما كانوا يعاملونها به بالأمس القريب، وبذلك سقط قناعها، وافتضح دين المحبة الذي تدعو إليه، وغدا لكل ذي عينين سرابا تخدع به السذج والغافلين، ورغم ذلك، وحتى لا ندخل في التعميم الذميم، لا ننكر وجود قسيسين ورهبان ورعايا إسبانيين أنكروا تلك الجهالة الجهلاء، ولكن ضاع صوتهم في صراخ الجلادين، وبطش شرطة محاكم التفتيش وتعسف قضاتها، بل منهم من لحقهم الأذى، وصيرهم اعتراضُهم من عداد الخونة في نظر حكامهم.

بهذه العقلية الحاقدة نفَّذ الإسبان اكتساحهم المروع للأندلس، وبتلك العقلية سيتخطى الأوروبيون البحر الأبيض المتوسط إلى ضفته الجنوبية حيث الشمال الأفريقي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، بإصرار كبير على اجتثاث الإسلام ونشر المسيحية[19]، مدفوعين ومعززين بالقوة الهائلة التي حققتها نهضتهم العلمية والفكرية والصناعية والعسكرية.

" ومما يؤكد ذلك، الوصية المشهورة التي أملتها الملكة الإسبانية إزابيلا الكاتوليكية يوم 3 جمادى الأولى 910هـ/12 أكتوبر 1504م وقد جاء فيها:

---

[18] إن تنصل ملوك إسبانيا والبرتغال من التزاماتهم تجاه المسلمين، وتحللهم مما تعهدوا به من احترام للدين الإسلامي ــ بعد بسط نفوذهم على الأندلس ــ كان بأمر الباباوات الذين تعاقبوا على رئاسة الفاتكان، والذين أفتوهم بإنهم في حل من قَسَمِهم على الوفاء بتلك العهود، وبأن البابا يتحمل عنهم وزر نقضها. انظر: محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي، خروج العرب من الأندلس، ص 22-26.

[19] Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, tome I, pp.118-121.

وصيتي إلى الأميرة ابنتي وزوجها الأمير، وإلى من يأتي بعدهما أن يعملوا على متابعة الجهاد المقدس ضد الكفار بأرض إفريقيا (المغرب) ونشر ديننا الحنيف بين سكانها...وجميع الملوك الذين تعاقبوا على عرش إسبانيا اعتبروا الوصية أمانة في عنقهم يجب عليهم تنفيذها، بدليل أنه إلى عهد قريب كان رئيس الدولة الإسبانية الجنرال فرانكو ينادي هو الآخر بوجوب تنفيذ تلك الوصية إلى آخر يوم من حياته."[20]

لم تُخْفِ فرنسا أن تصرح عند محاصرتها لمدينة الجزائر سنة 1830 أنها تنوب عن بلدان الجامعة الأوربية في غزو وتدمير مركز عقيدة الجهاد بالمغرب.[21]

كان أبو الربيع سليمان بن أبي سماحة البكري من بين الذين بلغوا الشاطئ المغربي، قادمين من الأندلس في جملة المهاجرين الذين أحسوا باقتراب الإعصار، فاستبقوا الكارثة، فكان قدومه قبل سقوط غرناطة ببضع سنوات وذلك سنة 897 هـ /1485م[22]، اخترناه دون غيره لأنه الجد الثامن للشيخ بن الطيب موضوع كتابنا هذا.

سليمان بن أبي سماحة

اختُلِف في تاريخ مولده ووفاته وأطوار حياته لندرة المصادر الموثوقة، ولم يكن اعتماد من أرخوا له إلا على الرواية الشفوية، أو على بعض الأوراق المخطوطة[23] التي يتبين من تضارب معلوماتها أنها هي كذلك ليست إلا نسيج روايات شفوية.

---

[20] محمد ابن عزوز حكيم، معلمة المغرب، الجزء الثاني، ص 383.

(الجنرال فرانشيسكو فرانكو، ولد سنة 1892، وتوفي سنة 1975، قائد عسكري، تولى رئاسة إسبانيا بين 1936-1975 وصل إلى السلطة بعد الحرب الأهلية التي عاشتها إسبانيا بين 1936-1939.)

[21] أحمد العمري (م – س) ص.439.

[22] عبد الله طواهرية، تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان، ص7-35.

[23] كانت نسخة من هذه الأوراق في ملكية المرحوم الحاج عبد الكريم بن الطيب البوشيخي برلماني سابق (توفي سنة2003) بعين بني مطهر. وقد اطلعت عليها مرارا عنده.

ولد سليمان بن أبي سماحة حسب رواية سنة 865 هـ / 1460م وحسب أخرى سنة 866 هـ/1461م بقصر أرْبَا[24]، درس على يد والده ثم انتقل لإتمام دراسته إلى فجيج فتلمسان وفاس، ثم التحق بالأندلس، فنزل بمالقة بادئ أمره وشارك في الجهاد بها، وبعد سقوطها التحق بغرناطة وقضى بها ست سنوات موجها همته للأخذ عن علمائها.

يَعُدُّ له من كتبوا عنه سبعةَ شيوخ[25]، وهم كالتالي: ابن عرضون والمقري والسبكي والصقلي وسعيد ابن الهندي وابن فارس والمواق، ولكن عند تمحيص تواريخ أعمارهم وجدنا أن جلهم يستحيل لقاؤه بابن أبي سماحة لفارق الزمن الفاصل بينه وبينهم، ولم يُرجَّح اتصاله إلا بواحد منهم هو الشيخ المواق:

1- إبن عرضون:

الشيخ أحمد بن الحسن بن يوسف الزجلي الشهير بابن عرضون ولد سنة948هـ وتوفي سنة 992هـ صاحب كتاب " حدائق الأنوار" و"مقنع المحتاج" و"اللائق لمعلم الوثائق"[26]. ازداد بعد وفاة سليمان ابن أبي سماحة بسنتين. وحتى لا نهضم الرواية الشفوية حقَّها، فقد يكون ابن عرضون المقصود هو والد أحمد ابن عرضون، أي الحسن ابن عرضون الذي تنعته بعض التراجم - في معرض حديثها عن ولديْه أحمد ومحمد- بالعالم المتمكن الذي ساهم في الحركة العلمية تدريسا وإفتاء وتأليفا وتوجيها وتربية. ولا شك أنه كان معاصرا لسليمان بن أبي سماحة، إلا أننا لم نعثر على أثر نثبت به اجتماعهما.

---

24 أرْبَا أو ارْبَاوَات قصر/ قرية تقع على بعد 20 كلم شمال الأبيض سيدي الشيخ، عبارة عن قصر قديم كانت له أهمية زمن خوارج تيهرت (تيارت) استقر فيه معمر أبو العالية الجد الأعلى لأولاد سيدي الشيخ، وهو الذي حوَّل خوارج المنطقة إلى المذهب السني. وفي 1515م أسس به محمد بن الحسين المعروف بسيدي أبي دخيل القادري زاويته وبها توفي سنة 1565م وضريحه بها مشهور إلى جانب قبر أمه لالة خضرة، كما شيَّدت له ذريتُه بالعين الصفراء قبة ثانية لإحياء ذكراه.

25 يذكر له أبو بكر حمزة من الشيوخ: المواق، ابن عرضون، السبكي، ابن فارس.
ويذكر له عبد الله طواهرية: الصقلي، المقري، ابن الهندي، أحمد ابن عرضون، السبكي.

26- محمد المغراوي، معلمة المغرب، (م-س)، الجزء 18 ص 6040/ ومجلة دعوة الحق عدد 182.

- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الخامس، ص 197.

2-المَقَّرِي:

عائلة المقري عائلة تلمسانية برز فيها ثلاثة أعلام:

أولهم محمد المقري المتوفى سنة750هـ في العصر المريني، وهو الذي حرر بيعة السلطان أبي عنان المريني. وإليه تنتسب العائلة المقرية.

والثاني هو سعيد بن أحمد المقري ولد بتلمسان سنة 928هـ وتوفي بها سنة 1010هـ، تولى خطة الإفتاء وبقي فيها مدة ستين سنة، وتولى الخطابة بالجامع الأعظم بتلمسان مدة خمس وأربعين سنة، وكان له باع طويل في العلوم الشرعية، وهو عم أحمد المقري الآتي ذكره، ولا يمكن أن يكون سعيد المقري شيخا لسليمان بن أبي سماحة لأنه كان يبلغ ثماني عشرة سنة عند وفاة ابن أبي سماحة.

وثالث المقريين هو الشيخ الشهيرأحمد بن محمد المقري صاحب كتاب "نفح الطيب" ولد سنة 986هـ بتلمسان، هاجر إلى فاس سنة 1009هـ وحظي باستقبال الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي، وتوفي سنة 1041هـ بالقاهرة. ولد بعد وفاة ابن أبي سماحة بأربعين سنة.[27]

وإتماما للفائدة فقد وردت عائلة مقَّرية أخرى من تلمسان على المغرب، منها من استقر بوجدة ومنا من اختار الاستقرار بفاس في عصر المولى عبد الرحمان حوالي 1830 وبرز في أبنائها العالم والتاجر والأمين، وقد ترقى أحد حفدتهم وهو محمد بن عبد السلام المقري المزداد سنة 1860 في المناصب المخزنية حتى أصبح منذ 1911 صدرا أعظما لدى السلطان مولاي حفيظ، ومنصب الصدر الأعظم إذاك يوازي منصب الوزير الأول حاليا، مع تباين في الصلاحيات، وبقي المقري في مهامه طيلة عصر الحماية أي ما يقرب من نصف قرن. وتوفي سنة 1957م[28].

---

27 عبد الحميد احساين، معلمة المغرب (م- س) ص7231.

28 المرجع نفسه ص: 7233.

3- السبكي:
الشيخ تقي الدين السبكي شيخ الإسلام، العالم الصوفي الشهير، ولد بنواحي المنوفية بمصرسنة 683هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 756هـ، وابنه الشيخ تاج الدين السبكي الفقيه المؤرخ، قاضي القضاة ولد سنة 727هـ وانتقل إلى دمشق مع أبيه وتوفي بها سنة 771هـ. وكلاهما يستحيل اجتماعه بسليمان بن أبي سماحة لفارق الزمان.
4- الصقلي:
آل الصقلي عائلة شريفة من الفرع الحسيْني، ظهر فيها العلماء والمتصوفون والأدباء والشعراء، قال فيهم ابن خلدون:" ذوو النسب الواضح السليم من الريبة"[29] منهم على سبيل المثال: محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الصقلي قاضي الجماعة بن قاض الجماعة بمراكش كانت له وجاهة عند الموحدين، توفي باشبيلية سنة 608هـ، كما اشتهر منهم بالتصوف الشيخ مولاي أحمد بن محمد الصقلي الحسيني الفاسي الملقب بالقطب ولد بفاس سنة 1112هـ وتوفي بها في 7 رمضان 1177هـ. أخذ عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني وصحب سنين عديدة الفقيهَ الصوفيَّ محمدا الزبادي وحجَّا معاً سنة 1158هـ، ولقيا بمصرالشيخ محمد بن سالم الحفناوي شيخ الطريقة الخلوتية، فأخذاها عنه وأذن لهما في تلقينها. لقيه الشيخ أحمد التجاني أول ما قدم إلى فاس ولم يأخذ عنه، لكنه كان كثير التعظيم له وكان يقول:" لم يُدفن قطبٌ بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي". وعلى يده انتشرت الطريقة الخلوتية بالمغرب[30]، وبناء على ما ذكر فلا يمكن للصقلي معاصرة ابن أبي سماحة لأنه من

---

[29] العباس بن إبراهيم السملالي، 1993، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الجزء 4 ص161.

[30] ممن أخذوا عن الصقلي - حسب الرواية الشفوية – الشريف الطاهر بالماحي دفين ضريحه قرب عوينة ريَّان بعين بني مطهر، حيث توجد بها ذريته، وللطاهر بالماحي المذكور أخٌ هو الشيخ الطيب بالماحي مؤسس زاوية تقفايت التي لا تزال قائمة بناحية جرادة. وقد أخذ الطيب بالماحي عن الشيخ أحمد الحبيب الصديقي الغماري صاحب زاوية الماطي بالريصاني المتوفى سنة 1165هـ، ولا تزال ذرية سيدي الطيب بالماحي تتوارث مشيخة زاوية تقفايت.

أصحاب القرن الثاني عشر، وسليمان بن أبي سماحة من أهل القرن العاشر[31].

5- سعيد بن الهندي:

لم نعثر له على ترجمة شافية إلا ما ورد ذكره عن المسمى: أحمد بن سعيد المعروف بابن الهندي، فقيه حافظ لأخبار أهل الأندلس، بصير بعقد الوثائق، من مؤلفاته: "كتاب في علم الشروط". ولكنه لا يلتقي بابن أبي سماحة، لأنه من أهل القرن الرابع الهجري (ولد سنة 320هـ وتوفي سنة 399هـ)[32].

6- إبن فارس:

لم نجد له ترجمة تشير إلى مكانته العلمية، إلا إشارة وردت – لا ندري هل تتعلق بصاحبنا أم بغيره – تقول: " أن عبد العزيز ابن فارس من الفقهاء الذين فروا من ويلات الأندلس بعد سقوطها سنة 1492م دخل إلى بجاية ثم استقر بالجزائر وسكن بحي القصبة بالذات، وترك ذرية ومسجدا لا يزالان يحملان اسمه إلى الآن"[33]. ليس لدينا ما يثبت أخذ سليمان بن أبي سماحة عنه، رغم احتمال اللقاء بينهما بالأندلس أو بالمغرب العربي.

7- المواق:

لا مجال للشك في أخذ سليمان بن أبي سماحة عن المواق وقد جمع بينهما الزمان والمكان، والشيخ المواق هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالمواق، صاحب كتاب "التاج والإكليل لمختصر خليل" وكتاب "سَنَن المهتدين في مقامات الدين". توفى في رجب سنة 897هـ. شهد المواق سقوط غرناطة، وكان ممن حضروا مراسيم تسليم مفاتحها للملك فرناندو والملكة إيزابيلا.

من المرجح أن سليمان بن أبي سماحة أخذ عن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي(830-895هـ)، الذي قيل فيه:" إن سمعته تغني عن التعريف به" ولا يمكن لإشعاع شهرة هذا الشيخ أن تخطئ تطلعات

---

[31] محمد حجي، معلمة المغرب(م-س) ص 5548.

[32] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الجزء 1 ص 232.

[33] صحيفة الحوار بتاريخ 2009/9/17.(www.djazairess.com/elhiwar)

الطالب سليمان بن أبي سماحة الباحث بشغف عن منابع العلم، وقد يكون لقاءهما قبل توجه هذا الأخير إلى الأندلس، أي في بداية طلبه للعلم في المراكز العلمية القريبة كفجيج، وتلمسان حيث كان السنوسي يدير مدرسته[34]. ومما يدعم هذا المنحى، اهتمام سليمان بن أبي سماحة، بالعقيدة السنوسية، واختصارها في مؤلف يجعلها في متناول النساء والعوام.

عاد سليمان- حسب الرواية الشفوية - إلى المغرب ليشتغل بالتدريس بالقرويين مدة سبع سنين، ثم يمم نحو فجيج حيث اختير إماما لمسجدها العتيق[35]، وكان يتعهد بالزيارة منطقة الساورة[36] ونواحيها، وهي مرابع أبيه أبي سماحة الذي كان يُقصَدُ لجوده وصلاحه، وبهاتيْن الخصلتيْن صنع مجدا أثيلا، حتى أصبحت ذريته من بعده تسمى بالسماحيين، بعدما كانوا يلقبون بالحميانيين لاستقرار أجدادهم بقبيلة احميان[37] التي كانت تعيش متنقلة بخيامها بين التل

[34] الشريف بنواز، مداخلة في ندوة "حوار سيدي سليمان بن أبي سماحة مع علماء وادي مزاب من خلال وثائق جديدة"(https://youtu.be/POFDZy71K7km00)

[35] مسجد الصومعة الحجرية: من معالم فجيج الشهيرة، يقع بقصر الوداغير، وترتفع صومعته على قاعدة رباعية الأضلع، ثم على ارتفاع خمسة أمتار تصبح ثمانية الأضلع، علوها تسعة عشرمترا، وقد بنيت في القرن السادس الهجري. (انظر: العربي الهلالي، فجيج، تاريخ وثائق ومعالم، المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج.)

[36] الساورة: واد ينطلق أهمُّ رافديْه من المغرب وهما: وادي قير وزوزفانة، وتغذيه أودية أخرى، وتطلق الساورة على المنطقة التي يمر بها هذا الوادي، كانت قبل الاحتلال الفرنسي تابعة للمغرب، وهي تشمل اليوم المنطقة الجنوبية الغربية الجزائرية.

[37] احميان: ينتمون إلى زغبة العدنانية، وردت على المغرب الأوسط في تغريبة بني هلال في القرن الخامس الهجري، كان زعيمهم معمر أبو العالية، وبهم حارب الخوارج ونشر المذهب المالكي بالمنطقة، تنقسم احميان الى شراقة (الطرافي) وغرابة، وينقسم احميان الغرابة بدورهم إلى حميان شافع وحميان الجنبة. واحميان عامة كانوا مغاربة قبل الاحتلال الفرنسي، ثم قسمتهم معاهدة لالة مغنية (18 مارس 1845) إلى مغاربة (الجنبة) والباقي جزائريين.

كانت ذرية معمر أبي العالية قلة قليلة، وكان لابد أن تنتسب القلة إلى الكثرة فانتسبوا إلى حميان، واندمجوا معهم بالمصاهرة والجوار والمصالح المشتركة، ثم ازدادوا اندماجا بعد تأسيس الطريقة الشيخية التي انتسب إليها أغلبية احميان وكانوا أهم دعامة لها، وزاد التحامهم متانة أثناء الجهاد الذي اندلع بينهم وبين الغزو الفرنسي منذ 1845 بقيادة أولاد سيدي الشيخ، وبقيت- إلى وقت قريب- هذه الرابطة قوية وعميقة.

الوهراني وتخوم الصحراء، بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيها، كما كان يُرَاعَى في السماحيين انتسابهم إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يقول خليفة بن عمارة صاحب سيرة البوبكرية:

" بدأ البوبكريون يأخذون أهمية تحت إمرة قائدهم الجديد المرتب في الحلقة الخامسة (من سلالتهم) الا وهو سيدي أبوسماحة المولود حوالي 1408م/821هـ والمتوفى عام 1492م/897هـ...أعطى بوسماحة الدفع المطلوب لإعادة مجد البوبكريين وتوسيع شهرتهم. تطور هذه السلالة والتي تعتمد في اقتصادها على تربية المواشي، أدى بالطبع إلى توسع مساحة تحركها بحثا عن مراعي جديدة وإمكانات جديدة. وسع البوبكريون من حجم تبادلاتهم التجارية نحو التل حيث كانوا يبيعون ماشيتهم، ولكن بالخصوص نحو الجنوب حيث وضعوا ممرات خاصة بقوافلهم - أسماؤها لا تزال موجودة إلى الآن – تقودهم إلى نقاط مختلفة في الصحراء وخاصة ڤورارة. وهكذا بدأوا ينافسون حميان وخاصة بني عامر الذين كانوا يستحوذون بشكل شبه احتكاري على التجارة الصحراوية.

عرف سيدي أبوسماحة وهو الرحالة ذو الذكاء الثاقب، كيف ينوع الاتصالات مع المشرق (الحج، الهبات الواسعة، العلاقات مع بوبكرية مكة).. وكيف ينشئ زاوية لاستقطاب أساتذة وتلاميذ من مختلف البقاع وكيف يبادر، وهذه جرأة منه، ببعث ابنه سليمان بعيدا إلى المغرب وإسبانيا لمتابعة دراسات معمقة في العلوم الدينية ولمواكبة النظريات الجديدة السائدة آنذاك"[38]

توفي أبوسماحة بتبو[39] ناحية شروين[40] حيث ضريحه بها مشهور.

---

[38] خليفة بن عمارة، سيرة البوبكرية، ص 10.

[39] تبو: قرية (قصر بلغة الجنوب) وواحة تبعد عن تيميمون (ولاية أدرار بالجزائر) بـ 75 كلم، تابعة لبلدية شروين، بها ضريح الشيخ عبد الله أبي سماحة والد سليمان بن أبي سماحة، يقام به موسم سنوي يحضره أهل المنطقة مع فقهائهم وطلبتهم لقراءة ختمة من القرآن الكريم.(...والقرية تسمى قصرا..وعددها في ولاية أدرار 294 قصرا وزيادة، وصْفُ أهلها الكرم على الإطلاق حتى في حال الفقر (مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، ص 42)

خلف سليمان أباه في المكانة المميزة التي كان يتمتع بها وصار يراوح بين الترحال بمواشيه في البادية وبين الاستقرار تارة بفجيج وتارة ببني ونيف ومرات بالشلالة الظهرانية[41]، وهي واحة صغيرة اشترى بها وبنواحيها أجنة وأراضي شاسعة حتى أصبح الجبل الذي يتاخم أراضيه يسمى باسمه: " جبل بوداود " والعين التي تسقيها تسمى عوينة "بوداود"، وهو اللقب الذي كان يعرف به سليمان بن أبي سماحة من بين ألقاب أخرى[42].

كان إشعاع الطريقة اليوسفية في مطلع القرن العاشر الهجري يأخذ بألباب طالبي المعرفة الصوفية، وكان شيخها سيدي أحمد بن

---

[40] شروين: قرية (قصر بلغة الجنوب) وواحة تابعة لولاية أدرار بالجزائر، تقع شمال أدرار وتبعد عنها بـ 150كلم، كما تبعد عن تيميمون بـ 60 كلم.

[41] الشلالة: (وهما شلالتان بالجنوب الوهراني، الشلالة الظهرانية والشلالة القبلية تفصل بينهما مسافة 5 كلم، وهناك في الشرق الجزائري شلالتان أيضا، وهما قصر الشلالة بناحية تيارت، وشلالة العذاورة بناحية المدية.)

تقع الشلالة الظهرانية غرب البيَّض، تبعد عنه بـ 140 كلم، هي واحة صغيرة، وبها قصر يدل شكل بنائه على قدمه، وعلى مكانته التاريخية بين قصور المنطقة، استقر بها الشيخ الملياني مدةً، واشترى بها سليمان بن أبي سماحة أراضي فلاحية وعيون ماء، وكان يراوح السكن بها وبفجيج، كما كان ذلك ديْدن ابنه محمد بن سليمان، وحفيده – المزداد بها- الشيخ عبد القادر السماحي، وبها ألف ابن أبي محلي كتابه القسطاس المستقيم (عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الخامس، ص 294/ وانظر: عبد المجيد القدوري، ابن أبي محلي، الفقيه الثائر، ص74).

أقام بها الشيخ سيدي أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية خمس سنين، وفيها استقبل الشيخ بن الطيب - زعيم الغرابة وشيخ الزاوية الشيخية الغربية - الأميرَ عبد القادر في 2 يونيو 1846 قادما من الأبيض سيدي الشيخ بعد لقائه مع زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة. بالقرب منها انتصر الشيخ بوعمامة في معركة تازينة (مولاق) على الجيش الفرنسي بقيادة العقيد إنوسانتي (Le colonel Innocenti) في 19 ماي 1881، ومنها كانت انطلاقة جهاده الذي دام 22 سنة. إستقر بها زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة متوارثين أملاكهم بها أبا عن جد إلى أن اضطرتهم مقاومتهم للحملات العسكرية الفرنسية إلى الرحيل عنها تاركين دورهم بالقصر القديم، وأجنتهم بمحيطه، وكان آخر وكلائهم للمحافظة عليها سنة 1971: الفقيه طُلْبَة أحمد بن الحاج امحمد (آل سيدي أحمد المجدوب) الذي كان يسكن بالشلالة القبلية. (أنظر: الملحقات)

[42] عرف بلقب أبي الربيع، وأبي داود، وأحمر اللحية، والحميانيى (الشريف بن واز، مجلة الدراسات الإسلامية، يصدرها المجلس العلمي الأعلى، المجلد 1/23، ص 99)

يوسف الملياني الراشدي[43] شيخ عصره وقبلة أهل زمانه، ورأس الطبقة الزروقية، اجتمع به سليمان بن أبي سماحة سنة 910هـ/1504م وتتلمذ على يديه ولزمه حتى كان من المقربين منه، وكان أحد مذابيحه[44] السبعة في القصة المشهورة.

أما الآثار العلمية التي خلفها سليمان بن أبي سماحة فهي كالتالي:

ـ مؤلف في النحو.

ـ قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ـ تعليقات وهوامش على كتب فقهية.

ـ "مختصر الصغرى" وهو صغرى السنوسي في العقيدة، اختصره ابن أبي سماحة للنساء والعوام، وقام ابن مريم بشرحه[45].

وأغلب ما ذُكر مفقود إلا:

ـ " ياقوتة السلوك" وهي قصيدة بالفصحى.

ـ و"دالية الرشاد في مدح خير العباد" وهي بالعامية[46].

وأخيرا نظمت بلدية تيوت بالجنوب الغربي الجزائري ـ يوم 2022/10/12 ـ ندوةً بعنوان "حوارسيدي سليمان بن أبي سماحة مع علماء وادي مزاب من خلال وثائق جديدة"

---

[43] الشيخ الملياني: أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي، أخذ عن عدة شيوخ أبرزهم الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي. وعن الملياني أخذ جمٌ غفير من التلاميذ، وقد خصه الشيخ الصباغ القلعي بكتابه " بستان الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار، ومعدن الأنوار، أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار". توفي بمليانة سنة 931هـ وضريحه بها مشهور.

[44] المذابيح السبعة: يُروى أن الشيخ الملياني امتحن مريديه في صبيحة عيد الأضحى، معلنا أنه سيضحي بأحد المريدين، فتردد الجميع، وانسحب الكثير، إلا سبعة (أو عشرة) من صادقي مريديه تسابقوا إلى بابه، ممتثلين أمره، كل منهم يريد أن يكون الأضحية، وظهر في النهاية بأنه امتحان ليس إلا، وأصبحت منذئذ هذه الثلة نخبة مختارة من مريديه المقربين، من بينهم حسب عدة روايات، السادة: أبو دخيل القادري، وامحمد بن عبد الرحمان السهلي، وسليمان بن أبي سماحة، وأبو القاسم أزروال، ويعقوب الرشيدي، وامحمد بن عبد الجبار الفجيجي، وأحمد العروسي، وسابعهم علي بن عبد الله الفلالي...

[45] الشريف بنواز، رسالة خاصة.

[46] عبد الله طواهريه، التوشيح بشرح ياقوتة السلوك، وقصيدة دالية الرشاد في المديح (كتاب حقق فيه المؤلف هذين العملين للشيخ سليمان بن أبي سماحة، لم نطلع عليه)

دارت مداخلات الندوة حول رسالة اكتُشِفَت بإحدى خزانات وادي مزاب، بعث بها سليمان بن أبي سماحة، إلى عبد الله بن الحاج سليمان المرزوقي، الذي يكون إما تلميذه، أو رفيقه في الطريقة اليوسفية، يؤنبه فيها على تحوله من المذهب المالكي، والطريقة الصوفية إلى المذهب الإباضي، واستثارت رسالة ابن أبي سماحة رد الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المشرف على المدرسة الإباضية.

جرى هذا الحوار بين قطبي التصوف والإباضية في الربع الأول من القرن العاشر، ويعكف الباحثون في المنطقة على تحقيق هذه المتون ونشرها لاحقا، حسب المشرفين على الندوة.[47]

إن المصدر الأساس المعتمد في ترجمة حياة ابن أبي سماحة هو الرواية الشفوية - كما سبق قوله – لذلك اختلفت الأقوال في تاريخ وفاته، كما اختلفت في تاريخ ميلاده، فوفاته حسب رواية، سنة 940هـ، وحسب أخرى سنة 945هـ، وحسب الرواية الثالثة 946 هـ وحسب الرابعة كانت سنة 960هـ .

والمرجح والقريب من الواقع من بين هذه الروايات[48] أنه ولد سنة 866هـ وتوفي سنة 946هـ بعد ما بلغ 80 سنة. وكان عمر حفيده مؤسس الطريقة الشيخية الشيخ عبد القادر السماحي إذاك ست سنوات.

---

47 الشريف بن واز، باحث في تاريخ المنطقة الجنوبية الغربية الجزائرية، وأحد المشرفين على الندوة " حوار سيدي سليمان بن أبي سماحة مع علماء وادي مزاب..."

انظر: الشريف بن نواز، وأحمد عقون، ونابتي علي (مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 23/ العدد1) توصلت بهذه المجلة والكتاب تحت الطبع، فلم أتمكن لإسباب تقنية من التوسع في الاستشهاد ببعض الفصول المكتشفة لأول مرة حول تاريخ المنطقة وأعلامها.

48 ورد عند أبي بكر حمزة: أنه ولد سنة 860هـ وتوفي سنة 940هـ. :

Boubakeur Hamza, Un soufi sidi Cheikh, p.15.

وورد عند خليفة بنعمارة: أنه ولد سنة 865هـ و توفي سنة 945هـ :

Khlifa Banamara, La saga des boubekria, p.1

وورد عند عبد الله طواهرية: أنه ولد سنة 866هـ وكان بمالقة سنة 891هـ (وعمره 25 سنة) وفي هذه السنة خرج منها نحو غرناطة التي بقي بها ست سنوات، ومن غرناطة خرج سنة 897هـ حيث التحق بفاس، وفي هذه السنة توفي أبوه (وكان عمره 31سنة) والتقى بشيخه في التصوف سيدي أحمد الملياني سنة 910هـ (وعمره 44 سنة) وتوفي سنة 946هـ (وقد بلغ 80 سنة). وهذه أقرب الروايات إلى الصواب.

خلف سليمان بن أبي سماحة ولديْن هما محمد وأحمد وبنتا تسمى صفية زوَّجَها للشريف الإدريسي الشيخ عبد الرحمان النهاري (نسبة إلى قبيلة أولاد نهار) فخلفت له أحمد ويحيى وموسى.
تنحدر قبيلة أولاد نهار ـ المنتشرة بنواحي سبدو من ولاية تلمسان بالغرب الجزائري ـ من جدهم زيد المكنى "نهار" بن محمد بن أبي العطاء، الذي ينتمي إلى المولى إدريس بن إدريس.

تتلمذ أحمد - بن سليمان بن أبي سماحة - الملقب بالمجذوب على يد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الشهير بالملياني، اقتداء بأبيه، وقد تحدث ابن أبي محلي عن أحمد المجذوب هذا وحلاه بكل خلق سني، وأطنب في تعداد فضائله. ولشدة التزام المجذوب بالطريقة اليوسفية، فقد عارض ابنَ أخيه عبد القادر بن محمد السماحي وأنكر عليه انقطاعه إلى خدمة الشيخ امحمد بن عبد الرحمان السهلي كما يُستشف من كتابات ابن أبي محلي.

أما محمد بن سليمان بن أبي سماحة فقد تتلمذ على يد الشيخ امَحمد بن عبد الجبار البرزوزي الفجيجي[49]، وكان محمد بن سليمان يصحب معه ابنه عبد القادر السماحي وهو صغير إلى حلقة شيخه ابن عبد الجبار يستجلب له بذلك نظرة العارف بالله الذي جمع بين علمي الظاهر والباطن، لِمَا تفرس في ابنه هذا من نجابة وذكاء وقد تحققت فراسته فيه فكان له شأن في تاريخ المنطقة.

السعديون

في هذه الفترة الصعبة التي كانت آخر قلاع الأندلس توشك على السقوط كانت الدولة الوطاسية تؤسس أركانها سنة1472م، ولم تدم في

---

[49] امحمد بن عبد الجبار: ثالث ثلاثة من أبناء سيدي عبد الجبار البرزوزي الفجيجي، وهو أصغرهم (وحسب محمد حجي: هو أكبرهم وأصغرهم أحمد وأوسطهم إبراهيم) تتلمذ على أشهر علماء فاس في عصره، كابن غازي والونشريسي، وكان من أخص خواص هذا الأخير، وأخذ التصوف عن شيخ عصره العارف بالله سيدي أحمد الملياني، ثم كان كذلك من أقرب المقربين إليه، وهو أحد مذابيحه، وَصَفَتْهُ الفهارس بالفقيه المحدث، وبالقطب تاج العارفين، توفي بفجيج سنة 956 هـ أنظر:

ـ محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب. ص317.

ـ العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، معلمة المغرب (م-س) ص6504.

الحكم إلا خمسين سنة لتترك مكانها للدولة السعدية التي تأسست سنة 1554م لتحظى بشرف قيادة أكبر معركة ينتصر فيها المغرب على البرتغال وحلفائه من دول أوروبا.

بقدر ما كان سقوط الأندلس في2 يناير 1492 كارثيا، كان الانتصار الساحق في معركة وادي المخازن في 4 غشت 1578 باهرا، وهكذا بعد مرور 86 سنة فقط على هزيمة المسلمين في الأندلس جاء الحدث الذي رد الاعتبار وأنعش الأمل. وكأنه يقول لا تثريب عليكم فالحرب سجال.

بعد انحصار نفوذ الدولة الوطاسية التي حكمت من سنة 1472م إلى 1554م ظهرت على سطح الأحداث بوادر نفوذ الشرفاء السعديين الزيدانيين الذين سيحكمون المغرب من 1554م إلى 1659م ورغم أن مدة حكمهم لا تربو على قرن واحد - وهي مدة وجيزة في عمر الدول - فإنها كانت مدة حافلة بالأحداث الجسامِ والأعمال الجليلة التي تركت بصمتها داخل المغرب وخارجه وأثَّرت ولا تزال في تاريخ المنطقة المغاربية والوسط الإفريقي.

عندما توفي الملك عبد الله الغالب[50] سنة 1574م بويع ابنه محمد الذي تلقب بالمتوكل رغم أن التراتبية الوراثية السعدية – كما سنَّها المؤسس محمد القائم - تعطي الأولوية في وراثة الحكم لعبد الملك، أخي عبد الله الغالب.

طارد المتوكل عميْه عبد الملك وأحمد للقضاء عليهما ليخلص له الأمر[51].

فر عبد الملك وأحمد إلى الجزائر التي كانت تخضع للسلطان التركي ومنها لحقا بإسطنبول حيث استقبلهما السلطان سليم بن سليمان. كان للجوئهما إلى تركيا العثمانية دورٌ كبيرٌ في اطلاعهما على النظم العسكرية واستفادتهما منها في مجال التخطيط والتدبير

---

50 الملك عبد الله الغالب، هو الملك الرابع في سلسلة الملوك السعديين، فأولهم محمد القائم بأمر الله، وثانيهم أحمد الأعرج، وثالثهم محمد الشيخ، ورابعهم عبد الله الغالب.

51 شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ص 33.

ورد أن عبد الملك وأحمد وأخاهما عبد المؤمن فروا إلى الجزائر ومنها إلى اسطنبول في مدة حكم أخيهم الملك عبد الله الغالب. (محمد القبلي، تاريخ المغرب، ص 380).

والتسيير، والدولة العثمانية إذاك في أوج عزها وانتصاراتها، وقد كسب عبد الملك خبرة عسكرية " راكمها عبر مشاركته في المعارك العثمانية كمعركة ليبانتو في بحر إيجة، وحلق الوادي بتونس".[52]

بعد فترة عادا إلى الجزائر حامليْن أمر السلطان التركي مراد الثالث[53] إلى باي الجزائر بتقديم الدعم لهما.

هكذا التحقا بالمغرب ليطردا ابن أخيهما المتوكلَ الذي لم يكن يحظى بالقبول الشعبي في المغرب لقسوته وعنجهيته، والذي ظهرت خيانته فيما بعد عندما عرض الشواطئ المغربية على ملك إسبانيا مقابل دعمه لاسترجاع ملكه، ولما يئس من ملك اسبانيا ذهب إلى ملك البرتغال دون سباستيان[54] الذي وجد عنده من الطمع والطموح ما جعله يقبل إغراءات المتوكل، فأعلن الاستعداد لغزو المغرب، ولقي الدعم من عدة دول أوروبية ومن بابا الفاتكان الذي شارك بفرقة جنود بعتادها، زيادة على مباركته للغزو الصليبي الذي كان يستهدف المغرب، فقد كان يُنظَرُ إلى هذا الأخير كبوابة خطيرة دخل الإسلام منها إلى أوروبا الغربية[55].

لقد كان غزو المغرب مطلبا سابقا لملك البرتغال جان الثالث وبإلحاح من الأساقفة والأعيان، وذلك للحيلولة دون احتلال المغرب من قبل الأتراك الذين كانوا هم كذلك ماضين إلى هذا الهدف لتطويق أوروبا من غربها.

---

[52] محمد القبلي (م – س) ص 381.

[53] مراد الثالث جلس على عرش الإمبراطورية العثمانية (بين 1574- 1595م) خلفا لوالده السلطان سليم بن سليمان (سليم الثاني الذي حكم بين 1566-1574).

[54] سباستيان: ولد بلشبونة سنة 1554م وتوفي وعمره 24 سنة في معركة وادي المخازن بالمغرب في 4 غشت سنة 1578م. تولى الملك بعد أبيه جون مانويل، وهو حفيد شارلكان (Charles quint) ملك إسبانيا من أمه، ويرجح بعض المؤرخين أن أول لقاء لسباستيان بالمتوكل كان بطنجة.

[55] شوقي أبو خليل (م – س) ص15.

كان وضع المغرب وضعا حرجا بين أمبراطوريتيْن قويتيْن تتربص إحداهما بالأخرى، ومن تفز منهما باحتلال المغرب تكن المنتصرة أخيرا[56].

إن معركة وادي المخازن ـ كما تُعرف في التاريخ العربي (وقعت يوم الاثنين 30 جمادى الأولى 986هـ/4 غشت 1578 م) أو معركة الملوك الثلاثة كما تُعرف عند الأوروبيين ـ تُعد غرةً في تاريخ المغرب، فقد كانت فصلا فاصلا، ويوما خالدا انتصر فيه الغرب الإسلامي على الغرب المسيحي الذي قاد حملة صليبية ضد المغرب على غرار حملاته الصليبية على المشرق الإسلامي، كما كانت حدثا بارزا أسس بجدارة لدولة السعديين ووطد أركانها ومنحها منطلقا قويا. كما كسرت فيه شوكة البرتغال الذي انعكست آثار هزيمته في هذه المعركة على مكانته في شرق آسيا والخليج وأوروبا وأمريكا ووصلت به الأزمة إلى حد أن ضمه ملك إسبانيا إلى حكمه سنة 1580م ومنذئذ لم تقم له قائمة.

معركة وادي المخازن

" بعد وفاة جون الثالث[57] سنة 1557م تربع الملكُ ـ الشاب ـ سباستيان على عرش إمبراطورية يمتد نفوذها على سواحل إفريقيا وآسيا وأمريكا، فتطلع إلى استخلاص الأماكن المقدسة المسيحية في المشرق من يد المسلمين، فاتصل بخاله ملك إسبانيا (فيليب الثاني)[58] يدعوه للمشاركة بحملة صليبية على المغرب العربي كي لا تعيد

---

[56] عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 98/57.

[57] الملك جون الثالث: ولد سنة 1502م وتوفي بلشبونة سنة 1557م. من أعظم ملوك البرتغال، في عهده اتسعت مستعمرات ومكتشفات البرتغال لتصل كل القارات. وأصبح البرتغال أول وأكبر الدول الأوروبية انتشارا في العالم.

[58] فيليب الثاني: ولد سنة 1527م ببلد الوليد وتوفي بمدريد سنة 1598م بعد هزيمة ابن أخته سباستيان في معركة وادي المخازن ضم البرتغال إلى إسبانيا. وفي عهده بلغت محاكم التفتيش ذروتها العنصرية، وهو من بنى الأسكوريال الذي أصبح من أبرز معالم التراث العالمي والذي يضم القصر الملكي والمتحف والمكتبة وغير ذلك.

الدولة السعدية - بمساعدة العثمانيين - الكرة على الأندلس"[59] إلا أن ملك إسبانيا حذره من مغبة هذه المغامرة.

حشد سباستيان لغزو المغرب جيشا لجبا تختلف الروايات في عدده بين مائة وخمسة وعشرين ألفا، وثمانين ألفا، وثمانية وعشرين ألف جندي من بينها مشاركة الطليان والألمان بستة آلاف جندي ومشاركة البابا بأربعة آلاف مقاتل، وبألف وخمسمائة من الخيل واثني عشر مدفعا[60]، وأعد سباستيان ألف مركب لحمل هذه الترسانة كما شارك محمد المتوكل في القوة البرتغالية بجيش قوامه ثلاثمائة مقاتل أو أكثر.

جال عبد الملك السعدي في مناطق المغرب ليحشد التأييد للمعركة، ومن بين المناطق التي زارها واحة فجيج التي نزل بها قادما من تلمسان فاجتمع بعلمائها وشيوخ زواياها وأعيانها، ولقي في مقدمتهم الشيخ أبا القاسم ابن امحمد بن عبد الجبار[61] والشيخ عبد القادر بن محمد السماحي والشيخ عبد الوافي بن أحمد وهم إذاك ذؤابة أهل العلم والفضل بها، وكانت نتيجة الزيارة أن شهدوا المعركة كباقي العلماء وشيوخ الزوايا المغربية، كما تدل على ذلك العلاقة الخاصة التي كانت تجمعهم بالسلطان عبد المالك قبل المعركة، وازدادت بعدها تمكنا وتميزا مع السلطان أحمد المنصور .

أُعْلِن الجهادُ في المغرب فتعبأ الجيش الذي بلغ تعداده أربعين ألفا، مع الإشارة إلى الاختلاف البيّن في الروايات حول أعداد الجيشيْن المغربي والبرتغالي.

---

59 شوقي أبو خليل، وادي المخازن (م ـــس) ص 30.

60 نفسه ص 47.

61 أبو القاسم بن امحمد بن عبد الجبار الفجيجي، شخصية علمية موسوعية. يمكن التأكيد على أنه أعظم رجل علم درج على أرض فجيج بعد جده الإمام عبد الجبار...كان يطيل المكث بفاس حتى أن المنصور السعدي عهد في عام 996هـ إلى واليه على فاس أن يعين له دارا تناسب مكانته، ومدرسة لقراءة من يقرأ من أولاده، وأرضا طيبة لاستغلالها (العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، معلمة المغرب (م-س) ص: 6500).
وانظر: محمد بوزيان بنعلي، بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص105-113.

كان الجيش المغربي يتكون من جيش نظامي ومن متطوعي القبائل، بمشاركة ضباط وجنود أتراك، ومتطوعين من الجزائر، ويتوفر هذا الجيش على أربعة وثلاثين مدفعا، كما يتفوق على البرتغاليين في عدد الخيل، إلا أن التفوق الحقيقي لدى الجانب المغربي كان في المعنويات المرتفعة جداً لعدة أسباب، أبرزها الدفاع الواجب عن الوطن المهدد بهجوم أجنبي غاشم، والثأر لأهل الأندلس وما تركته هزيمتهم من مرارة لم يبتلعها المغاربة، والانتقام لما لقيه المسلمون ولا يزالون يلاقونه من محاكم التفتيش في الأندلس، ففي هذه الحالة، وفي نظرهم، لا تمييز بين إسبانيا أو البرتغال أو غيرهما، فالغرب المسيحي ملة واحدة، وقد ظهرت وحدته في تركيبة جيوشه المهاجمة.[62]

لم تكن هبَّة المغاربة وحماسهم الكبير إلا انعكاسا لحماس القيادة وشجاعتها وحنكتها المتمثلة في قيادة عبد الملك المعتصم وأخيه أحمد المنصور، فقد برهنا على استقامتهما، وحسهما الوطني الصادق، وحسن سياستهما، وكان الأمر طبيعيا جدا أن يجد نداءهما الاستجابةَ الكاملة من كل شرائح المجتمع وطبقاته.

خطط السلطان عبد الملك للمعركة بدهاء كبير، واعتمد في خطته العسكرية على استدراج الجيش البرتغالي إلى عبور قنطرة وادي المخازن والنزول بضفته اليسرى وهو المكان الذي اختاره عبد الملك ساحة للمعركة، وفي الليل تسربت بأمر السلطان عبد الملك فرقة من الجيش المغربي بقيادة أخيه أحمد المنصور إلى الجسر الوحيد ففجرته وقطعت المواصلات والاتصالات بين الجيش البرتغالي وأسطوله الراسي على الميناء الأطلسي.[63]

وبدأت المعركة التي لم تدم إلا أربع ساعات وثلث الساعة، وانتهت بالنصر الساحق الذي ذهب - ضحيتَهُ في أولِ الذاهبينَ - الملكُ سباستيان قتيلا، وحليفه المتوكل غريقا، والآلاف من القتلى والغرقى، وأحْصِيَ الأسرى بعد المعركة فكانوا بالآلاف، وتوفي

---

[62] نفسه ص57.وص 73.

[63] نفسه ص 61.

الملك عبد الملك المعتصم بالله بعد أن عانى من المرض الذي ألم به منذ انطلاقه من مراكش، وتحامل على نفسه إلى أن أعلن بداية المعركة، ثم توفي في محفته وهو يقود المعركة، واضعا إصبعه على فمه في إشارة إلى حاشيته بإخفاء نبإ موته، حتى لا تقع البلبلة التي قد تتسبب في الهزيمة[64]. وتضاربت الروايات في عدد القتلى والأسرى من الغزاة، وعدد الشهداء من المغاربة وحلفائهم.

" لعبت الزوايا دوراً كبيراً في شحذ الهمم، وحشد الأتباع، وكان الشيخ أبو المحاسن الفاسي شيخ الشاذلية الجزوليـــة على رأس جناح ميسرة الجيش، ولم يلتفت منذ توجه إلى القتال حتى فتح الله عليهم، وتورع أبو المحاسن عن الغنيمة بعد الانتصار العظيم، وعف عنها فلم يأخذ منها شيئا كَبُر أم صَغُر "[65]

إن أول ظهور للزوايا – بغيرهذا المسمى - كان رباطاً للمجاهدين الساهرين على حماية حدود أرض الإسلام منذ بداية اتساع الفتوحات الإسلامية، فكان جهاد العدو- وهو الجهاد الأصغر- أساس قيام الرباطات، ولا تخفى- على الدارس لسِيَر وتراجم التابعين وتابع التابعين - أسماءُ رواد التصوف الأولين من المرابطين على الثغور[66] أمثال: أبي سليمان الداراني (تـ 205هـ) والسري السقطي (تـ 253هـ) وأبي يزيد البسطامي(ت 261هـ) والإمام أبي القاسم الجنيد (تـ 298هـ) وغيرهم كثير، وإلى هذا الأخير كان ينتسب التصوف السني ولا يزال.

---

[64] ينسب بعضهم مرضه إلى إصابته بالكوليرا حسب الكونت هنري دوكاستري المتوفى سنة 1927 (إبراهيم حركات، معلمة المغرب (م-س) ص 7550). ومنهم من ينسب مرضه إلى تسميمه بواسطة جواسيس إبن أخيه المتوكل (شوقي ابوخليل (م-س) ص 74). ومنهم من ينسب ذلك إلى الأتراك الذين كانوا ينتظرون من عبد الملك أن يعلن تبعيته للسلطان التركي بعد انتصاره على إبن أخيه وتربعه على عرش المغرب، ولما رأوا نزوعه إلى الإستقلال برأيه، إنتقموا منه، إذ قامت بتسميمه عناصر كانت ضمن الضباط والجنود الذين بعثهم السلطان العثماني دعما لعبد الملك في معركته ضد الإيبيريين. (عبد الكريم كريم، (م-س) ص105).

[65] عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية، (م-س)، ص 57 و 74.

[66] إسماعيل الراضي، مجلة قوت القلوب، عدد 6/5، غشت 2015، ص 12.

عندما انتشر الإسلام وقويت شوكته، وقر قراره، وصار مرهوب الجانب، استغنى المنقطعون في الرباطات عن الجهاد الأصغر، وشمَّروا للجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، وأخذ الرباطُ تدريجيا يُعرف بالزاوية أو التكية أو الخانقاه حسب مناطق العالم الاسلامي، موازاة مع مسمى التصوف الذي أصبحت منذئذ تختص به طائفة المرابطين لتزكية أنفسهم، المنقطعين لإصلاحها علما وعملا، وتربيتها للوصول بها إلى الإخلاص في اتباع الشريعة عبادةً ومعاملةً، كما أسس لذلك إمام القوم أبو القاسم الجنيد عندما قال: "طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة".

كابد الصادقون من رجال التصوف الجِهَادَيْن معا، فكانوا السبَّاقين للجهاد الأصغر كلما هدد الإسلامَ عدوٌّ أجنبي. فإذا وضعت الحرب أوزارها عادوا إلى الجهاد الأكبر، ففتحوا زواياهم للإجتماع على ذكر الله، والتعليم والتربية، والتكافل والإطعام، والوساطة للإصلاح بين الناس، وتهذيب المجتمع وتخليقه، فإذا ما شب فيه خلاف داخلي كانوا أبعد الناس عن الخوض فيه، بل كانوا دائما هم الساعين الحثيثين لرأب كل صدع يفرق كلمة المسلمين. والنماذج من هؤلاء القوم كثيرة ومشهورة، بل هم كلهم كذلك، لا يشذ عنهم إلا من انتسب زورا إلى طريقهم.

والشيخ أبو المحاسن الفاسي هو أحد هذه النماذج فقد علَّم وربَّى وأطعم في زاويته، ثم لما نادى منادي الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين كان الشيخ الفاسي أول الملبين، إذ قاد جناح ميسرة المجاهدين في معركة وادي المخازن.

" ولن ينسى التاريخ هذا الشيخ الجليل، المجاهد الكبير أبا المحاسن يوسف الفاسي، باعث روح الجهاد في القوى الشعبية، الذي شارك في المعركة مخلصا، لم يتزلزل في الصدمة الأولى، ولم يلتفت خلفه منذ توجه إلى قتال الغزاة، ومع البلاء العظيم تورع عن الغنيمة فلم يلتمس منها شيئا".[67]

---

[67] المرجع نفسه ص 72.

السلطان أحمد المنصور السعدي

تُوِّج أحمد المنصور السعدي (الملقب بالذهبي) ملكا في ساحة المعركة، وبويع بإجماع الأمة المغربية التي كانت ممثلة بكل أطيافها في حضور علمائها وشيوخ زواياها وزعماء قبائلها وقُواد وعناصر جندها المنتشين ببهجة النصر، وفشلت مناورات الأتراك التي كانت تحاول إجهاض الإجماع بالدعوة لتولية مولاي اسماعيل بن عبد الملك المعتصم، الذي كان في الجزائر تحت حماية حسن باشا البندقي والي الجزائر من قبل الأتراك[68].

عرف عهد السلطان أحمد المنصور استقرارا تجلى في النهضة العلمية التي شملها برعايته الخاصة للعلماء والمتعلمين، وكادت حاشيته أن تكون كلها من العلماء والأدباء، وكان هو نفسه أديبا شاعرا مشاركا في علوم عصره، زيادة على كونه يتقن الرياضيات من جبر وهندسة، وترك عدة مؤلفات منها ديوان شعر، ووصل إشعاع هذه الحركة الفكرية إلى الشرق فتسابق العلماء والأدباء من المشرق إلى شرف المثول بين يديه وحضور مجالسه. كما عرف عهده نهضة عمرانية، وشيدت في عصره المنشئات الدينية والعسكرية والمدنية وعلى رأسها قصر البديع بمراكش الذي يعتبر من عجائب الدنيا.[69]

أمر بحملته العسكرية التي قادت المغاربة إلى ما كان يعرف بـ"السودان"[70] وكان قد مهد لها بإخضاع واحات توات وتيڨورارين وما جاورهما سنة 991هـ. وانطلق الجيش المغربي في محرم 999هـ /أكتوبر 1590م من مراكش ليصل إلى العاصمة كاغو التي قاوم

---

[68] عبد الكريم كريم (م-س) ص 107.

[69] محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزءالأول، ص37.

[70] السودان: كان تعريف السودان عند العرب الفاتحين يشمل المنطقة الإفريقية الممتدة من مصب نهر السنغال على المحيط الأطلسي إلى نهر النيل الذي كان يُعتقد أنه امتداد لنهر النيجر، وبعد رحلة ابن بطوطة وكتابات ابن خلدون عنها أخذت تتضح بعض معالمها، إلى أن أطلق الأوربيون في القرن التاسع عشر إسم **السودان الغربي** على منطقة نهر السنغال والنيجر، عرف السودان الغربي عدة ممالك اشتهرت بقوتها وغناها الذي اكتسبته من تجارة الذهب والملح كمملكة مالي وسنغاي والتكرور وبورنو.

ملكها أسكيا إسحاق طلائع الجيش المغربي، إلا أنه بعد هزيمته دخل في طاعة السلطان السعدي، وبعد استتباب الأمر لخليفة السلطان جودر باشا، اتخذ تنمبكتو عاصمة لمقاطعته، وكان جنوب الأمبراطورية المغربية يمتد من مصب نهر النيجر على البحر المحيط إلى حدود مملكة برنو.[71]

كان السلطان أحمد المنصورالسعدي يرمي من وراء هذه الحملة إلى توحيد المنطقة وتأمين الجنوب وتقويته تمهيدا للتحرك نحو استرجاع الأندلس، كما يظهر من تعدد تحالفاته ومراسلاته مع ملوك الجوار، وبناء على العلاقات الديبلوماسية التي نسجها مع مختلف ملوك أوروبا والباب العالي في الأستانة، وكيفية نظره للخلافات الأوروبية لاستغلالها في تحقيق مشروعه المذكور[72]. وكانت له مراسلات بواسطة سفراء في هذا الشأن مع ملكة بريطانيا، التي كانت في حرب مع إسبانيا، وكان يرى أن هزيمة إسبانيا تخدم مشروعه المتعدد الأطراف، أدناه استرجاع المدن الساحلية المحتلة من طرف إسبانيا، وأقصاه استعادة الأندلس إلى حظيرة الإسلام.

كما عرفت الطرق الصوفية في عهده عصرها الذهبي، وظهر عدة شيوخ طبعوا الثقافة الصوفية بطابعهم، ولا زال ذكرهم حاضرا في سلسلة سند الطرق التي ظهرت من بعدهم، وانتشرت الزوايا في الحواضر والبوادي، ولعبت هذه الزوايا دورا محوريا في نشر العلم، تعليما وتأليفا، وراجت سوق استنساخ الكتب، وكثرت نتيجة لذلك المكتبات الخاصة والعامة، وأقبل طلاب العلم من شرق العالم الإسلامي وغربه على الحواضر العلمية الكبرى كفاس ومراكش، "وقد أدركت مراكش أوج عزها العلمي مع أحمد المنصور، فغدت المركز الثقافي الأول في الغرب الإسلامي، إن لم نقل في العالم الإسلامي كله، كاد يكون جميع رجال البلاط وذوي المناصب السامية المدنية والعسكرية فيها من رجال الفكر، إلى تكاثر العلماء والطلبة في المساجد والمدارس، وتعدد المناظرات العلمية

---

[71] عبد الكريم كريم (م-س) ص 163.

[72] عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، الجزء الثالث ص 107.

والمساجلات الأدبية، واتساع حركة تأليف الكتب واستنساخها أو حملها مع القوافل التي لا تنقطع من الشرق والجنوب."[73]

كان جل العلماء إن لم نقل كلهم يَجْمَعون بين تدريس العلم بجميع فنونه، وبين انتسابهم إلى شيوخ التصوف، أو تصدرهم للتربية الصوفية عند تأهلهم لذلك، وكتب التاريخ والفهارس وتراجم الأعلام تؤكد سريان التصوف في المجتمع علما وسلوكا، وقد ساهمت هذه الطرق الصوفية بالقسط الوافر في تعليم وتخليق وتربية الفرد والمجتمع تربية إسلامية مبنية على الوسطية والاعتدال والتسامح.

من زوايا هذه الفترة:

الفهرية الفاسية، والدلائية، والريسونية، والهبطية، والوزانية، والوارثية، والخياطية، والعياشية، وزاوية ابن مهدي بزاكورة، والناصرية، وزاوية سيد الناس، وزاوية سيدي علي التامكروتي، وزاوية تافلالت، وزاوية زداغة الحاحية، وزاوية ويساعدن، والبعقيلية، وزاوية سيدي أحمد بن موسى السملالي، والأقاوية، والتمنارتية، والجرارية بتيڨورارين، والزوايا التواتية، والزوايا الفجيجية.

ظهرت في فجيج عدة زوايا في هذه الفترة منها زاوية آل عبد الجبار التي كانت معلمة علم ومنارة تصوف، شرَّق إشعاعها وغرَّب، وقصدها الطلاب والمريدون والعلماء من كل حدب وصوب، وعُرفت بشهرة مؤسسها وأبنائه وتلامذته وبخزانتها الكبيرة التي اجتذبت القاصي والداني لعدة قرون، كما كان للزاوية السكونية روادها وعلماؤها، ثم أنشأ الشيخ عبد القادر السماحي حفيد سليمان بن أبي سماحة السالف الذكر زاويته بقصر الوداغير على الهضبة المطلة على قصر زناقة، فساهمت هذه الزاوية في إثراء المشهد الفكري والعلمي والصوفي الذي عرفته فجيج في هذا العصر وهو عصرها الذهبي عبر تاريخها

---

[73] محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الثاني، ص37.

الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي (المعروف بـ سيدي الشيخ)

إزداد الشيخ سيدي عبد القادر السماحي سنة 940هـ/1533م بنواحي الشلالة الظهرانية، موطن أبيه وجده، وكانت هذه الواحة تُعَدُّ إذاك من قرى فجيج، بها درس، ثم بتوات[74] وتلمسان وفاس[75] وسجلماسة، وبعد إتمام دراسته العلمية جاب نواحي كثيرة بحثا عن الشيخ المربي، إلى أن وجد ضالته في العارف بالله الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي.

الشيخ امحمد بن عبد الرحمان السهلي

من الشيوخ العارفين بالله الذين خلفهم سيدي أحمد بن يوسف الملياني، الشيخ السهلي الذي تتحدث عنه الرواية الشفوية بإسهاب، أما المراجع المكتوبة فلم نعثر له على ذكر إلا في ثلاثة منها، ذكره ابن أبي محلي في معرض حديثه عن الشيخ السماحي عدة مرات في كتبه، وذكره يوسف بن عابد الفاسي في رحلته حينما زار ضريحه وهو في طريقه إلى فجيج، ونعته بشيخ شيوخنا، وذكره تلميذه الشيخ السماحي، في قصيدته الياقوتة، منوها بمكانته السامية في المعرفة وتربية المريدين، ونعته كذلك بشيخ الشيوخ، وهذا النعت المُجمع

---

74 توات: هي مجموعة واحات النخيل المتناثرة في الصحراء بين بلاد الطوارق في الجنوب والجنوب الشرقي ومنطقة الكثبان الغربية الواسعة التي تتصل بتافلالت، وڤورارة تعتبر جزءاً من توات، وكذلك تعد الواحات والقصور الممتدة على ضفاف وادي الساورة بما فيها واحات تدكلت. (أحمد العمري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902. ص 11).

75 ذكر بعض من كتبوا عن الشيخ السماحي المتوفى سنة 1025هـ أنه تتلمذ على يد الشيخ عبد القادر الفاسي المزداد سنة 1007هـ، والمقارنة بين عمر الشيخيْن تُبين أنه عندما ولد الشيخ الفاسي كان الشيخ السماحي يبلغ من العمر 67 سنة، فيستحيل أن يتتلمذ له لفارق السن بينهما. ولو قيل أنه أخذ عن أبي المحاسن يوسف الفاسي (وهو جد الشيخ عبد القادر الفاسي) لكان الأمر محتملا جدا، وإن لم يثبت أن جمع بينهما مكان ما، فقد جمعت بينهما معركة وادي المخازن.

عليه دليل على شموخ قدر هذا الشيخ الجليل بين شيوخ عصره، يقول الشيخ السماحي في أحدى أبيات ياقوتته[76] :

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زمانـا إليه انتهت فنون هذي الطريقــــة

إلى أن يقول:

فأولهم في الذكر شمس وجودنا وقطب نهى علومنا اللدنيـــــــــة
إليه انتهت رئاسة القوم فارتقـى على صهوات المجد من غير مرية
أبو عابد الإله يُسْمَى محمــــدا إلى عابد الرحمان يُعزى في نسبة
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجى ورثنا طريق القوم دون استرابـــة

وهذا يدل على أن العديد من تلامذته أدركوا المشيخة العلمية والمعرفية، فاكتفى - كالكثير من الشيوخ - بشهرة تلامذته، وبقي هو مغموراً لحكمة أرادها الله. اختلف في سنة وفاته بين 972هـ و974 هـ و 990هـ، والمرجح أن وفاته كانت سنة 974هـ، لأن من آداب الصوفية أن لا يتصدر التلميذ لتربية المريدين في حياة شيخه، وتأسيس الشيخ السماحي لطريقته كان سنة 974هـ أي بعد وفاة شيخه. (ذكره السكوني في تقوية إيمان المحبين).

أسس بن عبد الرحمان السهلي زاويته في قصر أصبح يسمى باسمه "السهلي" وهي واحة تقع على بعد 16 كلم شرق بوذنيب ناحية الراشدية حاليا، فلزم السماحيُّ شيخَهُ حتى صار من خاصته، وخدمه بنفسه وماله، واستأذنه في الانقطاع لخدمته إلا أن شيخه لم يأذن له، بل أشار له بالاستقرار في فجيج أو إلى الشرق منها، فأسس أول زواياه بفجيج وتصدر بها بعد وفاة شيخه للتربية والسلوك سنة 974هـ، ثم تحققت فراسة شيخه فيه عندما اضطرته أحوال الدولة السعدية المضطربة بعد وفاة السلطان الذهبي إلى الاستقرار بـ "الأبيض" شرق فجيج ، وسميت طريقته بالشيخية لأن شيخه السهلي لقبه في حياته بالشيخ، حتى طغى هذا اللقب على اسمه الشخصي عبد القادر، فكان لا يُعرف بين أقرانه إلا بهذا اللقب، وأصبحت- بعد

[76] الياقوتة قصيدة تائية من 178 بيت، للشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي، وضع فيها آداب التصوف، وشروط السلوك، وسلسلة أشياخه، وهي تائية على غرار القصائد التائيات التي درج الكثير من شيوخ التصوف على النسج على منوالها.

مدة - زاويته قبلة طلبة العلم ومريدي الطريقة، وكان من بين طلبته ومريديه:

- الفقيه أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي:

ازداد أحمد بن عبد الله بن القاضي ابن أبي محلي بسجلماسة وبها ترعرع، وبعد حفظ القرآن والمبادئ العلمية الأولى التحق بفاس فأخذ عن علمائها، وقبل معركة وادي المخازن، التحق بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري التي لم يفارقها إلا حاجا سنة 1001هـ، بعد عودته من الحج استقر في الساورة ببني عباس، وفي سنة 1008هـ زار ابنُ أبي محلي الشيخَ عبد القادر السماحي بالشلالة الظهرانية، فأكرمه وعرض عليه شرح قصيدته الياقوتة أو سلسلة الأشياخ كما كانت تسمى في بداية الأمر، تكرر اللقاء بينهما بفجيج في زاوية السماحي سنة 1012هـ، وتكلل هذا التقارب بزواجه من بنت السماحي رقية، إلا أن ذلك لم يدم إلا بعض الشهور ليقع الطلاق بين الزوجين، وتنقلب المودة إلى عداء عنيف جعل ابن أبي محلي يشهِّر بالسماحي في كتبه، خصوصا كتابه " منجنيق الصخور" المحشو كله بالمثالب والاتهامات[77] التي ألصقها به، ولم يكتف بذلك بل راسل علماء الحواضر العلمية في الشرق والغرب لتأليبهم على السماحي، ثم كوَّن له أتباعا قصد بهم سجلماسة، وجهز منهم ومن غيرهم جيشا زحف به على مراكش، وبها إذاك السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي فاحتلها وطرده منها، وأعلن نفسه بها سلطانا، بقي في الحكم زهاء ثلاث سنوات، إلى أن استظهر عليه زيدانُ بالشيخ يحيى الحاحي، فهزمه على باب مراكش وقتله سنة 1022هـ وقد بلغ من العمر 55 سنة.[78]

ومن طلبة السماحي ومريديه كذلك:

- ابن عمته الشريف يحيى بن عبد الرحمان النهاري الملقب ابن صفية.

---

[77] - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين (م.س) ص 32.

- عبد المجيد القدوري، إبن أبي محلي الفقيه الثائر، ص46.

[78] Jacques Berque, Ulemas, fondateurs, insurgés du Maghreb.p.45-107.

- الفقيه محمد بن عبد الرحمان السكوني.
- صهره محمد أمقران حفيد سيدي عبد الجبار الفجيجي.
- الشاعر أحمد بن عبد الرحمان بن بودي الزناقي.
- يوسف ابن عابد الوكيلي الفاسي (صاحب الرحلة).
- القاضي محمد بن عبد الله الجراري الجوزي.
- عبد الحكم بن عبد الله الجراري وغيرهم كثير.

عندما انشق ابن أبي محلي عن السماحي استقطب عدة أتباع له في فجيج، وجذب إليه بعض تلامذة السماحي كآل السكوني وحدوش البريشي ويحيى بن صفية وغيرهم. واستعصى عليه غالبية مريدي السماحي.

كما أن الأمير زيدان بن أحمد المنصورقبل توليه الملك، أقام مدة بزاوية الشيخ السماحي بفجيج، وكان محل تكريم خاص وعناية فائقة، حتى كان السماحي يناديه استئناسا " ابَّا زيدان" كما يحكي ذلك ابن أبي محلي في منجنيقه، وكان السلطان أحمد الذهبي وولده زيدان يُعدَّان من مريدي السماحي، وإبان حكمه بعث زيدان السعدي رسالة إلى الشيخ السماحي يسأله فيها عن التصوف وشروطه وقواعده، وردَّ عليه هذا الأخير برسالة (مؤرخة في ربيع الثاني سنة1016هـ) أجابه فيها عن تساؤلاته، وهي من جملة آثار السماحي المحفوظة[79].

من المحتمل أن كتب التراجم أهملت ذكر الشيخ السماحي متأثرة بالحملة الكبرى التي أطلقها ضده ابن أبي محلي، فنسبه إلى طائفة العكاكزة الإباحية[80].

والشيخ السماحي هو الذي أخذ البيعة للأمير زيدان بعد وفاة أبيه من سكان فجيج، وهذه البيعة كانت من جملة الأحداث التي كان ابن أبي محلي يتخذها ذريعة للطعن في الشيخ السماحي بعد القطيعة التي فصلت بينهما.

---

[79] محمد بوزيان بنعلي، مجلة دعوة الحق، عدد 338 السنة 1998.

[80] محمد حجي، الحركة الفكرية (م-س). ص 516.

والفرق واضح بينهما، فبينما كان الشيخ السماحي يناصر شرعية الدولة، كان ابن أبي محلي يهيئ نفسه للخروج على السلطان الشرعي.

رغم الضجة التي أحدثتها اعتراضات ابن أبي محلي على الشيخ السماحي واتهامه له بالبدع، ورغم كتاباته الكثيرة[81] التي واكبت هذه الضجة، والرسائل التي لم يفتأ ابن أبي محلي يبعثها إلى شيوخ الحواضر العلمية في شرق العالم العربي وغربه للتشهير به فإن الطريقة الشيخية انتشرت ولقيت قبولا في القبائل القريبة والبعيدة، وافتضح أمر ابن أبي محلي عند شيوخ الشرق لما احتدَّ النقاش حول الدخان[82]، واتضحت نيته عند أهل المغرب عندما رمى بقلمه وأخذ سيفه طلبا للرئاسة والملك، وفي المقابل أصبحت زاوية السماحي مقصد الزوار، ومحطة يؤمها الباحثون عن الشيخ المربي الحي، العارف بالله والدال عليه، كما يحدثنا الرحالة ابن عابد الفاسي[83] الذي طاف نواحي المغرب من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه بحثا عن الشيخ الذي يأخذ بيده، ولم يُلقِ عصا التسيار إلا في حضرموت باليمن بعد رحلة طويلة، تضمنها كتابه "رحلة ابن عابد

---

[81] كالإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، ومنجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور، وسم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة، والسيف البارق مع السهم الراشق، ومهراس رؤوس الجهلة المبتدعة، ومدارس نفوس السفلة المنخدعة، وهي كتب تُقرأ من عناوينها، وتدل أسماؤها على محتوياتها، وعلى تشدد صاحبها، وتطرفه، وحدة طبعه، وميله إلى العنف.

[82] كتب العارفُ بالله الشهير الشيخ إبراهيم اللقاني المصري المتوفى سنة 1041هـ في كتابه "نصيحة الإخوان باجتناب الدخان" متحدثا عن إبن أبي محلي (... ففي أول شيوعه – الدخان- بمصر دخل به رجل من تافلالت من بلاد المغرب يقال له أحمد بن عبد الله الخارجي – ابن أبي محلي- المشهور بسفك الدماء بغير حق، وإهانة أهل بيت الرسول من أشراف ملوك المغرب. وكان مُلَبِّساً على العامة يزعم أنه من العارفين وأهل السلوك وهو مغرور مخدوع...).

انظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الأول، ص 28.

وانظر: عبد المجيد القدوري، ابن أبي محلي، الفقيه الثائر، ص 104.

[83] الشيخ يوسف بن عابد بن محمد الوكيلي الإدريسي، المزداد سنة 965هـ (بعيون سيدي ملوك) العيون الشرقية، والمتوفى بحضرموت باليمن سنة 1048هـ... رحلة ابن عابد الفاسي ص7.

الفاسي من المغرب إلى حضرموت" وكان الشيخ السماحي من بين الشيوخ المعتبَرين الذين ذاع صيتهم في المغرب، ومن ثم كان ضمن الشيوخ المقصودين لهذا الغرض من طرف ابن عابد الفاسي، الذي جاءه قادما مباشرة من سجلماسة بعد أن زار الشيخ عبد الرحمان بن علي الملقب بمن لا يخاف إلا الله تعالى، وزار ضريح الشيخ ابن عبد الرحمان السهلي الذي لقبَّه بالفجيجي، إما عن سهو وإما أنه كان يُدعى آنئذ بالفجيجي، ربما لاستقراره في فترة ما من عمره بفجيج، أو لمقامه بها طلبا للعلم بزواياها، استقبل الشيخُ السماحي ابنَ عابد الفاسي وأكرمه ولقنه بعض الأوراد بطلب منه، وأشار عليه بمواصلة بحثه، وزوده بما يعينه على سفره.

وصل ابن عابد صاحب الرحلة إلى اليمن ووجد شيخه الذي كان يبحث عنه في المغرب والمشرق، وهو الشيخ أبو بكر بن سالم السقاف، في قرية عينات باليمن، وكانت للسقاف مكانة سامية بين أهل حضرموت، تنتشر أمام موكبه الأعلام، وتضرب الطاسات، وترك عدة تآليف في التصوف[84] إستقر إبن عابد في الحزمة وتزوج فيها، وأسس- بعد وفاة شيخيه- زاويته بها، واجتمع عليه المريدون وطلبة العلم، وفي آخر أيامه أملى على تلميذه جابر بن علي الجبني المدحجي الكهلاني هذه الرحلة. ونجد أسماء بعض الأشخاص والأماكن غير مطابقة لما عُرفت به أو تُعرف به الآن، خصوصا عندما تعرض لذكر المغرب الشرقي، فقد نعت ابن عبد الرحمان السهلي **بالفجيجي**، ولا ندري هل كانت عيون سيدي ملوك الحالية تدعى **الفيضة** - حيث كان مولده - لتدفق وادي مطروح بها، أو كان يقصد الفيضة الكائنة جنوب البصارة شرق النعيمة، أو الفيضة الكائنة جنوب وادي بورديم، ويطلق إسم الفيضة على المكان المنبسط الذي يتدفق فيه وادي حالة فيضانه، والفيضات المذكورة كلها موجودة بنواحي العيون، وقد تكون يومئذ عشيرة ابن عابد عشيرة رحالة تتنقل في هاته النواحي فازداد بفيضة منها.

[84] خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2 ص64.

توافد الطلاب والمريدون على الشيخ السماحي من قبائل وأمصار مختلفة، نعرفها من أسمائهم، فهناك التلمساني والفاسي والمراكشي والإزناسني والكبداني والفيلالي والقراري والتواتي والتونسي...الخ، كما وردت في كتاب السكوني الذي خصصه لذكر مناقب السماحي.[85] وأكد هذا الإشعاعَ الشيخُ محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي[86] الذي كان معاصرا للسكوني، فقد ذكر السماحي بكل توقير وتعظيم، وأسهب في الحديث عن الحاج إبراهيم بن الشيخ السماحي الذي كانت تجمعه بالصائم التلمساني صداقة حميمية وأخوة في الله.

وفي آخر أيامه انتقل السماحي بزاويته إلى الأبيض، تجنبا للفتن التي عرفها المغرب بعد وفاة السلطان أحمد الذهبي. وتوفي سنة 1025هـ/1616م بين كراكدة وربا متأثرا بجراح أصيب بها أثناء اشتراكه في التصدي للإسبان المحتلين لوهران، وقد شهد هذه المعركة وعمره خمس وثمانون سنة[87]، وسوف نجد لاحقا أن الشيخ بن الطيب ـ وهو من ذريته ـ موضوع كتابنا هذا قد تزعم - وهو ابن التسعين سنة - معركة عين الشعير ضد الفرنسيين الذين حاصروها بقوة عسكرية يقودها الجنرال ويمفن(Wimpffen) في 1870/04/24م.

وبوصية من الشيخ السماحي صلى عليه صهره القاضي امحمد عبد الله بن عبد الكريم الجراري الجوزي ونُقل جثمانه إلى الأبيض الذي أصبح منذئذ يسمى الأبيض سيدي الشيخ.

---

[85] أحمد بن أبي بكر السكوني، تقوية إيمان المحبين.(وبعض الأسماء حسب الرواية الشفوية)

[86] محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب الجزولي(إزداد سنة 1014هـ) صاحب كتاب "كعبة الطائفين" سماه أبوه الجزولي تيمنا بصاحب دلائل الخيرات، كان أبوه صوفيا، ولم يرزقه الله ذرية، فذهب لزيارة الشيخ السماحي مع أحد مريديه أو مقدمه من تلمسان، وطلب من السماحي الدعاء له بالذرية، فقال له سيكون لك ولدان من حملة القرآن، هكذا يحكي الصائم التلمساني عن أبيه في كتابه ذي الثلاثة أجزاء، ويعرض في هذا الكتاب لذكر الحاج إبراهيم بن السماحي الذي أخذ بعد وفاة أبيه عن الشيخ الحسن الكوش عند اجتماعه به في المدينة المنورة.(قيداري قويدر، كعبة الطائفين، الجزء 1، ص 15و226.)والحسن الكوش هذا هو بن عبد العزيز بن سيدي رحال البدالي الكوش دفين زاويته المشهورة شمال مراكش، أما الحاج إبراهيم فقد توفي بأوقروت إقليم أدرار(الجزائر) وضريحه بها معروف.

[87] أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي، السلالة البكرية الصديقية، الجزء 1، ص446.

الطريقة الشيخية

قبل وفاة الشيخ السماحي - ولكي يُجَنِّبَ أبناءَه مغبة الخلاف، وليضمن للزاوية الاستمرار والبقاء - إرتأى أن يُسند تسيير زاويته لنخبة من عبيده اختارهم وحررهم بعقد شرعي، وحبَّس عليهم وعلى ذريتهم حق جمع الصدقات والهبات، والتحكم في كل موارد ومداخيل الزاوية، ثم التصرف فيها لتسيير شؤون الزاوية من استقبال للضيوف والزوار، والقيام بواجب السهر على راحتهم واستقرارهم، والنفقة على الطلبة ومعلميهم، وتقديم الهدايا للشرفاء والأعيان، كلٌ حسب مقامه[88]، وذلك تحت الإشراف الفعلي للشيخ الوارث لمشيخة الزاوية، الذي كان دوره دعويا، يسهر على نشر الطريقة وتعيين المقدمين، وتمثيل الطريقة لدى الخاص والعام، وكانت بداية توارث المشيخة كالتالي:

الحاج أبو حفص[89] (الإبن) بن عبد القادر السماحي:

كان الحاج أبو حفص بن عبد القادر السماحي أول شيخ ورث مشيخة الطريقة بعد وفاة مؤسسها، وكان معروفا بصلاحه، فقيها صوفيا صالحــا يحظى بتقدير كل من لقيه وعاشره، لم تؤثر فيه انتقادات ابن أبي محلي الموجهة إلى أبيه. عاش دهرا طويلا مقسِّما أيامه بين التعليم، والجهاد، والحج[90] كما ذكر ذلك الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته ماء الموائد، ونعته بكل تقدير وإجلال، كما "عَنِيَتْ بذكره كتب التراجم المغربية، وأجمع أصحابها على علمه وصلاحه، واستقامة أمور الطريقة الشيخية على عهده"[91] رشحه أبوه

---

[88] Louis Rinn, Marabouts et khouan, p.353.

[89] أبوحفص كنية اشتهر بها سيدنا عمر بن الخطاب وكل من سمي عمر بعده، وهو رضي الله عنه أبو حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك غلبت عليه هذه الكنية، وفي المناطق التي انتشرت فيها الطريقة الشيخية، كان أتباعها ومحبوها يطلقون اسم شيخيْها أبي حفص الإبن أو أبي حفص الحفيد على مواليدهم، ولا يزال هذا الأسم متداولا بصيغة "**بحوص**" كما تعودته ألسنة أهل المنطقة.

[90] محمد حجي، الحركة الفكرية (م-س) ص 222.

[91]عبد الله نجمي، معلمة المغرب (م-س) ص5446.

قبل وفاته لتولي مشيخة الزاوية من بعده، وقبل وفاة الحاج أبي حفص أوصى بها لأخيه عبد الحكم.

الحاج عبد الحكم بن عبد القادر السماحي:

تولى مشيخة الطريقة من بعد أخيه السابق الذكر، وسار فيها كسيرته، وقبل وفاته أوصى بتولي مشيخة الزاوية لابنه أبي حفص.

أبي حفص الحاج(الحفيد) بن عبد الحكم بن عبد القادر السماحي:

ولكي لا يلتبس الأمر على القارئ، فقد ميزنا الحاج أبا حفص ابن الشيخ السماحي بـ (الإبن) عن إبن أخيه أبي حفص الحاج (الحفيد). كان هذا الأخير مميزا بين أقرانه بصلاح حاله، وتقواه واستقامته في سره وجهره، معروفا بغزارة علمه وعلو كعبه في طريق القوم، أخذ التصوف عن الشيخ العارف بالله إبراهيم بن أحمد القادري[92] صاحب زاوية الواجدة بإقليم توات، وللشيخ أبي حفص الحاج (الحفيد) بن عبد الحكم السماحي عدة مؤلفات، نعرف منها:

- مفاتح الخيرات في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، وهو على غرار كتاب" دلائل الخيرات" الذائع الصيت للشيخ الإمام محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة870هـ.(حققه وعلق عليه عبد الله طواهريه)
- بهجة البهاج المشهودة في التوحيد.(تحقيق عبد الله طواهريه)
- المؤلفة في أسماء الله الحسنى.(مفقود)

بعد فترة من توليه أمر الزاوية طالبه أبناء عمه الحاج أبي حفص (الإبن) بإرجاع أمر مشيخة الزاوية إليهم نظرا لأن أباهم ورثها عن جدهم المؤسس، ووقع الخلاف والشنآن، مما اضطر الشيخ أبي حفص الحاج (الحفيد) إلى التخلي عن المشيخة للمطالبين بها، واختار لها منهم أكفأهم، وأعرفهم بطريق القوم، وهو الشيخ ابن

[92] الشيخ إبراهيم بن أحمد، القادري نسبا، كان عالما فاضلا، متفننا في علوم عديدة، أخذ عن الشيخ الحاج محمد البلبالي، توفي سنة 1107هـ ودفن بالواجدة، وضريحه بها مشهور. (عبد الله طواهريه، معجم الأعلام البكريين الصديقيين، ص 48).

الدين حفيد الحاج أبي حفص(الابن)، ظنا منه أنه حسم الخلاف، ثم جهز نفسه للهجرة إلى الشرق حيث اختفى أمره. تضاربت الروايات حول مستقره، فمنهم من يروي أنه جاور بالحرم المكي أو الحرم النبوي، ومنهم من ذكر أنه استقر بمصر، ولم يثبت من هذه الروايات شيء قاطع يُعتمد عليه.

بعد رحيل أبي حفص الحاج (الحفيد) إلى الشرق، وبعد وفاة الشيخ ابن الدين الذي خلفه على رأس الزاوية، عاد الخلاف بين حفدة الحاج أبي حفص بن عبد القادر السماحي وحفدة أخيه الحاج عبد الحكم، وتطور بينهما الخلاف إلى الاقتتال في بعض الأحيان، مما حدا ببعض الشرفاء من آل الشيخ امحمد بن عبد الرحمان السهلي ومن أعيان القبائل ومقدمي الطريقة الشيخية ومريديها إلى التدخل لاقتسام الزاوية بينهما، فانقسمت إلى زاوية شيخية شرقية وزاوية شيخية غربية سنة 1766م وبناء على ذلك تقلد سليمان بن عبد القادر مشيخة الزاوية الغربية، والعربي بن الدين مشيخة الزاوية الشرقية.



ضريح الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي مؤسس الطريقة الشيخية.
الكائن بالأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الجزائري.
بعد نسفه من طرف الجيش الفرنسي، أعيد بناؤه بأمر من الحاكم الفرنسي على الشكل الحالي، على إيد بنائين وصناع من فجيج.
(الصورة من إهداء الأب ميلاد عيسى سنة 1984)

انقسام الزاوية الشيخية إلى شرقية وغربية

سُمِّيَتَا كذلك لأن الشرقيين كانوا يسكنون شرق ضريح جدهم الشيخ عبد القادر السماحي ويسكن الغربيون غربه، وكان الضريح يتوسطهم بالقرية المسماة الأبيض سيدي الشيخ[93]، وهذا سبب تسميتهم بالشراقة والغرابة أي بالنسبة لموقع ضريح جدهم، ولا علاقة لهذه التسمية بكون الغرابة مغاربة والشراقة جزائرين، وقد جرت العادة في جميع بقاع الأرض على التمييز بهذه الكيفية بين قبيلتيْن أو حييْن أو مكانيْن يكون أحدهما شرقا والآخر غربا بالنسبة لموقع معين.

توارث آل ابن الدين مشيخة الطريقة الشيخية الشرقية، وتوارث آل أبي حفص الحاج (الحفيد) مشيخة الطريقة الشيخية الغربية، ورغم ذلك فقد استمر النزاع بين الفريقيْن وطال إلى ما يقرب قرنا من الزمان تطور خلاله بين الفينة والأخرى إلى صِدَام دموي.

في بداية منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان حمزة بن أبي بكر شيخا للشراقة، وكان الشيخ بن الطيب شيخا للغرابة بعدما ورث كل منهما مشيخة الطريقة عن آبائه وأجداده شيخا عن شيخ كما هو مبين في سند طريقتيْهما، وفي سنة 1875 سيؤسس الشيخ بوعمامة فرعا لزاوية شيخية ثالثة لتستمر الطريقة الشيخية بثلاثة فروع.

---

93 الأبيض سيدي الشيخ: كان يسمى الحاسي الأبيض، وبعد دفن الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي به في بداية القرن الحادي عشر الهجري أصبح يسمى الأبيض سيدي الشيخ، وبه ضريحه ومركز الزاوية الأم للطريقة الشيخية، وبه يقام الموسم السنوي لأتباع الشيخية وقد صُنِّف هذا الموسم ضمن التراث الإنساني اللامادي في المؤتمر الثامن لليونيسكو المنعقد في باكو عاصمة إذربدجان في دجنبر2013، وقع الخلط لبعض المؤرخين بين الأبيض والبيَّض والبيُوض، **فالأبيض** هو ما ذكرنا، و**البيَّض** مدينة تقع شمال الأبيض سيدي الشيخ تبعد عنه 126 كلم. كان البيَّض يسمى في عهد الاستعمار الفرنسي بجريفيل (Geryville)، وكان قبل احتلاله أطلالا لموقع روماني قديم، وأول من وصله في حملة عسكرية هو العقيد جيري سنة 1843، ومنه أخذت القرية اسمها، احتلها الجنرال بيلسيي فاختار لها هذا الإسم، وأسس بها مركزا عسكريا سنة 1852، أُطلِق عليها اسم العقيد جيري كما أطلق على عدة مدن جزائرية أسماءُ ضباط فرنسيين لعبوا دورا في احتلالها وإخضاع أهلها، ثم عادت بعد استقلال الجزائر إلى اسمها القديم، وهناك أيضا قرية بالمنطقة تسمى **البيوض** تقع شمال المشرية، وكل هذه الأماكن تقع في الجنوب الغربي الجزائري حاليا.

حمزة بن بوبكر هو زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وشيخ الزاوية الشيخية الشرقية، استسلم للفرنسيين سنة 1850، ونظرا للتنافس الذي كان بين الغرابة والشراقة عينته سلطة الاحتلال خليفة على أولاد سيدي الشيخ الشراقة، لكسب وده وود أتباعه، وذلك بعدما عين السلطانُ مولاي عبد الرحمان بن هشام منافسه الشيخَ بن الطيب زعيم الغرابة خليفة له على المناطق الجنوبية الشرقية من المملكة المغربية سنة 1849.

تزامن وجود حمزة بن بوبكر والشيخ بن الطيب مع بداية احتلال الجزائر (المدينة)- التي كانت تسمى جزائر بني مَزْغَنَّة (أو مدينة مزغنة[94]) وهي العاصمة الحالية للقطرالجزائري- من طرف القوات الفرنسية على خلفية ما كان يسمى بحادث المروحة المشهور.
نزلت القوات الفرنسية بخليج سيدي فرج[95] في صيف سنة 1830 وهي السنة التي افتتحت بها فرنسا احتلال الجزائر لتحتل تدريجيا - بعد

---

[94] الشلالي بن المازوزي بن بودواية البوشيخي البكري، من فحول شعراء الملحون، تقول الرواية الشفوية أنه توفي سنة 1823، ولكني أرجح أن وفاته كانت بعد 1830، لأنه يصف - في إحدى القصائد المنسوبة إليه - إحتلال الجزائر من طرف الفرنسيين في 1830، ويخص بالذكر مدينة الجزائر باسمها المعروف إذاك **"مزغنة"** فيصفها ويصف الجيش الفرنسي الذي استولى عليها، وأسلوب القصيدة يوحي بأنه صاحبها دون منازع.
يقول في الأبيات التي وصلتنا من القصيدة:

صبحتْ الاسلامْ في الوطنْ جارْ على جار — وبقاتْ مدينة القْصـــــرْ والقْيطانة
من كاف لتافنة بقات الا تفكـــــار — ميَّل سلطانهـــا وصبحت مهيونة
هي للمسلمين قنطــــاس الحمَّار — عجبتهـــا عجب العجايب في زمانة
ما هي قاع في الاوطـــان ولا الأبرار — حاشا مكـــــة المْكرمة والمدينة
تبكي عيني على المحصنـــة زينة الاسوار — من ملكـــوها الروم بالعنف علينا
للوقت وقوف للصـــــلا لبدا حضّار — تبكـــــي عيني على مدينة **مزغنة**
سقطت البـــلاد غير في عشرين نهار — ما عتى ذاك النهـــار ما اعتاها محنة
صف ورا صف كي الجحمـــوم إذا طار — وبراريط محـــــردة صِفة شينة
زلويج ولانقليز يدفع وجبل طـــــار — يدفع ليها قريش وبلاد القرنـــــى
صحرة الأفياد والفيافي والقفــــار — من جكنة دوي منيع لجكنـــــة.

[95] سيدي فرج: زاوية بها ضريح ومسجد تنسب إلى هذا الرجل الصالح الذي كان – حسب الرواية الشفوية – من مهجري الأندلس، والمكان يقع غرب الجزائر العاصمة، يبعد عنها بـ 30 كلم.

عقود من هذا الإنزال- شمال إفريقيا كله، بل جميع إفريقيا إلا ما اقتسمته مع القوى الغربية المنافسة لها.

بعد خلافات قديمة وعميقة، عرفت هذه السنة تحسنا في العلاقة بين أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة، وازداد التقارب بينهما التحاما عندما أصبحت القوات الفرنسية على مشارف مناطق وجودهم، هذه المناطق التي تبتدئ من شمال البيَّض وتنتهي في الواحات الجنوبية، وكانت قبائلها ترتبط برباط البيعة مع سلاطين المغرب الذين كانوا يعينون قوادها وقضاتها، وكانت معاملاتهم التجارية تتم بالعملة السلطانية، ويُدعى للسلطان في خطب الجمعة بمساجدهم، وبهذه الثوابت كان أولاد سيدي الشيخ والقبائل التابعة لهم يُعرفون بمغربيتهم وبولائهم لسلاطين المغرب، وقد دأبوا على هاته العلاقة منذ العصر السعدي، فقد كانت لجدهم مؤسس الطريقة الشيخية علاقة خاصة بالأشراف السعديين، وخصوصا في عصر السلطان أحمد الذهبي ذؤابة مجد السعديين، ولم تعرف لهم علاقة ولاء للأتراك، إلا ما كان من حسن الجوار أو العلاقات العامة.

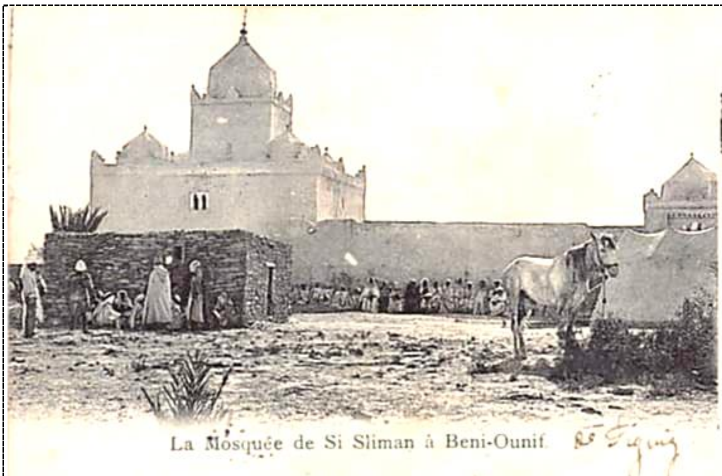
تأكد ولاؤهم للشرفاء العلويين منذ عصر المولى رشيد المؤسس الفعلي للدولة العلوية[96]، ثم تأكد مع حكم المولى اسماعيل الذي كان لشيوخ الطريقة الشيخية الغربية تواصل معه، بالمراسلة والزيارة[97]، واستمروا على ذلك، إذ كانوا لا يقدمون على أمر ذي بال إلا بعد استشارة السلطان، ولا يصدرون أو يردون إلا عن تعليماته وأوامره، وكانوا يُنَظِّمون الوفود لحضور المناسبات الرسمية وهي الأعياد الدينية التي يستقبل فيها السلطان مسؤولي مملكته، وتكون فرصة تُدرس فيها المستجدات، وتُحل المشاكل العالقة بين الأعيان أو بين القبائل، ويتم فيها تعيين القواد والقضاة الجدد أو يتم استبدال بعضهم

---

[96] كان لإبراهيم بن التاج (حفيد الشيخ السماحي) مكانة لدى السلطان مولاي رشيد لِمَا كان يتمتع به من سمعة طيبة وجاه عريض لدى قبائل المنطقة. وهو الجد الرابع للشيخ بوعمامة بن العربي. (انظر: عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص38)

[97] تحكي الرواية الشفوية أن السلطان مولاي اسماعيل كان أحد شيوخ أبي حفص الحاج بن عبد الحكم (حفيد الشيخ السماحي) في التصوف.انظر: محمد ابن الطيب البوشيخي. أولاد سيدي الشيخ، ص 172/171.

ببعض، أو ملء الأماكن الشاغرة بمسؤولين جدد، وقد أُهديت في مناسبة من هذه المناسبات سنة 1844م الياقوت أخت الشيخ حمزة بن بوبكر شيخ الطريقة الشيخية الشرقية إلى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام[98]، وقد كانت أختها ذهيبة[99] زوجة للشيخ بن الطيب شيخ الطريقة الشيخية الغربية.



ضريح الشيخ سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف
بالجنوب الغربي الجزائري حاليا

[98] Trumelet Corneille, Les français dans le désert, p. 85.

[99] محمد إبن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، الطبعة الثالثة، ص 261.

انتقال وراثة مشيخة الزاوية الشيخية وانقساماتها

مؤسس الطريقة الشيخية

سيدي الشيخ (عبد القادر بن محمد السماحي) (1)

1616 م

الحاج أبوحفص (2) ← الحاج عبد الحكم (3)

1670 م

أبوحفص الحاج (4) الحاج الدين

1756 م

بن الدين (5) **قدور**

فترة الإنقسام

	(شيوخ الزاوية الشرقية)	(شيوخ الزاوية الغربية)	
1765م	العربي (1)	سليمان (1)	
	أبوبكر(2)	محمد (2)	
1805م	النعيمي (3)	الطيب(3)	
1875	ابـــوبكر الصـــغير (4)		ظهـــور الشـــيخ بوعمامـــة
1829	حمزة (5)	الشيخ(4	
	قدور (6)	الحاج العربي	بوعمامة (1)
		معمر (6)	
	الدين (7)	علال(7)	الطيب (2)
1940	عبد القادر (8)	محمد الطيب(8)	عبد الحكم(3)
1972 م	العربي (9)	الحاج بحوص (9)	حمزة (4)

(بعد وفاة الشيخ ابن الدين الشيخ الخامس للزاوية بعد مؤسسها، اختُلِف على تسيير الزاوية، فانقسمت إلى شرقية وغربية، فتوارث كل من الفريقين تسيير زاويته على حدة، ثم في أواخر القرن التاسع عشر ظهر الشيخ بوعمامة، وأنشأ زاوية شيخية ثالثة)

(؟) التاريخ المشار إليه على اليمين ليس للضبط وإنما للتقريب والإشارة فقط.

(منقول عن : محمد بن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، الطبعة الثالثة، ص 237)

الشيخ بن الطيب شيخ الطريقة الشيخية الغربية

إسمه الشخصي: "الشيخ" وليس لقباً يعني المشيخة التي كان يمارسها، فهو الشيخ بن الطيب بن محمد بن سليمان بن قدور بن أبي حفص الحاج (الحفيد) بن عبد الحكم بن الشيخ عبد القادر السماحي بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة. وأمه ڨوتة (الياقوتة) بنت الحاج محمد الصوف بن الشيخ بن سليمان بن محمد بن زيان بن الحاج عبد الحكم، وكان لأخيها الحاج الصوف - الإبن- (سيأتي الحديث عنه) مكانة عند السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام.

ولد الشيخ بن الطيب سنة 1780م بالشلالة الظهرانية وتوفي سنة 1870م بوزدات من نواحي عين بني مطهر، ودفن بوصية منه بالضريح الرمزي[100] لجده الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي بالقرب من الحمام الفوقاني بقصر آجدل بفجيج، ويطلق على هذا القصر كذلك إسم: " السهلي".

"كان (الشيخ بن الطيب) رجلا متفقها، متصوفا، حكيما سياسيا"[101]. وصلت إليه مشيخة الطريقة الشيخية من مؤسسها الشيخ عبد القادر السماحي عن طريق سلسلة أسلافه أبا عن جد، وعند انقسام الزاوية إلى غربية وشرقية كان جد أبيه سليمان[102] بن عبد القادر بن أبي حفص الحاج (الحفيد) أول شيخ ومؤسس للزاوية الشيخية الغربية.

بعد وفاة أبيه الطيب أجمع أغلب أولاد سيدي الشيخ الغرابة على توليته مكان أبيه، فقام على تسيير الزاوية على سَنن سابقيه.

---

[100] المرجع نفسه، ص 68.

[101] العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن(م-س) ص 41.

[102] سليمان بن عبد القادر(قدور) تتلمذ على يد الشيخ سيدي أحمد التجاني، وكان من خواص المقربين منه (أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب من ص 89 إلى ص 247. ويشير سكيرج في الهامش إلى الكتب التي استقى منها معلوماته لترجمة سليمان بن قدور وأبيه قدور بن بحوص وهي كالتالي:

- الحجوجي، نخبة الإتحاف، رقم ت 179.
- سكيرج، يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني، مخطوط.
- أحمد العبد اللاوي، كناش الفقيه ص 49، (مخطوط خاص).

ممتلكات الشيخ بن الطيب في ما كان يعرف بالجنوب الشرقي المغربي:

- **الأبيض سيدي الشيخ**

كان الشيخ بن الطيب يسكن في القصر الغربي من الأبيض سيدي الشيخ، حيث كان يزاول مهامه كشيخ للزاوية الشيخية الغربية، كانت له به سكنى ومرافق تابعة للزاوية، وكانت إلى حدود سنة 1972 تابعة للزاوية الشيخية الغربية يتصرف فيها وارثو المشيخة الغربية المغربية[103].

- **الشلالة الظهرانية**

كانت له دار واسعة يتخذها زاوية، ومرافق للخزن والتموين، ولا تزال إلى الآن جدرانها وآثار مرافقها واقفة في القصر القديم بالشلالة الظهرانية، كما كانت له بها أجنة ونخيل وعين ماء لا تزال تُعرف باسمه[104].(أنظر: الملحقات في آخر الكتاب)

- **أم قرار التحتانية وأم قرار الفوقانية**

أكثر أملاكه اتساعا كانت بهذين القصرين، فقد كانت له أكثر من عشرة أجنة، مع ما يتبعها من نخيل، وخراريب ماء، ودورٌ له ولأهله ولخدمه وأتباعه[105]. وعندما نتعرض في آخر الكتاب للحديث عن إبنه الأصغر علال بن الشيخ بن الطيب سنجد وثيقة تثبت ممتلكات أبيه في أم قرار التحتانية.

---

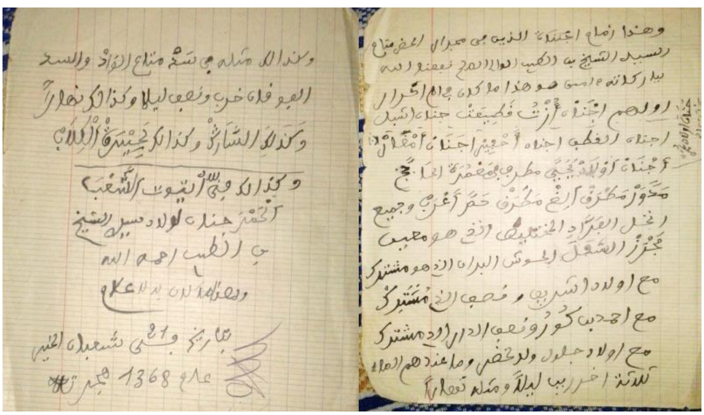
[103] هذا ما وثق به العقيد دوماس وضعية الأبيض سيدي الشيخ سنة 1845 قبل احتلالها:
" كان القصر الغربي من الأبيض سيدي الشيخ يتكون من أربعة قصور هي:
1- قصر أولاد سيدي الحاج أحمد
2- تينكت
3- أولاد بودواية
4- أولاد سيدي عبد الحكم. وكانت هذه القصور الأربعة تحت قيادة سيدي الشيخ بن الطيب"
(Voir : Dumas Eugène, Le sahara Algerien, p.125.)

[104] أنظر في الملحقات آخر الكتاب.

[105] محمد ابن الطيب البوشيخي (م-س) ص 258.

- تيوت

كانت أملاكه بتيوت، إلى وقت قريب، تُعرف باسمه.(أنظر الملحقات)
وقد سجل الضباط الفرنسيون الذين قاموا باستطلاع المنطقة قبل احتلالها، أن القصور، والواحات الجنوبية الشرقية، والمجال الرعوي الممتد بين الأبيض سيدي الشيخ ووادي الناموس هي لأولاد سيد الشيخ الغرابة المغاربة[106].
كما كانت له أملاك أخرى متفقرقة في قصور بوسمغون والصفيصيفة وغيرها، وذلك على عادة سكان المنطقة في اتخاذ أماكن لخزن كل ما يثقل حمله، لأنهم كانوا قوما رحلا وفي حالة حرب مع عدو يباغتهم في كل حين.



جرد للممتلكات الشيخ بن الطيب بأم قرار وتيوت سجله حفيده أبوحفص بن علال بن الشيخ بن الطيب في 21 شعبان 1368 الموافق لـ 18 يونيو 1949.
(وثيقة في ملك المؤلف)

بالإضافة إلى ذلك كان له مخيم وزاوية متنقلة كانت تصحبه فيها القبائل المغربية التي كانت تحت نفوذه والتي كان يوليه عليها سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان بن هشام، وبعد وفاته جدد له ظهير التولية خليفته على العرش المغربي السلطان سيدي محمد بن

---

[106] De La Martinière (H.-M.-P.) et N.Lacroix, imprimé par Maison L.Danel, Lille. Documents pour servir à l'étude du nord ouest africain(DPSENOA), réunie et rédigé par ordre de Jules Cambon gouverneur Général de l'Algérie, 1896, p.85.

عبد الرحمان. وكانت القبائل التابعة له تتكون من أولاد سيدي الشيخ الغرابة بفروعهم، وحميان الغربية والشرقية ببطونها، والعمور[107]، وبني كُيل [108] وأولاد جرير[109]، والقصور والواحات المتناثرة في الجنوب الشرقي والتي كانت كلها التابعة لفجيج قطب دائرتها ومنهلها التجاري والعلمي، وكان المجال الرعوي لهذه القبائل يمتد من شمال المشرية إلى وادي الناموس جنوبا، كما كانت حالات المراعي تتطلب منهم مراراً الوصول إلى وادي ڤير غربا بنواحي تافلالت، وإلى أنچاد بنواحي وجدة، وكانت للشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة وشيخ الطريقة الشيخية الغربية علاقات مع قبائل الشرق المغربي التي كان بعضها ينتمي إلى الطريقة الشيخية، مثل قبائل المهايا[110] وأهل أنچاد[111] وهي القبائل التي كانت

---

[107] العمور: من القبائل الهلالية القادمة من الشرق إلى المغرب العربي بداية من القرن الخامس الهجري، استقر العمور بادئ أمرهم بآفلو، ولا يزال جبل العمور بين تيارت والأغواط يحمل اسمهم، ثم نزحوا لأسباب مجهولة إلى نواحي العين الصفراء، ينقسم العمور إلى عدة فرق، وقد صنفتهم معاهدة مغنية ضمن القبائل المغربية، ولكن عندما توسع الاحتلال الفرنسي في الأرض المغربية ضمهم وضم أرضهم إلى الجزائر.

[108] بني كُيل: ترجع فروعهم إلى أصلين اثنين هما "بنو ڤومن" و"بنو غمراسن"، ينسبهم بعض المؤرخين إلى قبيلة بني حسن بنواحي وادي سبو، ويرجعهم آخرون إلى بقايا دولة بني عبد الواد الزيانية التلمسانية، وقد ألجأهم سقوطها وما ترتب عنه، سنة 1556م، إلى الابتعاد عن تلمسان مركز الصراع، فاستقروا بالنجود العليا المسماة " الظهرا " الواقعة بين عين بني مطهر وفجيج. وهم عدة بطون يتوزعون حاليا على مركزين اثنين هما بوعرفة وتندرارة.

[109] أولاد جرير: هم في الأصل فرقة من قبيلة احميان التي كان منتجعها ضفاف وادي ڤير في زمن يغمراسن مؤسس دولة بني زيان، وعند انتقال حميان شرقا بقي أولاد جرير بنواحي قصور بشار وواكدة، وانضموا إلى حلف زكْدو لحماية أنفسهم من الأحلاف القوية في المنطقة، ينقسم أولاد جرير إلى عدة فروع، وكان قواد فروعهم يَعَيَّنُون من طرف السلطان المغربي، واستمروا على ذلك إلى بداية القرن العشرين.

[110] المهايا (المهاية): تنقسم قبيلة معقل القادمة من الشرق - حسب تاريخ ابن خلدون - إلى ثلاث فرق هي ذوي منصور المستقرة في وسط المغرب، وذوي حسان الموجودة بسوس، وذوي عبيد الله التي تنتشر بين تلمسان وتاوريرت، ومعهم ناجعة يسمون المهاية ينسبون تارة إلى مهاية بن عياض، وتارة إلى مهاية بن مطرف، كما كانت تجاور ذوي عبيد الله – من الشرق- قبيلة بني عامر التي كان المهاية يختلطون بها أحيانا، وأصبحوا ينتسبون إليها، ومع مرور الزمن صارت المهاية قبيلة مستقلة بذاتها. (محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، ص 165).

تكوِّن قاعدة دعم لمقاومته، والبعض الآخر كانت تربطه بها المصالح والتحالفات.

انتساب الشيخ بن الطيب إلى الطريقة الوزانية

لم تحجبه مشيخة الزاوية عن طلب التربية والسلوك على يد العارفين بالله من أهل وقته، ولا حجبه انتسابُ أبيه وجده إلى الطريقة التجانية، فقد كان جده وجده لأبيه من خواص أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، إلا أن الشيخ بن الطيب تجاوز كل ذلك وانتسب إلى الطريقة الوزانية[112]، التي كانت تعرف إشعاعا كبيرا، فأخذ عن شيخها مربي زمانه سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني الذي تصدر مشيخة الطريقة الوزانية بين 1811م و1850م.

قد يتساءل القارئ كيف لشيخ زاوية أن يأخذ عن شيخ زاوية أخرى، ويتتلمذ على يده؟

يتضح الأمر إذا عرفنا أن الطرق الصوفية تنقسم إلى ثلاث:

---

111 أهل أنچاد: ينقسمون إلى غرابة وشراڤة، فالشراڤة هم أنچاد الڤور يقطنون شرق العريشة بالجزائر، والغرابة بسهل أنچاد الذي تتربع في جزء منه مدينة وجدة، ويردهم النسابة إلى قبيلة معقل، وإلى فرقة ذوي عبيد الله مثلهم مثل المهاية، وينقسمون إلى عدة فروع. (وجدة والعمالة للعقيد فوانو، ترجمة محمد الغرايب الجزء الأول، ص 286-288).

112 الطريقة الوزانية: أسسها مولاي عبد الله الشريف اليملاحي العلمي المزداد ببني عروس سنة 1005هـ/1597م، درس بفاس على كبار العلماء، ثم بعد تمكنه من علوم عصره لازم الشيخ علي بن أحمد الصرصري، الذي كان معتمده في طريق القوم، أسس زاويته حوالي 1059 هـ فأقبل عليه طلاب المشرب الصوفي من كل الجهات، وكانت زاويته تلقب بـ " دار الضمانة "، توفي مولاي عبد الله الشريف سنة 1089هـ/1678م واستمر إشعاع زاويته في عقبه فغطى المغرب العربي وما وراءه من العالم الاسلامي، وظهر فيها عدة شيوخ كبار كمولاي التهامي، ومولاي الطيب، وسيدي علي بن أحمد، وغيرهم، وانتفع بتربيتهم خلق كثير، ويقوم اليوم على شؤون الزاوية الوزانية الشيخ مولاي أحمد علي حيدرة وهو من ذرية مؤسسها. أنظر، الكتاب الموسوعي حول تاريخ الزاوية الوزانية وأعلامها:

(Sidi Mohamed El Yamlahi Ouazzani, l’alliance sacrée entre Dar Dmana et Dar El Makhzen, en deux tomes).

-1- **الطريقة التبركية** : وهي التي توفى شيخها المربي، وانقطعت بموته التربية، واقتصر أتباعه وأتباع أتباعه على أوراده، تبركا به ومحبة فيه وحرصا على الانتساب إليه، فمقامهم الإسلام.

-2- **الطريقة الإرشادية** : وهي التي- زيادة على حالة الطريقة التبركية - يلتزم أتباعها بالعلوم الشرعية، تعليما وتطبيقا، ومقامها الإيمان.

-3- **الطريقة التربوية**: وهي التي يقوم عليها الشيخ العارف بالله الحي، سلوكا وتربية وتوجيها، ومقامها الإحسان"[113].

فشيوخ الطرق التبركية أو الإرشادية في حاجة ماسة إلى السلوك على يد شيخ الطريقة التربوية للحصول على صلاح القلب الذي لا يتأتى إلا على يد العارف بالله الحي المأذون، ويدفعهم إلى ذلك طلب الكمال، لأن القناعة من الله حرمان.

وقد كان الشيخ بن الطيب شيخَ طريقة تبركية فانخرط بكل تلقائية وإخلاص في سلك أتباع شيخ الطريقة الوزانية التربوية إذاك.

والتصوف كعلم لا يدرك بالوراثة السلالية، ولا بمطالعة كتب القوم، ولا بالاجتهاد الفردي، ولكنه صحبة وسلوك وممارسة تحت إشراف شيخ عارف **مأذون**، ولا مانع لفضل الله أن يظهر عدة شيوخ **مأذونين** مربيِّن في سلالة ما، كما ظهر عدة أنبياء ورسل في ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام، مع كون النبوة والرسالة غير وراثيتيْن، وإنما هما اصطفاء من الله جل وعلا.

وعليه فالتصوف معارف تُدرك بصدق طلب وجه الله، في صحبة شيخ عارف بالله حي **مأذون** في تربية طالبي طريق الحق، ولا يخلو عصر من دال على الله بالشروط المعروفة عند أهله، فإذا التقى مريد صادق في طلبه، وشيخ صادق في دعوته، أثمر ذلك تصوفا صادقا في حقيقته.

---

[113] عبد الباقي مفتاح، مجلة الإشارة عدد غشت 2001، ص 15.

يقول الشيخ الإمام إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي[114] صاحب "روضة السلوان":

والشيخ نعم موضح السبيل يحمي من البدعـــة والتعطيل
من لا له شيخٌ فعن من يرثُ ومن به يَعْبَـــــأ أو يكترثُ ؟
يتيهُ في مَهَامِهِ الجهالـــةْ ممتطيا مطيـــــــة الضلالةْ
أولائك الذين ضلَّ سعيهـــمْ في هذه ويحسبـــــون أنهمْ
فاشدد على يديه باليديـــنِ واطلبه واقصـــده ولو بالصينِ.

أجمع أهل التصوف على ضرورة صحبة الشيخ الحي، المربي، **المأذون** في السلوك، يقول الشيخ العلامة سيدي أحمد ابن عجيبة: "والناس في إثبات الخصوصية (أي وجود الشيخ المربي الحي المأذون) على ثلاثة أقسام :

-1- **قسم أثبتوها للمتقدمين ونفوها** عن المتأخرين وهم أقبح العوام.

-2- **وقسم أقرّوها قديما وحديثا**، وقالوا إنهم أخفياء في زمانهم، فحَرَمَهَم الله بركتَهم.

---

[114] وُلِدَ الإمام إبراهيم بن عبد الجبار سنة 860هـ بفجيج، تلقى العلوم عن والده الشيخ الإمام عبد الجبار، ثم على يد الشيخ محمد الونشريسي بالزاوية الونشريسية بفجيج، وكذلك على يد الشيخ عبد الحق بن محمد السكوني بالزاوية السكونية بفجيج، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن علماء القرويين كابن غازي، والونشريسي الذي هو من أقارب الونشريسيين بفجيج ورحل إلى تلمسان فأخذ عن شيوخها كالسنوسي، وابن مرزوق، والعقباني، وحج خمس مرات فأخذ في مصر عن السيوطي، وفي المدينة المنورة عن السخاوي، والأشموني، واللقاني، تولى القضاء بفجيج، نظم قصيدته الشهيرة "روضة السلوان" من 214 بيت في منافع الصيد ومشروعيته. كما نظم أرجوزته المسماة " المفيدة " في العبادات والعقائد والأخلاق وهي من 817 بيت. ولكن عندما أقدم أحد السفهاء على قتل شيخه القاضي عبد الحق السكوني، قرر الإمام إبراهيم الهجرة فاصطحب بعض أهله وحاشيته واتجه نحو الجنوب، فاستقر بجني إحدى مدن مالي حاليا، توفي حوالي 958هـ وترك بها ذرية كان لها اتصال بأقاربها في فجيج إلى منتصف القرن الماضي.
(بناصر بن عبد القادر جباري، بروايته الشفوية، وفي كتابه: محطات في مسار الثقافة الفيجيجية، الجزء1. ص60 وص 157).
(وانظر: محمد بن عبد الحق الودغيري، مجلة دعوة الحق، العدد 104).
(وانظر: محمد بوزيان بنعلي، روضة السلوان، ص8.)

-3- **وقـوم أقـرُّوا الخصوصـية فـي أهـل زمـانهم، مـع إقـرارهم بخصوصـية السـلف،** وعرفـوهم، وظفـروا بهـم، وعظـّموهم، وهـم السعداء الذين أراد الله أن يُرَحلهم إليه ويُـقربهم إلـى حضـرته، وفـي الحكم (العطائية):

سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يُوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه " [115].

ويقول ابن عجيبة في كتابه "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" :

...وأما من لم يصل إليه (أي الشيخ المربي) فلا يطمع في السير أبداً، ولو جمع العلوم كلها، وصحب الطوائف كلها، وهذا أمر ذوقي لا أقلد فيه أحداً، فقد صلينا كثيراً وصمنا كثيراً، واعتزلنا كثيراً وذكرنا كثيراً، وقرأنا القرآن كثيراً، والله ما عرفنا قلوبنا، ولا ذقنا حلاوة المعاني، حتى صحبنا الرجال أهل المعاني، فأخرجونا من التعب إلى الراحة، ومن التخليط إلى الصفاء، ومن الإنكار إلى المعرفة. [116]

" قال أبوعلي الثقفي: لو أن رجلا جمع العلوم، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبالغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدِّب ناصح.

وقال الشعراني: الشيخ في الطريق ضرورة لازمة، بالغ ما بلغ علم المريد، ولو حفظ آلاف الكتب والنقول، والنصوص بذلك كثيرة، وإنما جعلوا اتخاذ الشيخ فرض عين، لأن التحقق بالإخلاص والعبودية الحقة واجب، ولا يصح ذلك إلا مع شيخ عارف، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

.. ومن زعم أنه يستغني عن الشيخ، فقد أعرض عن الباب، وأقبل على الحائط" [117]

---

[115] عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص 77.
(www.shazly.com/books/7aqaeq.pdf)

[116] أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 432.

[117] عبد الله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص 18(الهامش)، وص 212.

مقاومة

الشيخ بن الطيب

من 1845 إلى 1870

الوضع المغربي قبل احتلال الجزائر في سنة 1830

عرفت الدولة السعدية في آخر أيامها كل أنواع الانقسام والتشرذم، لكن سرعان ما استطاع المغرب أن يلم شعثه، ويوحد كلمته على يد الشرفاء العلويين. " فإن كان المولى محمد بن الشريف هو الذي وضع الحجر الأساس للصرح العلوي، وكان المولى الرشيد بن الشريف هو الذي مهد البلاد لإقامته، فإن الذي شيده وأرسى معالمه للأجيال هو السلطان الأعظم أبو النصر المولى اسماعيل بن الشريف"[118] وإن كانت فترة حكمه لا تخلو من التمرد والعصيان والفتن، فقد كان يستأصلها بما اشتهر به من قوة وحزم ودهاء.

أورث المولى إسماعيل أبناءَه وحفدتَه دولة قوية داخل حدودها التاريخية، بصحرائها الجنوبية والشرقية مُهابة الجانب من جيرانها الأوروبيين والأتراك. وخلفه إبنه المولى عبد الله الذي عُرف عهدُه بكثرة الفتن والشغب وأدعياء الملك، زيادة على ظاهرة عبيد القصر الذين أنِسُوا من أنفسهم قوةً فأصبحوا عاملا حاسما في تولية السلطان وعزله، وقد بويع المولى عبد الله نفسُه وخُلِع، ثم أعيدت بيعته وخلعه أكثر من ست مرات، كما حاربه أخوته محمد ولد عربية، وزين العابدين، والمستضيء، وذلك بتدبير وتآمر من جيش العبيد.

بعد وفاته بويع سيدي محمد بن عبد الله بالإجماع التام الذي لم يتخلف عنه أحد، وبلغ المغرب في عصره أوج تألقه، فقد كان هذا السلطان العالم ذا شخصية جامعة لما تفرق في غيرها من فضائل، لاحت معالم حنكته وحكمته منذ أن عينه أبوه خليفة له على مراكش، فوطد أمور الدولة بالجنوب والغرب، مما جعل خاصة الناس وعامتهم يتعلقون به، وعندما تولى الملك قام على ساق الجد وانطلق في الإصلاحات، ولم يترك مجالا حيويا إلا وضع عليه بصمته، فخضد شوكة جيش العبيد بتفريقهم في المناطق القريبة والبعيدة،

---

[118] إبراهيم بوطالب، معلمة المغرب (م-س) ص 444.

واستعاض عنهم بجيش الأوداية، كما قام بتنظيم سير الولاة والعمال والقواد، وأصلح القضاء والتعليم، وفي الجانب العمراني بنى الجديد ورمم القديم، وأصلح الطرق، أما في الجانب العلمي فقد عرف المغرب في عهده نهضة علمية رائدة كان هو قطبها، ولا عجب في ذلك فهو العالم المشارك والفقيه الألمعي. كما أسس لأسطول بحري كان يضاهي الأساطيل الأوروبية والتركية، ولم يغفل الشق الخارجي حيث ارتبط بعلاقات كثيرة مع جل الدول الأجنبية ومنها الولايات المتحدة التي كان المغرب أول من اعترف باستقلالها سنة 1777.

عاد الحكم إلى المولى سليمان بعد المدة القصيرة التي قضاها فيه مولاي اليزيد ثم تلاه مولاي إبراهيم، إلا أن مولاي سليمان كان أبعد ما يكون عن الحياة السياسية، إذ كان همه تحصيل العلم، ولحنكته القليلة في تدبير الملك فقد عرف عهده محنا وفتنا سببت له مشاكل جمة في الداخل، وانعكس ذلك على علاقات المغرب الخارجية التي مسها الفتور، وفي سنة 1226هـ/1811م بعث الأمير سعود بن عبد العزيز- بعد استلائه على الحرمين- رسالة إلى مولاي سليمان كما بعث بمثلها إلى كافة ملوك وأمراء العالم الإسلامي يدعوهم فيها إلى ما سماه العودة إلى أصول السلف الصالح، ومحاربة البدع، على النهج الجديد لدعوة محمد بن عبد الوهاب النجدي، فدعا السلطان مولاي سليمان – وهو الذي قضى جل شبابه في طلب العلم على يد أساطينه - علماءَ القرويين إلى الإدلاء بآرائهم في النازلة، ثم قرر بعث جوابه على الرسالة المذكورة مع وفد من العلماء تحت إمرة ابنه إبراهيم، للإطلاع في عين المكان على مرامي هذه الدعوة، وعادوا إليه بما جعله يأخذ منها ما هو ضروري، ويدع ما لا يعنيه. وهذا ما تضمنته رسالته الإرشادية إلى شعبه، والتي راعى فيها بحكمة بالغة واقع المغرب.

قبل وفاة السلطان مولاي سليمان أوصى بالمُلك لابن أخيه المولى عبد الرحمان الذي " أثنى عليه كل من ترجموه، فوصفوه بالعفة والمروءة... واتفقت المصادر على ورعه واقتصاده في مأكله

وملبسه، حتى كان يلبس المرقع والمخصوف"[119]."وأما ورعه وصبره وحياؤه، وتوقفه في الدماء توقفا تاما إلا إذا حصحص الحق وصرح الشرع فكل ذلك أمر معلوم، يعلمه الخاص والعموم"[120].

كان عليه مع بداية حكمه أن ينهض لوأد الفتن التي اشرأبت برؤوسها في الجنوب والوسط، فكان دائم التنقل لقطع آثارها، وفي هذه المرحلة تم الإنزال العسكري الفرنسي بشاطئ سيدي فرج قرب عاصمة الجزائر، وانتهى باحتلالها بعد ذلك.

العلاقة مع أوروبا

كانت علاقة المغرب بأوروبا تعرف التواصل الإيجابي عندما تكون الدولة قوية مستقرة، وتتراجع عندما تنكمش على نفسها بسبب ما كان يشغلها من مظاهر الفوضى وعدم الاستقرار.

" وإننا لنجد هذه العلائق قد اكتست شكلا دوليا أو يكاد، يوم صرع المغرب البرتغال في موقعة وادي المخازن، أو معركة الملوك الثلاثة كما يسميها الغربيون، إذ انتشر صيتها في الداخل والخارج مثبتا بكثير من الفخر عظمة المغرب، وصموده، فسعت الدول صغيرها وكبيرها تطلب وده، وترغب في صداقته، وتمتين الروابط معه"[121]. ثم فترت هذه العلاقات في زمن الفوضى بين أبناء المنصور، وما أن تسلمت الدولة العلوية الناشئة زمام أمر المغرب حتى أحيا ملوكها ما اندثر من علاقات بين ملوك الدول الغربية والشرقية على السواء"، وهكذا في سنة 1666م نرى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يكاتب السلطان مولاي رشيد في شؤون شتى منها ما يتعلق بالتمثيل الدبلوماسي وفداء الأسرى.."[122]

---

[119] أحمد عمالك، معلمة المغرب (م-س) ص 5901/5900.

[120] العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام (م-س) الجزء 8 ص .140.

[121] عبد الهادي التازي، العلاقة الديبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة، مجلة دعوة الحق عدد36

[122] المرجع نفسه.

إشتهر المولى إسماعيل بالقوة التي ضبط بها الأمن الداخلي ضبطا قل نظيره وأكسب المغرب هيبة لدى الدول الإسلامية والمسيحية.

" وتمكن – المولى إسماعيل - بقليل من المشقة ربط علاقات دبلوماسية بعدد معتبر من الدول، فمن ذلك دولة تركيا، ففي سنة 1689م تبودلت بين المولى إسماعيل وبين السلطان مصطفى العثماني مفاوضات حول الحدود المغربية وتم حل الخلاف الذي كان بينهما.

يمكن اعتبار ما جمعه المؤرخ دو كاستري[123] من رسائل المولى إسماعيل المتبادلة بينه وبين ملوك إسبانيا وغيرهم من الملوك العظام، من أكبر البراهين على انفتاح دولته، وتوسع علاقتها، ورقي مستواها، وعمق نظرتها في المجال السياسي والدبلوماسي. إلا أن علاقته مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا تبقى سيدة هذه العلاقات، إذ بلغ من شدة استحكامها ومتانتها أن خطب ابنته الأميرة (كونتي) وكادت تتم هذه الخطوبة لولا خوف الأميرة من الحريم السلطاني الذي يضم مئات غيرها ".[124]

" أما مولاي سليمان فإنه جعل من علاقته طريقة لم يعهدها أحد قبله، طريقة سلبية رغبة منه في النجاة، وخشية من الوقوع في شرك أوروبا [...] ولم يحذ حذوه - خليفته على العرش - المولى عبد الرحمان الذي أراد أن يتخذ طريقا آخر هو الطريق الإيجابي في ترقية البلاد وإقرار الأمن والنظام، وإحداث أسطول عظيم لحماية شواطئ المغرب وتطوير البلاد جريا على ما يقتضيه تطور العالم، وأهم علائقه الدبلوماسية مع ملوك عصره، وأمرائه المسلمين وغيرهم من الأروبيين ألمَّ بها المؤرخ المغربي الشهير ابن زيدان في كتابه "الإتحاف" حيث يقول: كانت للمولى عبد الرحمان علائق ودية وسياسية وتجارية مع جميع دول عصره..."[125]

---

[123] ريني دي كاستري، René de la croix de Castries (1908-1986) أديب ومؤرخ وموسوعي، كان في العقود الأخيرة من عمره يؤلف كل سنة كتابا في تاريخ.

[124] عبد الهادي التازي(م-س) عدد36.

[125] المرجع نفسه عدد39.

غير أن علاقته مع فرنسا تسممت بعد احتلالها للجزائر، وتطورت حتى وصلت إلى المواجهة العسكرية في معركة إيسلي، ثم ظهرت الاستفزازات الإسبانية للمغرب التي أسفرت عن معركة تطوان، ثم استمر التوتر الحاد والمناورات العسكرية والدبلوماسية حتى انتهت بعقد الحماية سنة 1912 واقتسام المغرب بين فرنسا وإسبانيا، رغم المجهودات الجبارة التي بذلها الملك الحسن الأول للحفاظ على سلامة السفينة المغربية في مواجهة الأمواج العاتية التي أخذت تعصف بالمغرب من كل جانب منذ وصول الجيش الفرنسي إلى العين الصفراء واحتلالها عام 1881.

العلاقة مع الأتراك

عرف القرن السادس عشر الميلادي قوتين اقتسمتا الهيمنة في حوض البحر الأبيض المتوسط، فكانت إسبانيا زعيمة الغرب المسيحي، وتركيا زعيمة الشرق الإسلامي، وكانت كل منهما تحاول استباق الأخرى لاحتلال شمال إفريقيا والسيطرة على المغرب – بالخصوص - لموقعه الاستراتيجي.

كان القائدان البحريان التركيان الأخوان بربروس[126] قد كسبا شهرة كبيرة في البحر المتوسط، وبثا الرعب في الأساطيل الأوروبية فاستنجد بهما سكان الجزائر بعد احتلال الإسبان لعدة مدن على شواطئها، وكانت سنة 1517م تمثل أول دخول للأتراك إلى تلمسان، واستمرت الحرب سجالا بين الإسبان والأتراك إلى أن تم خلع مولاي الحسن بن عبد الله آخر ملـــــوك دولة بني عبد الواد

[126] الأخَوَان عروج بن يعقوب (1447-1518م) وخير الدين بن يعقوب (1470-1546م) تركيان لقبهما الأوروبيون ببربروس لصهوبة في لحيتيهما، إشتهرا بجهادهما البحري، وأنقذا العدد الكبير من الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش، حكم عروج الجزائر (العاصمة) بعد تحريرها من الإسبان، وبعد استشهاده في محاولة دفاعه عن تلمسان أصبحت الجزائر ولاية عثمانية عُيّن أخوه خير الدين واليا عليها، بقي في منصبه إلى أن توفي، وخلفه إبنه حسن باشا. (يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 244).

الزيانية... وضُمت أعمال تلمسان نهائيا إلى حكومة الجزائر التركية التي أصبحت إيالة عثمانية.[127]

منذئذ أصبح المغرب جارا لدولة إسلامية عظمى سيطرت على كل الوطن العربي وأجزاء من آسيا وأوروبا، وتطمح بالقول والفعل لاستكمال نظام العقد بضم المغرب الأقصى إلى أمبراطوريتها المترامية الأطراف، إلا أن المغرب حافظ على استقلاليته بفضل حنكة ملوكه السعديين ثم العلويين الذين كانوا يناورون مرة بردع أي توسع تركي في الحدود الشرقية، ومرة بالتقارب وتبادل الهدايا مع الباب العالي حين تلين قناته، ومرات بإظهار التحالف مع إسبانيا عدوة الأتراك.

في عصر المولى عبد الرحمان بدأت علامات الوهن تدب في جسم الدولة العثمانية، بين هزائم هنا وهناك على حدودها الأوروبية، وظهور القلاقل والفتن في ولاياتها العربية، وكان احتلال الجزائر - من طرف الفرنسيين - أخطر انهيار لولاية تركية يشعر به المغرب، ويتأثر له السلطان مولاي عبد الرحمان أشد التأثر كما أكده غير واحد من المؤرخين.

" ومن ثم عبَّر العاهل - بمناسبة انتزاع فرنسا للجزائر من تركيا سنة 1830م - عن مشاعر الحزن والأسى... وبهذا أيضا نفسر وجود سفير للسلطان مولاي عبد الرحمان لدى بلاط العثمانيين، يعزيهم في السلطان الراحل محمود الثاني ويهنئ السلطان الجديد عبد المجيد"[128]

بداية احتلال الجزائر (5 يوليوز 1830م)

كانت المصالح المشتركة تجمع بين الجزائر التابعة للخلافة التركية وفرنسا المَلَكِية التي كانت منذ القرن السادس عشر تتمتع لدى الجزائر بامتيازات تجارية خاصة، وبحق صيد المرجان على الشواطئ الجزائرية، وحق تصدير الحبوب إلى أوروبا من

---

[127] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني ص 229.

[128]عبد الهادي التازي، الوسيط (م-س)، المجلد الثالث ص143.

الجزائر[129] كما تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ما تكون في عهد الثورة الفرنسية، فقد اعترفت الجزائر (التابعة للإيالة التركية) بالجمهورية الفرنسية في وقت كانت فيه فرنسا تحت حصار أوروبي محكم، وفي سنة 1794م أذنت الجزائر للحكومة الفرنسية أن تتمول في موانئ الجزائر عندما كانت الأسواق الأوروبية مغلقة في وجه التجارة الفرنسية، وكان الدفع مباشرا إلى أن غيرت فرنسا طريقة الدفع، ولجأت إلى وسيطيْن يهودييْن يقومان بالدفع بدلها، وهما بكري وبوشناق وتطورت تصرفات هذين اليهوديين مع الديون الفرنسية إلى أن أصبحت مشكلا بين الدولتين، وكانت سببا من بين أسباب - غير مباشرة - أدت إلى احتلال الجزائر[130].

رغم أن مشروع الحملة الفرنسية على الشواطئ المغاربية يعود إلى عهد نابليون فإن انهيار الأمبراطورية الفرنسية وما ترتب عنه من انحسار اقتصادي وسياسي، دفع بفرنسا إلى التفكير في احتلال الجزائر للخروج من عنق الزجاجة التي وضعها فيه فشلُ مشروع نابوليون، بل أصبح هذا الأمر ضروريا[131]. وكانت فرنسا وإنجلترا وهما في أوج قوتهما، ونتيجة للمنافسة الحادة بينهما تخططان لاقتسام الشرق الأوسط من شرقه إلى غربه الأقصى، وبذلك يتمكنون من القضاء على القرصنة الجزائرية، ويفتحون المجال للتجارة بين الشرق والغرب، ويضعون حدا للهيمنة التركية، فكان الشرق من نصيب بريطانيا والغرب من نصيب فرنسا.[132]

ثم جاءت النقطة التي أفاضت الكأس، عندما ضرب باي الجزائر سفيرَ فرنسا بمروحة من ريش النعام كانت بيده، بعدما وصلت

129 أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الطبعة الثالثة، ص 13.
130 المرجع نفسه ص 14.
131 Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, p.46-49.
132 Bruno Etienne et François Pouillon, Abdelkader, le magnanime, p.24.

مباحثاتهما حول الديون المترتبة على فرنسا نحو الجزائر إلى هذا الحد، فاعتبرتها الدولة الفرنسية إهانة لا تحتمل.[133]

بدأ رد الفعل الفرنسي على الخلافات الجزائرية الفرنسية – المتعلقة بالديون - بإعلان الحصار الذي قام به أسطول البحرية الفرنسية لقطع التموين عن الجزائر وفي هذه الأثناء كان النقاش بين المسؤولين في الحكومة والبرلمان الفرنسييْن حول الخطوة التالية بعد الحصار وكان الاختيار يميل إلى الحملة العسكرية رغم معارضة قوية في البرلمان لذلك[134].

انتهى الأمر بمجلس الوزراء في 30 يناير 1830 إلى أن يقرر القيام بحملة ضد الجزائر، وفي 7 فبراير أقر الملك شارل العاشر مشروع الحملة[135] التي انطلقت من ميناء تولون غرب فرنسا بـ 33119 فرد ما بين ضابط وجندي وبحَّار وعنصر مساعد ، لتصل إلى خليج زاوية سيدي فرج، وتبدأ مناوراتها لاحتلال مدينة الجزائر الواقعة على بعد ثلاثين كلم من مكان الإنزال، وبدأ الهجوم الزاحف وبدأت في المقابل مقاومة مهزوزة، غير منظمة ولا منتظمة، ليستسلم باشا الجزائر يوم 5 يوليوز1830، ويختار المنفى إلى نابولي التي وصلها مع حاشيته في 31 يوليوز1830، ويصبح الفرنسيون أسياد الموقف تحت قيادة الكونت دو بورمون[136] **(Louis de Bourmont)**، وطيلة الأربع سنوات الأولى بعد احتلال العاصمة كانت الإدارة الفرنسية لم تتخذ موقفا واضحا من الجزائر، وكانت لاتزال مذبذبة بين الانسحاب والبقاء. ولكن بعد زيارة اللجنة الإفريقية الفرنسية المكونة من أعضاء في الحكومة، وبرلمانيين وفنيين في شتى

---

133 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (م-س) ص 255.

134 المرجع نفسه ص 29.

135 المرجع نفسه ص 33/32.

136 المرشال دو بورمون ولد سنة 1773 كان مَلَكِيَّ النزعة. شارك في الصراعات الداخلية، وفي بعض حروب نابوليون، ثم عينه الملك قائدا للحملة الفرنسية على الجزائر التي وصلها في 14 يونيو 1830، وفي 3 شتمبر أعفي من منصبه. وتوفي في 1846.

الاختصاصات، وبعد جولاتها في المناطق المحتلة، وبتوجيه منها، قررت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر وإلحاقها بها[137].

إعتلى عرش المملكة الفرنسية لويس فيليب[138] - بعد سقوط الجمهورية الفرنسية الأولى - وأمر الجنرال كلوزيل بمواصلة الاحتلال مع الاقتصار على المناطق الساحلية، ولكن مع مرور الوقت انطلق التوسع في كل الاتجاهات، وانطلقت معه المقاومة الشعبية، وبدأت تظهر زعامات هنا وهناك أفرزتها الأحداث المتسارعة، كالحاج أحمد باي، وابن زعمون(زعموم)، والحاج سيدي السعدي، والحاج محي الدين بن مبارك، ومصطفى بومزراق، وإبراهيم باي.[139]

واستمرت هذه الحركات متفرقة إلى أن دعا الشيخ محي الدين بن مصطفى[140] شيخ الطريقة القادرية بعض الزعامات المتفرقة إلى اجتماع "القطنة" بمنطقة غريس من إقليم وهران وكان أولاد سيدي الشيخ من بين من حضر من زعماء القبائل[141] وعرض عليهم الشيخ محي الدين الوضع المتشرذم الذي ترتكس فيه القبائل، ودعاهم إلى التوجه إلى السلطان مولاي عبد الرحمان ملك المغرب لمبايعته، إلا أن سرعة الأحداث التي سنعرض لها تمخضت عن مبايعة عبد القادر بن محي الدين أميرا لمقاومة الإحتلال الفرنسي.

---

[137] "... لم يكن احتلال الجزائر- إذن – صدفة كما تزعم المصادر الفرنسية، ولم تكن فرنسا مترددة عند احتلالها للجزائر حول الاستمرار في ذلك الاحتلال أو عدم الاستمرار فيه، خلافا للمراجع الأجنبية أيضا...وهكذا كان مشروع (احتلال) توات قد جعل فرنسا تخطط لاحتلال الجزائر، وكان احتلال الجزائر مرحلة تمهيدية ضرورية لاحتلال توات..." أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، ص 233.

[138] لويس فيليب الأول (1773-1850) أتت به ثورة 1830. وبعد عزل الملك شارل العاشر أعلنه مجلس النواب" ملك الفرنسيين" فحكم بين 1830-1848، وكان عليه أن يعايش تجاذبات الجمهوريين والملكيين المنقسمين بين الولاء لسلالة بوربون وسلالة أورليون.

[139] المرجع نفسه ص 75.

[140] محي الدين بن مصطفى، وكان يُدعى بين أتباعه بسيدي محي الدين بن سيدي قادة.

[141] Bruno Etienne et François Pouillon, Abdelkader, le magnanime, p 27.

علاقة مولاي عبد الرحمان بن هشام سلطان المغرب بالأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري

مرت علاقة الأمير عبد القادر بالسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بثلاث مراحل، كل مرحلة فرضتها ظروف ذاتية وموضوعية :

<u>مرحلة بداية الغزو الفرنسي:</u>

كانت القبائل المحيطة بمكان الإنزال الفرنسي بسيدي فرج مقسمة الرأي، وكانت ردود فعلها متفاوتة بين المقاومة والاستسلام إلى أن جمعهم محي الدين شيخ الطريقة القادرية، فاجتمع رأيهم على التوجه إلى سلطان المغرب لمبايعته، والجهاد تحت رايته، وجاء في الكلمة التوجيهية التي ألقاها محي الدين والد الأمير أمام زعماء القبائل المجتمعين في زاويته، قولُه لهم في معرض حديثه مستخلصا المخرج الذي يمكنه إنقاذ الوضع :

"...لا !! إن الملك الفرنسي قوي كما هو، لا يمكن أن يواجهه بفعالية إلا ملك مثله، على رأس دولة محكمة النظام، يملك خزانة ضخمة مليئة، ويقود جيشا تام الانضباط، وليس هناك حاجة إلى أن نذهب بعيدا للبحث عن هذا الملك. إن سلطان المغرب قد عبَّر عن عاطفته نحونا، ويجب أن يعرف أن الخطر الخارجي الذي يهددنا نحن اليوم قد يهدده هو غدا، إن حضوره بيننا سيشجع ويدعم - حالا - الخير ويصرف الشر. وبفضل ذلك سيقوى النظام. وإذا حاربنا تحت لوائه فسنتقدم نحو انتصار مؤكد، لأن لواءه لواء الله ورسوله."[142]

من تعاليم الإسلام التي كانت وراء هذا الاختيار، أنه لا تجوز مبايعة سلطان مع وجود سلطان اجتمعت عليه الأمة. ولم يكن إذاك معنى الوطن محددا بالشكل المتعارف عليه اليوم، وإنما كان – في التصور الإسلامي– وجود داريْن لا ثالث لهما : دار الإسلام ودار الكفر. ولذلك فقد كان وجود أمير للمؤمنين بالغرب الإسلامي يوجب

---

[142] تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ص53.

حتما على كل مسلم في هذه المنطقة الانضواء تحت رايته، والخضوع لحكمه، ويَحْرُمُ كل خروج عليه[143] ومبايعته على السمع والطاعة فرض عين على كل مسلم في منطقة حكمه، بناء على الحديث الشريف " من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"[144]

وحيث أن الخليفة العثماني كان بعيدا ولا يستطيع الدفاع حتى عن نفسه، فإن واجب الجهاد يقع على عاتق الأمير المسلم الأقرب، والدفاع عن البلاد من الأسس التي تقوم عليها مشروعية حكمه.[145]

" وبعد أيام قليلة توجهت بعثة جزائرية إلى فاس. وكانت البعثة مكونة من عشرة أعضاء، هم من أهم المرابطين والشيوخ تأثيرا، مع حامية تتكون من خمسين فارسا، وقافلة من البغال محملة بالهدايا. وقد استقبل السلطان عبد الرحمان البعثة بكل مظاهر الود، ووعد بدراسة مطالبها. لكن ستة أشهر قد انقضت بدون جواب. وأخيرا دعا السلطان أعضاء البعثة للمثول أمامه. وكانت الحركات في القصر وتَجَمُّع الجنود تدل على أن مطلب عرب الجزائر قد قُبل. وخلال ستة أسابيع أقام علي ابن عم السلطان وصهره- الذي كان على رأس 5000 فارس ومدفعيْ ميدان - مُعَسْكراً في تلمسان الواقعة في إقليم وهران."[146]

"وقد أسرع محي الدين وعبد القادر، مع كل رؤساء بني هاشم، ورؤساء بني مجاهر، وبني عامر، وغيرهم من القبائل، لكي يعلنوا ولاءهم لممثل سلطانهم الجديد. وبسرعة اعترفت البلاد كلها بسلطته. وكانت الخطبة تعلن باسم سلطان المغرب بكل المساجد، وكل شيء كان يحمل بالتأكيد على الإعتقاد بأن الجزائر قد أصبحت وبطريقة سلمية ، تحت الصولجان المغربي[147].

---

[143] يقول صلى الله عليه وسلم:" إذا بويع لخليفتيْن فاقتلوا الآخِر منهما" رواه مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث 1853.

[144] حديث رواه عبد الله بن عمر، انظر صحيح مسلم، رقم الحديث 1851.

[145] محمد القبلي، تاريخ المغرب(م-س) صفحة 463.

[146] تشرشل، حياة الأمير عبد القادر(م-س) ص53.

[147] المرجع نفسه ص54.

كان الأمير علي بن سليمان إبن عم السلطان وخليفته يبلغ من العمر 15 سنة، فأحاطه السلطان بمستشاريْن اثنيْن، إلا أنهما لم يحسنا الإشارة عليه، فعومل سكان المدن من القراغلة[148] والقبائل بتعسف وسوء تسيير، كما أُلقِيَ القبض على زعيمي أهم القبائل مصطفى بن إسماعيل والمزاري، وبُعث بهما مكبليْن إلى فاس، فأطلق السلطان سراحهما، وأحسن إليهما، وعاملهما بكل تقدير.

أثارت هذه المعاملات غير المحسوبة العواقب قلاقل بين السكان، وخيَّبت ظنون الكثير ممن كانوا مستبشرين بانضوائهم تحت لواء السلطان مولاي عبد الرحمان، الذي اضطر إلى سحب مولاي علي وحاشيته، وفي بداية غشت 1831 عيَّن بالعامري[149] خليفة له على الولايات والقبائل التي بايعته، فحل الخليفة الجديد بمدينة "معسكر" وحاول إصلاح ما أفسده سابقوه وذلك بتعيين قُوَّاد جدد لأهم المدن، والسعى بكل الوسائل إلى تهدئة الأوضاع، وجعل همه تنظيم مقاومة الغزو الفرنسي ليضمن التفاف السكان حوله.

إلا أن إخفاق بالعامري في حصار وهران ومستغانم شجع القوات الفرنسية[150] على التصدي له لإفشال مشروع سلطان المغرب، كما أن القبائل الموالية لخليفة السلطان لم تلبث أن نكصت على أعقابها، ومنها من دخلت تحت ولاء الفرنسيين مباشرة[151].

---

[148] هم أبناء من آباء أتراك وأمهات من شمال إفريقيا (الجزائر وتونس وليبيا) عربيات أو أمازيغيات.

[149] محمد بن العامري بن الغازي، ينتمي إلى عائلة إبن العامري من بني حسن إقليم القنيطرة، إشتهر بعض أعيانها بتولي مقاليد السلطة منذ القرن الثالث عشر الهجري، عُيِّن محمد بالعامري في 1813 قائدا لبني حسن، وتقلب في مناصب سامية منها عاملا لوجدة قبل احتلال الجزائر من طرف فرنسا، ثم عُزل عنها بإلحاح من سلطات الإحتلال الفرنسي(1832) لمضايقته لهم، عرف بالحزم والعزم والذكاء. (مصطفى بوشعراء، معلمة المغرب، ص 5855) وانظر:

-Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, pp.148-151.

[150] تقلد ليوتنان الجنرال بوير(le lieutenant général Boyer) قيادة منطقة وهران في شتنبر 1831.مع وجود اتفاق بين باي تونس والفرنسيين لتنصيب ولاة أتراك على المدن (وهران وتلمسان ومعسكر ومستغانم) يحكمون باسم فرنسا مع احتفاظهم بمليشيات تركية.

[151] Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, pp.143-151.

كان الجزائريون أمام الاختيار بين الأتراك، وقد خبروا عنجهيتهم وفسادهم، وبين فرنسا وهم لا يرضون أبدا النزول تحت حكم الكفار، وبين المغرب الذي تجمعهم به روابط وثيقة، منها الأصل العربي والأمازيغي الواحد، والدين الإسلامي، والمذهب المالكي، والطرق الصوفية ذات المرجعية المغربية، والتي كان أغلب شيوخها في الجزائر ينتمون إلى الدوحة النبوية عن طريق المولى إدريس، كما أن أكثر نخبهم العلمية تنتسب إلى مؤسسة القرويين مباشرة أو بالواسطة[152]، وبين المغرب والجزائر مصالح اقتصادية واجتماعية تربطها القوافل التجارية، وتجمعها سنويا قوافل الحجيج، كل ذلك جعلهم يختارون المغرب ويتطلعون إلى سلطانه – سليل البيت النبوي - لجمع كلمتهم ضد الغزو الفرنسي، والتخلي التركي، وهكذا توصل خليفة السلطان برسائل يلتمس أصحابها الدخول تحت طاعته من سكان الجزائر (العاصمة) وتيطري، والمديَّة، والبليدة التي بعث سكانها إلى السلطان برسالة في هذا الشأن.[153]

في هذه الأثناء بعثت الحكومة الفرنسية إنذارا للسلطان، وهددت بالحرب، فأمر السلطان خليفته بالعودة إلى فاس.

عرض زعماء القبائل على محي الدين شيخ الطريقة القادرية أن يبايعوه سلطانا إلا أنه رفض[154]، وبعد إلحاح قَبِل قائلا لهم :" إني أتنازل عن الأمر لابني عبد القادر".

هكذا بويع الأمير عبد القادر بن محي الدين يوم21 نوفمبر1832م وله من العمر25 سنة. كان عليه بعد المبايعة أن يواجه ميليشيات باي الأتراك بوهران، وأن يناوش القوات الفرنسية، وأن يستقطب ويجند

---

152 " ...ويظهر أن الحضرة العلمية الفاسية المغربية - في وجدان الجزائريين - كانت تشكل مرجعية فكرية وسياسية وقبلها دينية، إذ أن العلاقات العلمية والجهادية بين المغرب والجزائر ظلت مستمرة من خلال تجسيد مفهوم الأمة الواحدة الموحَّدَة" محمد البنعيادي، نكسة إسلي، جريدة المساء، عدد 3088، السبت/الأحد 17 و 2016/9/18. ص 15.

153 Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, pp.151-152.

154 تشرشل، حياة الامير عبد القادر(م-س) ص54.

المجاهدين، ويختار الوسطاء لشراء السلاح والذخيرة وتأمين المؤن.[155]

أرسل الأمير مبعوثين من لدنه إلى عدة دول:

- فبعد استشارة السلطان مولاي عبد الرحمان، في شأن التواصل مع الملك الفرنسي[156]، لمناقشة وضع الجزائر، بعث الأمير خليفته الميلود بن عراش المعسكري إلى فرنسا، فأجابه لويس فيليب الأول، بأنه أصبح ملك الفرنسيين وليس ملك فرنسا، ولا يستطيع التعهد له بشيء، ونصحه بالتواصل مع الحكومة الفرنسية[157].

- وبعث سيدي عبد القادر بن فريحة إلى مصر فرد خديوي مصر بأنه والي مصر، ولكن ليست له صلاحيات اتخاذ قرار في هذا الشأن.

- أما مبعوثه إلى إسطنبول فإنه لم يحظ بأي استقبال لإيصال رسالة الأمير.

- وفي بداية سنة 1837م إستقبل السلطان مولاي عبد الرحمان السيدَ محمد بن عبد الله بن الشيخ المشرفي الملقب بالسقاط[158] مبعوث الأمير عبد القادرالذي قدم حاملا هدايا سنية وتحفا نفيسة من الأمير إلى السلطان، ومعه رسالة إلى علماء فاس ـ بصفته (أي الأمير عبد القادر) نائبا للإمام[159] ـ يستفتيهم فيها عن رأي الشرع في عدة مسائل على رأسها كيفية معاملة المسلمين المتعاونين مع العدو، ويطلب

---

[155] Bruno E. et Pouillon F. Abdelkader p.28/29.

[156] محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ص 222.

[157] M.Ed.Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, page 43.

[158] السقاط: (أو ساقاط) محمد بن عبد الله بن الشيخ المشرفي، المكنى السقاط لعاهة بدنية كانت فيه، كان من كبار العلماء المحدثين، وُصِفَ بإمام الحديث، كان يحفظ البخاري متنا وإسنادا، أثنى عليه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس،ج1 ص 123). قبل عودته إلى الجزائر من زيارة المغرب، طلب السقاط من السلطان الإذن له بالإقامة بفاس، في سنة 1843م انتقل إلى المغرب بأهله حاملا مكتبته معه، وعند مرور قافلته بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، كاد الشيخ بن الطيب أن ينهب قافلتهم قبل التعرف عليهم، ثم حماهم بمرافقتهم إلى أن أبلغهم وجدة. (العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص 39) وانظر:
(Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, page 46)

[159] عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، أجوبة التسولي، ص103.

مشورة السلطان فيما يأتي ويذر في علاقته مع الفرنسيين، فأجابه السلطان برسالة ينصحه فيها بالاستمرار في المقاومة، ووعده بدعمه بالمال والرجال.[160]، ومع رسالة السلطان أجوبة الشيخ أبو الحسن علي التسولي[161] عن سؤال الأمير لعلماء فاس. كما بعث السلطان مع الشيخ السقاط إلى الأمير بهدايا ومعها مدافع وخيول وأدوات وآلات حربية كثيرة.[162]

" لم يعلن عبدالقادر نفسه رئيس دولة تسمى الجزائر بل اعتبر حكومته من الناحية القانونية تابعة لسيادة سلطان مراكش الذي كان يتمتع بهيبة تقليدية في شمال أفريقيا وكان (الأمير) يؤكد دائما على هذه التبعية في مراسلاته التي كان يطلب فيها أسلحة من البريطانيين بواسطة قنصلهم في طنجة".[163]

كانت الحكومة الفرنسية تنظر بعين الريبة إلى هذه العلاقة الجديدة بين عرب الجزائر وبين السلطان عبد الرحمان، ورغم الانسحاب العاجل للمغرب من تلمسان تحت التهديد الفرنسي، فإن هذا الانسحاب لم يؤثر في موقف المغرب الداعم لمقاومة الأمير، بل "...أمسى التضامن المغاربي لمواجهة الاخطار المحدقة رهانا دقيقا لاستمرار المقاومة الجزائرية، بقيادة الأمير عبد القادر، وشرطا حيويا لدعم صمودها. وتشكل معطيات التضامن المغربي، دولة وشعبا، مع المقاومة الجزائرية على مدى فترة المواجهة العسكرية للإحتلال (1246هـ-1263هـ/1830م-1847م) فصلا تاريخيا حافلا، ما يزال

[160] محمد ابن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر(م-س) ص 206 وما بعدها.

[161] الشيخ التسولي: أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي، الملقب بمديدش، المتوفى سنة 1258هـ برز كعالم مطلع متمكن في العديد من الفنون العلمية، وكانت له الصدارة في النوازل والأحكام، وكان عَلَماً بارزا من أعلام جامع القرويين، درس ودرَّس وألف، وانتهت إليه راية المذهب المالكي في المغرب (أجوبة التسولي (م-س) ص 45/44).

[162] - أجوبة التسولي (م-س) ص72.

- وانظر تحفة الزائر(م-س) الجزء الأول، ص207.

[163] بشرى خيربك، مجلة دراسات تاريخية العدد117-118 يونيو 2012، مقالة تحت عنوان: دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية وتناقضاتها "تحفة الزائر ومآثرالأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" أنموذجا للدراسة، طبع لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق،ص427.

مجهولا في تفاصيله، وفي تقدير مستوياته الكمية (إمدادات السلاح/المؤونة/الرجال)، وفي تقييم عناصره المعنوية (الدعم السياسي/ التعبئة الشعبية..الخ..). وتُجْمِع المصادرُ الفرنسية التي رَصَدَتْ بشكل دقيق مسارَ الدعم المغربي لحركة المقاومة الجزائرية، كما وكيفا، على أن نهوض واستمرار هذه المقاومة ظل متناسبا طرديا مع حركة الدعم المغربي هذه، فقد واصل السلطان عبد الرحمان دعمه للأمير عبد القادر بكيفية مستمرة وكثيفة إلى حدود عام 1259هـ/1843م معبئا في ذلك مجهودا ماليا وعينيا، كانت له انعكاسات عميقة على خزينة الدولة"[164].

نورد على سبيل المثال ما جاء في تقارير الجنرال شارل فالي[165] (le général Sylvain Valée) الحاكم العام للجزائر، والجنرال أوجين دوماس[166] (Le General Joseph Eugéne Daumas) الذي كان يمثل السلطات الفرنسية لدى الأمير عبد القادر في فترة الهدنة بينهما، وهذه التقارير لم تغط إلا مدة تقل عن عامين فقط (من فاتح يناير 1838 إلى أكتوبر 1839) أي 22 شهرا. ولم تتوقف المساعدات والإمدادات بعد 1839.

هذه التقارير رصد فيها الجنرالان فالي ودوماس ما توصل به الأمير عبد القادر من المغرب من مساعدات عسكرية في المدة المذكورة ولا بد أن تكون هناك مساعدات لم يتوصل الجنرالان إلى رصدها.

---

[164] ـ محمد الاخصاصي، معلمة المغرب(م-س) ص2981.

ـ إبراهيم ياسين، الأمير الجزائري عبد القادر، والسلطان المغربي عبد الرحمان، ص102/78/51/45/32/31.

ـ بشرى خيربك، (م-س) 426.

-Maréchal Bugeaud, bataille d'Isly, revue des deux- mondes, 1°mars 1845, p.92.

[165] الجنرال فالي (1773-1846) تقلب في عدة مناصب عسكرية في عهد نابوليون، عين مسؤولا في المدفعية في معركة قسنطينة بالجزائر، لعب دورا مهما في احتلال المدينة، رقي على إثرها إلى درجة مرشال، وعين حاكما عاما للجزائر بين 1837-1840.

[166] الجنرال دوماس (1803-1871) جنرال، رجل سياسة، وكاتب، شارك في احتلال الجزائر، تعلم العربية، عُيِّنَ ممثلا للدولة الفرنسية لدى الأمير عبد القادر بين 1837-1839 في الفترة التي تلت معاهدة تافنة الموقعة بين الأمير والجنرال بيجو. وبعد استسلام الأمير عبد القادر(1847) وفي فترة إقامته الجبرية بفرنسا، ونظرا للعلاقة التي توطدت بينهما فقد أُرسل الجنرال دوماس من طرف السلطة الفرنسية إلى مكان إقامة الأمير، حيث اغتنم الفرصة ليقضي معه أوقاتا في المذاكرات أثمرت عدة كتابات منها كتابه" خيول الصحراء".

جدول بالإمدادات الحربية التي قدمها المغرب للأمير عبد القادر الجزائري (خلال 22 شهر، بين يناير 1836 وأكتوبر 1839) [167]

تاريخ الوثيقة ومصدرها	حجم القوافل	المواد المنقولة
1837/12/31/23 دوماس	42 بغلا	بارود، قداحات، سيوف
1838/1/6 فالي	100 بغل	بارود، كبريت،فولاذ،سيوف،قداحات
1838/2/4 دوماس	....	سيوف
1838/5/6 دوماس	208 بغل	ألبسة،قداحات،600سيف،500مسدس،رصاص
1838/5/27 دوماس	....	بنادق إنجيليزية
1838/8/4 دوماس	200 بغل	بارود، ملح بارود، قداحات
1838/8/19 دوماس	....	4 مدافع، بنادق فرنسية
1838/9/1 دوماس	.....	1200 قذيفة مدفع،مؤن وذخائر وملابس ونعال
1838/9/5 دوماس	.....	826 بندقية
1838/10//13 دوماس	100 جمل	بارود ، ملح بارود
1838/10/28 دوماس	....	400 بندقية انجليزية،200مسدس،300 سيف،قداحات، بارود،ملابس، كبريت، ملح بارود
1838/11/11 دوماس	....	4 مدافع، 2000 بندقية، مسدسات
1838/12/9 دوماس	.....	بارود، 300 بندقية انجيليزية، 15 حملا من القذائف
يناير 1838دوماس	.....	20 حملا من البارود
1838/4/16 دوماس	قافلة	670 بندقية، 100 قنطار من البارود
1838/10/23	.....	100 قنطار من البارود

لم يكن الجزائريون موحَّدين حول زعامة واحدة يمثلها الأمير عبد القادر، بل كان الحاج أحمد - باي قسنطينة السابق - يقود مقاومة الشرق الجزائري، مستمدا شرعيته من السلطان العثماني، ولم تنجح محاولات الأمير عبد القادر لضمه إليه، إذ كان هو كذلك يطالب الأمير بالشيء نفسه.

أعلن الحاج أحمد باي مقاومته باسم الدولة العثمانية، واستمرت هذه المقاومة من 1837 الى حين استسلامه في 8 يونيو 1848 بعد أن ضعف صحيا، فأحيل على الإقامة الجبرية إلى حين وفاته سنة 1851.

---

[167] إبراهيم ياسين، الأمير الجزائري عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمان، ص106. (تتبع الكاتب المساعدات والإمدادات الحربية التي كانت تصل الأمير من السلطة المغربية من بداية مقاومته إلى نهايتها، موثقة من الأرشيف الفرنسي والمغربي)



السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام
ملك المملكة المغربية الشريفة، حكم بين 1822و1859.
لوحة للرسام الفرنسي الشهير أوجين دو لاكروا (Eugène Delacroix)
الذي زار المغرب سنة 1845، وحظي باستقبال السلطان له.
(المصدر:m.marefa.org)

مرحلة الهدنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر:

بعد استتباب الأمر للأمير في المناطق التي اعترفت فرنسا بسلطته عليها، وتوقيع معاهدة الهدنة - معاهدة تافنة - بينه وبين الجنرال بيجو في 30 ماي 1837م، توجه الأمير ثانية إلى السلطان عارضا عليه مبايعته له والإنضواء تحت رايته. وذلك عندما شعر الأمير أنه أنجز عمله، فقد هزم الفرنسيين، ووقع معاهدة سلام مشرف. كانت مملكته مثالا للنظام والترتيب. وكان يأمل أن يكون في إمكانه الآن إلقاء الصولجان. لقد لبى نداء بلاده وها هو الآن قد حقق للأمة الجزائرية ما اختارته لأجله، لذلك طلب أن يُسمح له أن

يعود إلى العزلة والاعتكاف وإلى حياة الدراسة والتأمل التي لم يتركها إلا على مضض، وفي هذا المضمار كتب إلى سلطان المغرب، فبعد عبارات التكريم الضرورية لمخاطبة السلاطين واصلت الرسالة هكذا:

" إن شعب الجزائر متحد الآن. وإن علم الجهاد قد طوي. فالطرق آمنة وعامرة. والعادات السيئة قد قُضِي عليها، وأي فتاة تستطيع أن تعبر البلاد وحدها، ليلا أو نهارا، من الشرق إلى الغرب، دون خوف على نفسها. وقد يلتقي الرجل بقاتل أخيه فلا يجرؤ على الإنتقام منه بل يحتكم إلى القضاء. وإن كتاب الله وسنة رسوله فقط أساس الأحكام. والمواد الضرورية لجيشنا كثيرة، إلى جانب الرجال الذين يملؤون صفوفه. كل ذلك يعود إلى تأييد الله الذي جاءنا من دعواتكم ورضاكم عنا. ولولا ذلك لكنت أضعف الناس على إنجاز كل هذا. إنني لم أتقدم لتولي مسؤولية الحكومة بمحض الطموح، أو الرغبة في السلطة والجاه، أو حبا في ثروات الحياة الدنيا، ولكن والله وحده يعلم أسرار القلوب، لِأحارب في سبيل الله ولِأحقن الدماء بين المسلمين، ولأحمي أملاكهم، ولأمهد البلاد، كما تقتضي ذلك الغيرة على الدين والوطنية. ومنذ تحملنا المسؤولية ونحن بالمرصاد ليلا ونهارا متنقلين في طول البلاد وعرضها، في السهل والجبل، مرة نقود المعارك وأخرى ننظم شؤون الدولة، ونحن الآن نرجو من سموكم أن ترسلوا أحد أبنائكم أو أحفادكم أو خدامكم لتولي سلطات الحكم لأن البلاد الآن موطدة وليس هناك معارضة من أية جهة. وسأكون أول من يعمل تحت من

ترسلونه وأن أسخر كل إمكانياتي الضعيفة إلى أقصى حد لذلك، وأن أساعده بالرأي والنصيحة.

إنني أثق في ذلك الإعتبار والسماحة التي تميزكم، من أنكم ستقبلون رجائي في إعفائي من الحمل الذي يزن ثقيلا على عاتقي. وإنني أرسل إلى مقامكم بعض الهدايا التي كان ملك الفرنسيين قد أرسلها إلي والتي لم أبق منها عندي سوى بندقيتين صغيرتين. كما أرسل إليكم بعضا من أفضل البغال في الجزائر. إن عددها بالإضافة إلى عدد الأشياء الأخرى يوجد مفصلا في مرفق داخل هذه الرسالة.

إننا نرجوكم أن تقبلوا عذرنا ونأمل في رضاكم وسروركم. وسيحمل إليكم الهدايا المذكورة أخي الذي وكلته عني ليتشرف بمقابلة سموكم، وليحمل إليكم تقدير وتأكيد إخلاص إبنكم وخادمكم.

عبد القادر بن محي الدين

أكتوبر 1838م / محرم 1254هـ " [168].

" وكان عبد القادر كعادته – وقد وجه هذه الهدية (أسلحة غالية) إلى سلطان المغرب - يقدر الأسلحة حق قدرها ولكنه بإرسالها إلى السلطان استطاع أن يرد جميلا كريما من شخص يعتمد كثيرا على صداقته وإعانته.[169]

" ولكن السلطان عبد الرحمان، في رده التقديري العالي، رفض حتى أن يسمع لحظة واحدة هذا التخلي عن الحكم من شخص أظهر كفاءة عظيمة في القيادة والتنظيم والتجديد وإنقاذ بلاده، ودعا عبد القادر، باسم الإسلام، أن يظل كما كان بطل جهاد، وأن يكمل عمله

168 تشرشل، حياة الأمير(م-س) ص157/156.

169 المرجع نفسه ص164.

الشريف، وأن يوسع وينجز رسالته وأخيرا طلب من السلطان الشاب أن يرسل إليه قميصه لكي يعلقه في مسجده الخاص كأثر مقدس".[170]

في ماي 1836 أسس الأمير أول عاصمة له في تاقدامت بتيارت (تهرت) عاصمة الرستمين وبها ضرب السكة، وكان عليه أن يحارب في واجهتين: الإحتلال الذي كان يهدف إلى التوسع، والقبائل التي كان ولاؤها تارة للأمير وتارة للفرنسيين، وكان عليه أن يؤدب المارقين، ويعاقب الخونة، ويحاسب خلفاءه وقادته إذا اشتطوا في استغلال النفوذ، فاستغرق أكثر وقته في هذا الجانب الشعبي الذي يتطلب يقظة دائمة. إلى أن سقطت تاقدامت عاصمة الأمير في جملة المدن التي سقطت أمام جيش الجنرال بيجو في خريف 1841م، وبعد سقوط تاقدامت حوَّل الأمير عاصمته إلى "الزمالة" واتخذها عاصمة متنقلة، وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من الخيام تضم ما يقارب 60.000 نسمة، منظمة تنظيما دقيقا تمثل خيمة الأمير نقطة مركزها[171].

لم تنج الزمالة من الهجوم الذي شنه عليها **Duc d'Aumale** دوق دومال (ابن لويس فليب ملك فرنسا) في 16 ماي 1843 مغتنما فرصة غياب الأمير وغياب جل قواده وجنوده، فاستولى عليها وسلب محتوياتها، وأسر أهلها، وكانت بداية النهاية للأمير ودولته الناشئة.

مرحلة مابعد معركة إيسلي:

إن التنصل المغربي من الأمير لم يحدث فجأة، وإنما كان التحول تدريجيا تبعا للأحوال والمتغيرات السياسية والعسكرية التي كانت تطرأ يوما بعد يوم، مرة كانت تبعث هذه المتغيرات على الأمل في مواصلة دعم المقاومة، ومرات تدفع إلى التخلي عنها لعدم تكافؤ القوة، واستمر الحال على هذه الوتيرة إلى أن وصلت الأمور إلى زاوية حادة هي هزيمة المغرب في معركة إيسلي وما ترتب عنها.

---

170 المرجع نفسه ص158.

171 Bruno E. et François P. Abdelkader, p. 42.

إن معركة إيسلي كانت ردا على دعم المغرب للمقاومة الجزائرية بزعامة الأمير عبد القادر، وهزيمة المغرب كانت ثمنا لانخراط المغرب بفاعلية في هذا الدعم. وترتبت على هذه الهزيمة معاهدة طنجة 1844/09/10م التي اعتبرت الأمير عبد القادر خارجا عن القانون، ثم معاهدة لالة مغنية التي عاقبت المغرب باقتطاع عدة قرى وواحات وأراض مغربية منه وإلحاقها بالجزائر، واقتصرت المعاهدة في رسم الحدود على ما يقرب من مائة وعشرين كلم من الحدود الرسمية (بين السعيدية وثنية ساسي) وأغفلت عمدا تحديد الباقي لفتح باب الجنوب المغربي كله للإحتلال القادم.

لم تعد علاقة السلطان بالأمير كسابق عهدها، فبعد معركة إيسلي ومعاهدتيْ طنجة ومغنية اختلطت أوراق اللعبة، وانقلبت المواقف، ومن الإنصاف أن لا نكيل بمكيالين، فلكل من الرجلين أعذاره ومبرراته، فالسلطان مولاي عبد الرحمان كان أول الداعمين للمقاومة الجزائرية، باعتراف الأمير وشهادة الفرنسيين، كما دعم المغاربة جيش الأمير بانخراطهم فيه زرافات ووحدانا، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد بلغ عددهم بين ثلاثة وأربعة آلاف مجاهد عندما هاجم نواحي تلمسان سنة1843، كان أغلب جنده من شرق المغرب، وأكثرهم من بني يزناسن[172]، وقد انتقم الفرنسيون من بني يزناسن بشن عدة حملات عسكرية عليهم أبرزها حملة 1852، بقيادة الجنرال مونتوبون، وحملة الجنرال مارتامبري سنة 1859.دون ذكر الغارات العسكرية التي لم تنقطع.

كانت هزيمة إيسلي وتبعاتها من بين ما تحمَّله المغرب نصرةً لجيرانه، وعندما أصبح وجود الأمير على الأرض المغربية تهديدا للوطن كله اقترح السلطان على الأمير أن يأخذ بأحد أمريْن :

---

172 - Maréchal Bugeaud ; Bataille d'isly, Revue des deux mondes (cinquième quinzaine) 1° mars 1845 .p. 926.

- Georges Yver, Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839) p. 619-621.

- الدخول إلى غرب المغرب والعيش في أمان والإبتعاد عن الحدود الشرقية حتى لا يكون وجوده بها استفزازا دائما للفرنسين ومدعاة ومبررا لتوسعهم داخل المغرب تحت ذريعة مطاردته.
- أو الإستسلام للفرنسيين الذين تعهدوا للسلطان بحسن معاملة الأمير، كما أكدته معاهدة طنجة في بندها الرابع.

أمام رفض الأمير لهذيْن الإقتراحيْن واستقوائه ببعض قبائل الريف والشرق المغربيَيْن، واستدراجه لهم للخروج عن طاعة أولي الأمر، كان من الواجب الشرعي على السلطان أن يجعل حدا لهذه الحالة النشاز[173].

إن القرار الذي اضطُر السلطانُ إلى اتخاذه ضد الأمير، هو القرار ذاته الذي كان الأمير بالأمس يتخذه ضد الزعماء والقبائل الجزائرية التي كانت تتمرد على أوامره، أو تشق عصا طاعته، أو تحرض غيرها على العصيان، بل تعلن ولاءها للاحتلال الفرنسي.[174]

فقد خاض الأمير عبد القادر عدة معارك ضد قبائل الشرق والغرب والوسط الجزائري التي تمردت عليه، وساندت القوات الفرنسية، كقبيلتيْ الزمالة والدواير، وحارب شيخ الزاوية التجانية، وحاصر عين ماضي مقر الزاوية التجانية، وقصفها بالمدافع، كما حارب الحاج موسى الدرقاوي[175]، الذي أعلن مواصلة المقاومة، رافضا معاهدة دي ميشال، التي وقعها الأمير عبد القادر مع الفرنسيين، ولا يتسع المجال لذكر معارضيه الكثر.

---

[173] هاجرت قبيلتا بني عامر وهاشم إلى المغرب، وهيأ لهما المخزن أحسن الظروف للاستقرار، وأجرى لهما السلطان مساعدات متعددة، ولكن الأمير عبد القادر استحثهما على اللحاق به لدعمه ضد السلطات المغربية، ولما استشعر المخزن أنهما يقلبان له ظهر المجن وقعت بينه وبينهما مصادمات دموية مؤسفة بالنسبة للجانبين.

[174] "عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا". صحيح البخاري رقم الحديث 2493. ورواه أحمد في مسنده رقم 18361.

[175] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 174.

كان الأمير عبد القادر يرى الشرعية في ما يقوم به ضد مناوئيه، وهو إذاك زعيم مقاومة لم تتمتع بعدُ بإجماع كل الجزائرين على الاعتراف بها، ولم تُعَمِّر إلا خمسة عشر سنة قبل أن تضمحل، فكيف يُنكر صاحب تحفة الزائر[176] على سلطانٍ يحكم دولة عريقة النظام، ترتكز على مؤسسات شرعية، وتتمتع بالبيعة العامة، وتعترف بها الدول القريبة والبعيدة، كيف ينكر عليه تصرفه أمام تمرد الأمير عبد القادر ورفضه مقترحات السلطان.

إن اتهام المغرب وسلطانه بخذلان الأمير عبد القادر والغدر به، اتهام باطل، فإذا عرضنا الأمر على الموضوعية التاريخية، والأمانة العلمية، نجد بالحجج والبراهين، أن من خذل الأمير وغدر به هم مواطنوه الجزائريون، الذين تمردوا عليه، وحاربوه، وساعدوا الفرنسيين عليه، وكانوا أشد بأسا عليه من الفرنسيين أنفسهم، حتى ألجؤوه إلى جيرانه، حيث كان يجد الدعم واستراحة المحارب، ولم يُقَصِّر جيرانه في حقه وحق أتباعه، إلى أن أخطأ تقدير مضيفيه، وأراد فرض واقع عليهم، لا يتماشى مع مصلحة الدولة المضيفة.

قبائل المخزن الجزائري

كان حكام الأتراك بالجزائر يطلقون اسم **قبائل المخزن** على القبائل التي كانت في خدمتهم، تشارك في غزواتهم، وتقوم بجمع الضرائب لصالح الإيالة التركية، وغير ذلك من الخدمات.(كقبائل الزواتنة في الشرق، والزمالة والدواير في الغرب)

---

[176] إن اتهام السلطان مولاي عبد الرحمان، واتهام الزاوية القادرية البودشيشية بخيانة الأمير عبد القادر، والدفع به إلى الاستسلام للقوات الفرنسية المرابطة على الحدود المغربية الجزائرية في 1847/12/21، إتهامات جاءت أول الأمر على لسان محمد بن الأمير عبد القادر في كتابه تحفة الزائر، ثم رددها المؤرخون والكتاب الجزائريون تباعا، دون مراعات للموضوعية، وللأمانة العلمية، وهي اتهامات لم تصدر من الأمير عبد القادر، وإنما قال: في حق السلطان **" نعذره في حقنا، ونستغفر الله في حقه"** وهي قولةً تنم عن خُلُق المؤمن الصادق مع ربه، الذي لا يلقي الكلام على عواهنه، كيف لا وهو العالم النحرير، والصوفي الشهير، والزعيم الكبير.(أنظر رسالة الأمير ص 92 من الكتاب)

في الأشهر الأولى من احتلال الجزائر(المدينة) من طرف القوات الفرنسية (1830) عرضت **قبائل المخزن** خدماتها على الفرنسين[177]، الذين رحبوا بها وأنشؤوا منها عدة فرق من بينها:

- الزواف [178] (Les Zouaves)
- الرماة الجزائريون(Les tirailleurs Algeriens)
- الصبايحية(Les Spahis)
- القومية (Les Goumiers) أو الخيالة (الجنود على ظهور الخيل)

عرفت هذه الفرق بإخلاصها للعلم الفرنسي والدفاع عنه، والتضحية من أجله، وجعلتها القوات الفرنسية في مقدمتها في الهجوم، وفي مؤخرتها في الانسحاب، حفاظا عل الجندي الفرنسي، وكان مرد جل انتصارات الجيش الفرنسي إلى هذه الفرق لمعرفتها بالقبائل ولغاتها، وتضاريس البلاد ومخاتلها، ومرده بالأساس إلى تنافس قادة هذه الفرق على جني المناصب والمراتب والنياشين،

---

177 سبق لقبائل بني عامر ـ بنواحي وهران ومنهم الزمالة والدواير ـ أن كانوا موضوع كتاب ألفه الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي (تـ 1778م) عنوانه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان كبني عامر" نعتهم بالعرب المتنصرة لتعاونهم مع الإسبان المحتلين لوهران (1732م) وانخراطهم في الجيش الإسباني ومحاربتهم للمسلمين.(عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر) وانظر: (قدور بوجلال، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 13، العدد 1، السنة 2022، ص 347-360)

178 الزواف: اختلف المؤرخون حول مصدر هذا الإسم، فمنهم من نسبه إلى زواوة أي "القبائل" وهم الأمازيغ سكان جرجرة في الشمال الشرقي للجزائر العاصمة. والمعروف عن "القبائل" أنهم أهل المروءة والكرم والشجاعة، وانتشرت في ربوعهم الزوايا ومدارس القرآن ومجالس العلم، وظهر فيهم الكثير من الزعماء، والقادة، وشيوخ الزوايا الذين اشتهروا بالعلم والجهاد والصلاح، وأمهات كتب السير والتراجم تزخر بذكر فضائل ومحامد أعلامهم، ودورهم ـ منذ القرن الخامس الهجري ـ في ترسيخ الثقافة الإسلامية في الغرب الإسلامي، ولا يُستبعد أن المحتلين الفرنسيين أطلقوا هذا الإسم على المتعاونين معهم للحط من قدر زواوة، لأن هؤلاء استعصوا عليهم، ولم يستطيعوا اختراقهم إلا بجهد جهيد. ولا يمنع ذلك أن يكون منهم من كانوا منخرطين في المخزن التركي، وبعد انسحاب الأتراك، عرضوا خدمتهم على المحتلين الفرنسيين، مثلهم مثل القبائل العربية كالزمالة والدواير، ومن سكان المدن، وقبائل الجنوب بعد استسلامهم للاحتلال الفرنسي، وظاهرة انخراط الأهالي في هذه الفرق التابعة للجيش الفرنسي، انتشرت في المغرب وتونس والسنيغال بعد احتلالها من طرف فرنسا.

بإخلاصهم اللامشروط لفرنسا، واستعدادهم الدائم للقضاء على كل من يعارضها.

كان سقوط الزمالة (العاصمة المتنقلة للأمير) على يد الجيش الفرنسي، وكان في مقدمته 1100 من المجندين الجزائريين بقيادة مصطفى بن اسماعيل زعيم قبيلة الدواير، الذي كافأته السلطة الفرنسية برتبة جنرال، مقابل إقدامه واستماتته في القضاء على الأمير عبد القادر، وهذا مثال على دور المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي، والأمثلة كثيرة جدا لا يتسع المجال لذكرها[179].

لو أن الأمير عبد القادر وجد الدعم والسند والإخلاص في ذويه، ما كان ليلجأ إلى جيرانه فيُحَمِّلهم تبعة فشل مقاومته.

إن الذي خذل الأمير وغدر به هم مواطنوه الذين لا يُعذرون أبداً، ويعذر أحيانا جيرانه، إذا كان وجوده بينهم مدعاة لفقدان الأمن، ونشر الفوضى، وتهديد وحدة الأمة المغربية، ولا يُسمى تصرفهم إذاك خذلانا ولا غدرا، وإنما هو تصرف شرعي تقره الأعراف والقوانين السماوية والأرضية، وتَصَرُّفُهم هذا، لا يختلف عن تصرف الأمير نفسه ضد المتمردين عليه، فقد قابل السلطان حالة الأمير، بما كان الأمير يقابل به حالة المتمردين عليه من أبناء وطنه. فلا مجال للكيل بمكيالين.

إن هذا الإجراء الذي قام السلطان مولاي عبد الرحمان لم يكن خاصا بالأمير عبد القادر الجزائري وحده، ولكنه إجراء شرعي، جرى به العمل في كل الممالك، وفي كل العصور، وجري به العمل في المغرب على كل من سولت له نفسه إثارة الفتنة، من المغاربة أنفسهم، بل من أقارب السلطان، وأصدق مثال على ذلك، الحرب التي شنها السلطان مولاي إسماعيل على من تمرد عليه من أبناءه، كمولاي محمد العالم، الذي أنزل به العقاب الشرعي الذي

---

179 محمد صالح بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش(1830-1900) الفرنسي ص 60.

خص الله به الذين يسعون في الأرض فسادا، ولم تصرفه عاطفة الأبوة عن إقامة الحدود[180].

لا توجد في الدنيا دولة تسمح لكيان مسلحٍ ومدرَّبٍ ومجرّبٍ أن يساكنها، يعيش في كنفها، ويأكل من خيرها، ولا يأتمر بأمرها، ويؤلب عليها بعض مواطنيها، ويريد فرض وجهة رأيه عليها.

"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين"[181]

إن الحيز الذي ملأه هذا الحدث ـ حدث المواجهة بين السلطان المغربي والأمير الجزائري ـ بكثرة الكتابات والحديث المستفيض عنه، يوحي بأن المقصود منه ليس إجلاء حقيقة الحدث، وإنما هو النبش عن قصد في كل ما من شأنه تعميق العداوة بين شعبين يجمعهما كل شيء، ولا يفرقهما أي شيء، ولا يحتاج المرء إلى الكثير من الذكاء ليعرف من هم وراء هذا النبش، ومن المستفيد منه.

إن العصر الذي وقعت فيه المواجهة بين الأمير والمخزن المغربي، كان عصر فوضى عارمة، وصراع محتد ـ في الجزائر ـ بين القبائل فيما بينها، وبينها وبين السلطة التركية في ما قبل، وبينها وبين الغزو الفرنسي في ما بعد، ثم بين القبائل ـ في المغرب ـ فيما بينها، وبينها وبين المخزن المغربي، وإذا رجعت إلى الكتب التي أرخت لتلك الحقبة وما قبلها، فإنك ترى عجبا، ولا تستطيع حصر الصراعات المحتدمة هنا وهناك لكثرتها وتنوعها وتناسلها.

فلماذا نستل حدثا واحدا من بين هذا الركام الهائل، لنسلط عليه الأضواء من كل جانب، وننبشه باهتمام زائد، ونقلبه ظهرا على بطن، وبطنا على ظهر، ونعتصره مرارا لنخرج منه أكثر مما فيه، إذا لم تكن هناك حاجة ملحة في نفس نابشيه؟

عُرف السلطان مولاي عبد الرحمان– كما سبق ذكره - بعلمه وتقواه وورعه، ولامتيازه بهذه الصفات اختاره عمه السلطان مولاي

---

[180] أحمد عمالك، معلمة المغرب، ص 5849.

[181] سورة النساء الآية 134 برواية ورش.

سليمان لولاية عهده بدلا من أبناء صلبه[182]. كما أن مولاي عبد الرحمان كان له مجلس من نخبة علماء المغرب يستشيرهم في كل أمر ذي بال. كما فعل عندما عرضت عليه بيعة أهل تلمسان.

لذلك فتصرف السلطان عبد الرحمان مع الأمير عبد القادر كان شرعيا تمليه المصلحة العامة، وهو التصرف الذي لم ينكره الأمير، فقد جاء في رسالة بعث بها وهو يومئذ في سجنه بفرنسا إلى صاحبه البوحميدي المقيم لدى السلطان بفاس، يقول فيها:

"... وقد بلغنا أن لك وجها عند السلطان، وفقه الله للخير وأعانه عليه، وأصلحه وعلى يديه، وهذا دعاؤنا له اليوم والأمس وغدا، ونعذره في حقنا، ونستغفر الله في حقه، فإني ما أبرئ نفسي وستُبلى السرائر، وتُجزى كل نفس بما تسعى."[183]

لا مجال بعد هذا الوضوح للإيضاح، ولا معنى بعد هذا الإنصاف للخلاف، ولا يسعنا ولا يسع كل ذي بصيرة عندما يسمع هذا الكلام إلا أن يردد مع المثل العربي القائل:
" قطعت جهيزة قول كل خطيب."[184]

---

[182]" وقد كان رحمه الله صواما قواما، من أتقى ملوك الإسلام وأقومهم طريقة، مقتصدا في مأكله ومشربه وملبسه، يلبس المرقع والمخصوف، قَدَّمَ له يوما صاحبُ طعامه جريدة صائره اليومي فوجد به زيادة غير معتادة، فسأله عنها، فقال هي قيمة بعض الخضروات أول ظهورها، فقال له لا تعد لمثلها، فإني لا أحب أن أتناول إلا ما يقدر الضعيف على تناوله، ما لي وللخضرة الجديدة، حتى إذا كثرت آكلها كغيري ". (الإتحاف، ج 5 ص 11)
–Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome I. pp. 81-100.

[183] ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج5 ص 81.

[184] كان سبب قول هذا المثل العربي أن قوما اجتمعوا من أجل الصلح بين قبيلتين سقط بينهما قتيل، وكان الصلح يجري ليؤدي القاتل دية القتيل، وبينما هم يتشاورون جاءت جارية إسمها جهيزة فقالت إن أهل القتيل أمسكوا القاتل فقتلوه ثأراً لقتيلهم، فقال أحدهم: " قطعت جهيزة قول كل خطيب" إذ لم تعد حاجة للخطابة والتشاور، فتفرقوا، وذهبت المقولة مثلا.

لا يمكن أن يُنكر دور المغرب في دعم مقاومة الأمير منذ البداية، يقول عبد الوهاب بن منصور وهو أحد علماء الجزائر، وعضو سابق في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومؤرخ المملكة المغربية فيما بعد:

" الأمير عبد القادر الذي أنشأ المغربُ حركةَ مقاومته، وأخذ المغاربةُ بضبعه (يعني بعضده) طيلة كفاحه وكفاح رجاله ضد الغزو الفرنسي للجزائر".[185]

من الإنصاف كذلك أن نقول أن لتصرفات الأمير عبد القادر ما يبررها في نظره، ونظرأنصاره، ونظر بعض العلماء الذين أفتوا بشرعية جهاده[186] وبوجوب دعمه من طرف سلطان المغرب ومن كل مسلم قادر، ولكن عندما تعذرت عليه المقاومة داخل الجزائر أمام توالي انتصارات الجيش الفرنسي عليه، واستسلام جل القبائل الجزائرية – رهبة ورغبة ـ للاحتلال الفرنسي، وانخراط أغلبية زعمائهم في المشروع الاستعماري، وتنافسهم على المناصب والامتيازات، ومجاهرتهم بعداوة الأمير، أمام كل هذا اضطر الأمير إلى اللجوء بما تبقى من قواته إلى المغرب في انتظار ظروف أحسن لمواصلة جهاده.

لكن برفضه للحلول المقترحة عليه، وبمحافظته على مكونات دولته أصبح دولة داخل الدولة، وأصبح التخلص من وجوده من أولويات السلطة المغربية وأوجب واجباتها المشروعة، فوقعت عدة معارك بينه وبين المخزن في سلوان، وعلى ضفاف ملوية السفلى، ومشارف رأس الماء، قبل أن يضطر إلى اجتياز جبل بني يزناسن في المقطع المسمى القربوس، ويستسلم للقوات الفرنسية المرابطة على الحدود، والتي كانت تراقب سير الأحداث من مواقعها.

---

[185] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الأول ص 6.

[186] محمد الاخصاصي، معلمة المغرب، (م-س) ص 2983.

استسلام الأمير عبد القادر للسلطات الفرنسية

استسلم الأمير عبد القادر للجنرال لاموريسيير في 1847/12/23 على شروط منها نقله وأتباعه إلى الأسكندرية أو عكا، وأكد هذا الالتزام ابن الملك الفرنسي لويس فيليب، الأميرُ الفرنسي الدوق دومال (Duc d'Aumale) الذي كان يشغل منصب حاكم الجزائر بين (27 شتمبر 1847- 24 فبراير 1848)[187].

لكن الخلاف الطارئ بين السلطتيْن العسكرية والسياسية الفرنسيتيْن حال دون الوفاء بهذا الالتزام، كما أن سجنه أصبح مطلب الجمهوريين الذين استولوا على الحكم بعد سقوط الملكية سنة 1848، وهكذا اقتيد الأمير الجزائري إلى منفاه الذي قضى به أربع سنوات بين قصر بوPau وأومبوازAmboise، ومعه ثمانية وثمانون نفرا من أهله وأتباعه رجالا ونساء وأطفالا[188].

حرص الأمير على تأطير أتباعه، واتخذ من مكان أسره نموذجا مصغرا لزاوية نظم فيها الدروس العلمية، وحلق الذكر الجماعي والفردي، وكان المؤذن ينادي للصلوات الخمس بصوت مرتفع جعل سكان قرية أومبواز يخرجون للإستماع والإستمتاع بنداء الآذان.

في طريقه إلى منفاه، وفي انتقاله بين مكانيْ نفيه، وفي احتكاكه بزواره الذين كان أغلبهم من الأرستقراطيين الفرنسيين، والشخصيات المرموقة، وبعد زيارة الأمبراطور نابليون الثالث له[189] اكتشف الأمير واقعا جديدا، فتعامل معه بروح جديدة.

---

[187] الدوق دومال (Henri d'Orleans,Duc d'Aumale) 1822-1897، سليل العائلة الملكية الفرنسية البوربون، ومن فرع أورليون، إبن الملك لويس فيليب، توجه إلى الجزائر منذ تخرجه من الكلية العسكرية، فشارك في معارك احتلالها تحت قيادة بيجو وماكماهون، وتحت قيادته، وبوشاية من الأهالي، الذين دلوه على مكان الزمالة، استولى الجيش الفرنسي على مخيم الأمير الذي كان يمثل عاصمته المركزية المتنقلة المسماة بالدائرة والزمالة، فكان ضربة قاسية تكبدها الأمير عبد القادر. رُقي الدوق إلى رتبة مرشال، وفي 1847 عين حاكما عاما للجزائرخلفا لبيجو.

[188] تشرشرل، حياة الأمير(م-س)،ص251.(اختُلف في عدد أتباعه، عدَّهم بعضهم 97فردا.

[189] محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر(م-س) ص 433.

إختلف المؤرخون حول الأمير عبد القادر بين منتقد له ومشيد به، فالمنتقدون له رأوا أن من جملة المآخذ عليه:

- تجنسه بالجنسية الفرنسية سنة 1852، وطلبه المشاركة في الإستفتاء الذي أعاد المملكة الفرنسية إلى الحكم بعد سقوط الجمهورية الثانية، وقد أُجْرِيَ هذا الإستفتاءُ في نوفمبر 1852 وشارك الأميرُ وأتباعُه بالإدلاء بأصواتهم في صندوق خُصِّص لهم بالبلدية القريبة منهم[190] وهو أمر يتناقض تناقضا كبيرا مع مشروعه الوطني.

- توجيهُه لرسالته الشهيرة إلى الجزائريين يطلب فيها منهم وضع السلاح والإستسلام لفرنسا سنة 1871 بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا وأثناء ثورة الشيخ المقراني، وبعد محاولة إبنه محي الدين إعلان ثورة في شرق الجزائر.[191]

- قبوله - من عدوه المحتل لبلاده - الكثير من النياشين والأوسمة التي كانت توشح صدره، ويظهر بها في بعض صوره.(وليست كلها فرنسية)

- علاقته بالماسونية، وهو ما أثار جدلا بين المؤكدين والنافين لها.[192]

- استفادته من المرتب الذي شمله وشمل أبناءه وحفدته مقابل التنازل عن المقاومة، والتعهد بالوفاء لفرنسا، وعدم العودة إلى الجزائر، وقد برَّ بكل وعوده[193].

---

[190]Boubakeur Hamza, Un soufi sidi Cheikh, p. 145.

et voir, P.Azan, l’Emir Abd el kader, p.277.

ـ في تحفة الزائر: إن الأمير لم يطلب ذلك، بل عرض عليه حق التصويت، فقبله وصوت لصالح نابوليون، ج2 ص 47.

[191] Ibid, p. 277-278, et Boubakeur Hamza, Un soufi sidi Cheikh, p.231.

إلا أن بعض المؤرخين يدحضون هذه المعلومات، ويؤكدون أنها من صنع السلطات الفرنسية التي كانت ترمي من ورائها إلى تشويه صورة الأمير لصرف اهتمام الشعب عنه (انظر: يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر، رائد الكفاح الوطني، ص 281)

[192] Bruno E. et François P. Abelkader, p. 80. et Bruno E., Abdelkader, p. 480.

(وانظر: ردود حفدته كإدريس الجزائري، والأميرة بديعة حسني الجزائري)

[193] خصصت له منحة قدرها 150ألف فرنك، وبعد وفاته استفاد أبناؤه من منحة تقدر بـ80 ألف فرنك.

ويرى المشيدون به وبمواقفه:

- أنه مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وموحد أجزائها، وأول زعيم لمقاوماتها، وأنه المجاهد والعالم والشاعر والصوفي، الذي اجتمع في شخصيته من المناقب ما تفرق في غيره.

- كان نموذجا للأصالة والفتوة والنبل في قيادته للمقاومة، وفي سجنه في فرنسا، وفي إقامته بسوريا.

ـ ترك من الآثار الفكرية ما جعل اسمه يسجل في الخالدين.

ولا يكون الاختلاف كبيراً إلا حول الكبير.

إن سرعة التغيير والتجديد كانت سمة عصر الأمير، وقد تجلت في كل شيء، في الإيديولوجيات الفكرية، والمدارس الثقافية، والاختراعات الصناعية مدنية وعسكرية، ومس التغييرُ كل مناحي الحياة مساً جذريا، وكانت فرنسا إذاك الدولة العظمى عالميا، وكانت عاصمتها باريس تُنعت "بعاصمة الأنوار"، وغدت بثورتها المندلعة في 22 غشت 1791م المثال المحتذى به طيلة عقود كثيرة، حتى كان التحدث بالفرنسية، والتشبه بالفرنسيين في ملبسهم ومأكلهم واستعمال أنواع عطورهم علامة التحضر والتقدم والرقي. وفي دوامة هذه المتغيرات المتمثلة في سقوط الجمهورية الفرنسية (الثانية) وقيام رئيسها لويس نابليون بونابارت بتنصيب نفسه إمبراطورا على المملكة الفرنسية، ثم سقوطه في 1870 وإعلان الجمهورية (الثالثة)، وفي الصراع الأوروبي المحموم لاقتسام ما تبقى من العالم غير المقسم. في ظل هذه الحركة الدائبة كان الأمير عبد القادر في سجنه بقصر أمبواز قريبا من مطبخ الأحداث العالمية، وفي ظروف متقلبة كهاته كان لا بد للأمير عبد القادر أن يتغير مع المحافظة على هويته الإسلامية العربية، موازاة مع حجم المتغيرات المحيطة به، واستطاع بشخصيته القوية أن يتكيف بسرعة مع العالم الجديد الذي وجد نفسه فيه، وتمكن من أخذ زمام المبادرة بيده، وهيمن بقوة طاقته الإيمانية على كل من دخل دائرة إشعاعها. ففرض احترامه واحترام الإسلام على كل من خالطه من الضفة الأخرى.

أكدت مؤخرا بعض الكتابات ـ مدعومة بالوثائق ـ انتماءه إلى الماسونية، وقد يكون حرص هذه الحركة على استقطابه ـ بطرق ملتوية ـ من أجل التشهير به بين قومه، ولكسر رمزيته لديهم، أو لاستغلال شهرته، ومواقف الأمير، وسيرة حياته وآثاره الفكرية كلها كانت من الوضوح الذي يجعل هذا الإنتماء المزعوم أمرا ملفقا ومستحيلا. وسمو فكره أكبر من أن ينزل به إلى حضيض حركة مشبوهة، ولقاؤه بأعضائها أو مراسلته لهم، ومجاملتهم بعبارات لائقة، كل ذلك لا يعني بالضرورة اعتناقه لمذهبهم. كما أن تربيته الشرعية، وتكوينه العلمي يُعَدَّان مجتمِعَيْن حصنا لا يمكن اختراقه من أي طرف. وما قيل عنه قيل عن الكثير من الأعلام في العالم الإسلامي، وأغلبهم تخلى عن هذه الحركة لمَّا اتضحت له أبعادها السياسية والعقائدية.[194]

ولماذا لا نقول أنه ـ اعتداداً برسوخ إيمانه، وقوة عقيدته، وسعة علمه ـ كان يريد التأثير في أولائك الذين كانوا يطمعون في التأثير فيه، وذلك بمجاراتهم، والتقرب منهم، وجدالهم بالتي هي أحسن؟

لقد استطاع الأمير بعبقريته الإنتقال من المقاومة المسلحة إلى المقاومة السلمية التي ظهرت في دفاعه الحضاري عن الإسلام، وحواره الديني مع القساوسة والرهبان والماسونيين، وفي أخلاقه ومعاملاته التي بهرت رجال الفكر والأدب، وكتاباته الصوفية التي ارتقت به إلى أعلى مراقي الأفق الإنساني، حتى" قال الفيكونت دو فالو[195](Le Vicomte de Falloux) في جريدة باريسية متحدثا عن الأمير: إنه التقى بمسلم يشرح كلمة الله وطبيعة المسيح أحسن مما يشرحها القساوسة"[196].

[194].(للتوسع في الموضوع أنظر:

Ahmed Bouyerdene et Eric Geoffroy et Setty G. Simon-Khedis : Abdelkader,un spirituel dans la modernité)

[195] دو فالو Le Vicomte de Falloux (1811-1886) مؤرخ وصحفي ورجل سياسة فرنسي، نائب برلماني (1846) ثم وزير للتعليم (1849)، ترك عدة مؤلفات.

[196] Bruno E. et François P.Abdelkader .p.62.

قدَّم الأمير للأوربيين إسلاما غير الإسلام الذي صورته لهم الأسرة والمدرسة والكنيسة، قدم لهم الإسلام سلوكا ومثالا، قبل أن يسمعوه منه أفكارا وأقوالا، وكان من السبَّاقين لبناء جسر التواصل المسيحي الإسلامي في عصره.



الأمير عبد القادر بن محي الدين
زعيم المقاومة الجزائرية ضد الغزو الفرنسي
(Bruno Etienne et François Pouillon,Abdelkader,le magnanime,p.89)

علاقة الأميرعبد القادر بأولاد سيدي الشيخ

كانت بداية العلاقة بين الأمير عبد القادر وأولاد سيدي الشيخ عندما بدأت القبائل تتحرك وتتواصل للنظر في كيفية رد العدوان الفرنسي في أيامه الأولى، ولما دعا الشيخ محي الدين بن المصطفى شيخ الطريقة القادرية بناحية معسكر إلى اجتماع حضره زعماء القبائل وشيوخ الزوايا، كان بعض أعيان أولاد سيدي الشيخ من بين الحضور.[197]

[197] Ibid, p.27.

عندما أطلق الأمير مقاومته شارك أولاد سيدي الشيخ كأشخاص مع المجاهدين تحت قيادة مقدم الطريقة الشيخية إبن الغماري النقادي[198]. أما كزاوية فلم يرد ذكرهم إلا عندما أعلن الأمير عن قصده حصار الزاوية التجانية بعين ماضي، وطلب من زعيميْ أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة المشاركة في هذا الحصار، إلا أنهما اكتفيا ببعث بعض الأفراد نيابة عنهما، تجنبا منهما للمشاركة الفعلية في الإساءة للزاوية التجانية.

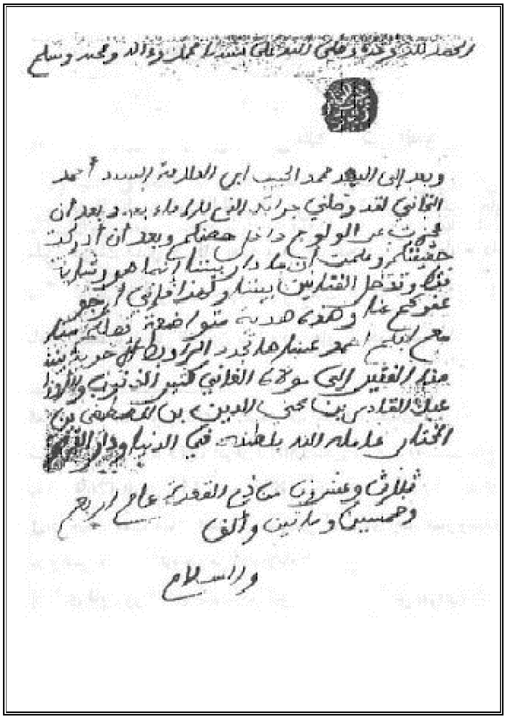
كان لزعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة علاقة حميمة بالطريقة التجانية، فقد قضى الشيخ سيدي أحمد التجاني (1737–1817) سبع سنوات معلما في الزاوية الشيخية الغربية بالأبيض سيدي الشيخ قبل إنشائه لزاويته ببوسمغون، وقبل تصدره لتربية المريدين، كما أن سليمان بن عبد القادر- مؤسس الطريقة الشيخية الغربية بعد انفصالها عن الشرقية – كان مريدا تجانيا، وكان يُعتبر من خاصة أصحاب الشيخ التجاني[199]، صحبه في بوسمغون وتراسل معه بعد مغادرتها، وبذلك رأى أولاد سيدي الشيخ في حصار الزاوية التجانية عملا غير مقبول، نظرا لحرمة الزاوية، وتجنبا للمس بمشاعر أتباعها الكثر، وهو عمل يفرق لحمة القبائل أكثر مما يجمعها، وكان هذا الحدث من الأخطاء التي حُسبت على الأمير، وقد اعتذر- في رسالة- بعثها إلى شيخ التجانية بعدما اكتشف فداحة الخطب الذي تورط فيه بفعل تحريض أعداء الطريقة التجانية،[200] ودسائس الجاسوس الفرنسي ليون روش **(Léon Roches)** الذي أعلن إسلامه وكسب ثقة الأمير عبد القادر.

---

[198] B.Hamza, Un soufi, p.144.

[199] سكيرج، أحمد بن العياشي، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، ص 239/238/237.
كان عبد القادر بن أبي حفص الحاج (الحفيد) من بين المقربين من الشيخ التجاني، كما اعتنق ابنه سليمان بن عبد القادر الطريقة التجانية، وكان هو كذلك من خواص أصحاب التجاني كما يؤكد هذا صاحب رفع النقاب في ترجمتهما تحت رقم 508/427.

[200] عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ص 207، دار الكتب العلمية، بيروت.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد إلى السيد محمد الحبيب ابن العلامة السيد أحمد
التجاني لقد وصلني جوابك الذي [illegible] وبعد أن
تحدث عن الولوج داخل حصنكم وبعد أن أدركت
حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا إنما هو وشاية
[illegible] وتدخل الفتانين بيننا ولهذا فإني أرجو
عفوكم عنا وهذه هدية متواضعة [illegible]
مع [illegible] أحمد [illegible] الركوب [illegible]
منه الفقير إلى مولاه الغني كثير الذنوب والأوزار
عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن
المختار عامله الله بلطفه في الدنيا والآخرة

ثلاث وعشرين من ذي القعدة عام أربع
وخمسين ومائتين وألف

والسلام

رسالة اعتذار بعثها الأمير عبد القادر إلى شيخ الزاوية التيجانية بعد الحصار الذي ضربه على الزاوية بعين ماضي واشتباك جيشه مع أتباعها

كان أولاد سيدي الشيخ تابعين لإيالة المغرب، وكانوا يؤدون الضرائب لممثل السلطان، ومن ثمة رأوا أن مطالبة الأمير لهم بأداء ضريبة أخرى له إهانة لهم.

فَقَدَ الأميرُ دعمَ أولاد سيدي الشيخ لمقاومته عندما أمر بإعدام الشيخ بن الغماري النقادي[201] السابق الذكر، وهو أحد قواده وكان مقدما للطريقة الشيخية، وحاول السلطان مولاي عبد الرحمان تلافي هذا الحكم بالإصلاح بين الأمير وقائده، وذلك في رسالة بعثها إلى مصطفى بن إسماعيل زعيم قبيلة الدواير، يطلب منه التدخل للقيام

[201] تشرشل، حياة الأمير ص 85. وانظر:(B.Hamza, Un soufi, page :144)

بهذا الصلح، تقول رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى مصطفى بن إسماعيل :

"... وعليه فإن أردت رضا الله ثم رضانا، فاجتهد في صلح بين خدامنا الدواير والزمالة والشيخ بن الغماري مع الحاج عبد القادر بن محي الدين، لتجتمع كلمة المسلمين ويكونوا يدا واحدة على من سواهم... والله يتولى هداكم...وها نحن وجهنا من خاصتنا وخيار جيش أخوالنا الوداية صاحبَنَا حامله، محمد بن العربي ليحضر الصلح المذكور، فإياك والتراخي، أصلحك الله..

في المحرم الحرام فاتح عام 1250هـ [202].

قَدِمَ الأمير عبد القادر سنة 1846م إلى الأبيض سيدي الشيخ، وفي ذلك يقول تشرشل صاحب كتاب حياة الأمير عبد القادر " وقد زار- أي الأمير عبد القادر- أولاد سيدي الشيخ وهم قبيلة كبيرة وقوية في أقصى جنوب الصحراء واجتمع حوله رؤساؤهم ومرابطوهم وشاطروه التأسي والعزاء. وأكدوا له عواطفهم الصادقة وعرضوا عليه كرما مؤقتا، ولكنهم تضرعوا إليه لأن لا يعرضهم لنكبات الحرب التي تُعرض قبور أوليائهم الطاهرين إلى دنس الكفار وقد تقبل عبد القادر هذه الرغبة بالهدوء والاستسلام".[203]

قد يكون هذا من إملاء الأمير عبد القادر - على المؤلف بين 1859-1860م- عندما استقر بدمشق، أي بعد مرور 13 سنة على هذه الأحداث، وقد يكون هذا ماعلق بذاكرته، أو ربما يكون تشرشل فهم كلام الأمير على هذا الشكل فترجمه حسب فهمه، أما وجهة نظر أولاد سيدي الشيخ الغرابة كما تحتفظ بها ذاكرتهم الجماعية[204] فتذكر أن الأمير عبد القادر زار أولاد سيدي الشيخ الشراقة بالأبيض سيدي

[202] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس (م-س) ص 43.

[203] تشرشل، حياة الأمير، (م-س)، ص 234.

[204] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ (م-س) ص 271.

الشيخ، ثم انتقل إلى الشلالة الظهرانية في 2 يونيو1846 حيث استقبله الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، فأكرم وفادته، وأولم بـ 300 شاة[205]، مما يدل على أنه جاء في عدد غير قليل من جيشه وقواده، وعند استعراض مشاركة أولاد سيدي الشيخ في المقاومة أوضح له الشيخ بن الطيب أن أولاد سيدي الشيخ رعايا مغاربة تابعون لإيالة مولاي عبد الرحمان بن هشام سلطان المغرب، وأنهم لا يمكن أن يدخلوا في أمر ذي بال كهذا دون إذن منه.

أعتقد أن الواقع يستوجب هذا الرد المفهوم لدى الطرفين، وليس من الشهامة التي عُرف بها أهل هذه المناطق أن يكون ردهم بالكيفية التي أوردها تشرشل، وليس من الفتوة لديهم أن يعتذروا للأمير بالخوف على أضرحة أجدادهم، وإنما الجواب المنطقي هو أن بيعتهم وتبعيتهم للسلطان تقتضي استشارته والالتزام بتعليماته، وهو الموقف الذي يحترمه الأمير أكثر من غيره، والإعتذار الذي يتلقاه بالرضى والقبول، وليس غير ذلك. والدليل على صحة وجهة هذا النظر أنهم عندما أقبلوا على المقاومة بتوجيهات السلطان، لم يثنهم الحفاظُ على سلامة أضرحة أجدادهم[206] عن التصدي للفرنسيين، بل عرَّضوا أنفسهم وأهلهم وممتلكاتهم للخطر مقابل الدفاع عن دينهم وأرضهم وهويتهم المغربية.

---

[205] سمعت من المرحوم أبي حفص بن علال (ازداد سنة 1904م وتوفي سنة1996م) وهو حفيد الشيخ بن الطيب، أنه التقى وهو لا يزال شابا في إحدى زياراته لنواحي البيِّض، بشخص من أهل المنطقة، وكان إذ ذاك شيخا معمرا، فحدثه عن زيارة الأمير عبد القادر للشيخ بن الطيب بالشلالة سنة 1846م، وأخبره أنه كان حاضرا، وأنه كان أحد الثلاثمائة شخص الذين كان كل واحد منهم مكلفا بشواء شاة، وتقديمها للضيوف، ولم يزل أهل البادية يستقبلون بهذه الكيفية ضيوفهم قلوا أم كثروا.

[206] عندما اشتدت مقاومة أولاد سيدي الشيخ للاحتلال الفرنسي بزعامة الشيخ بوعمامة، وانتقاما منهم، أقدم في 1881/8/15 الضابط دونيقريي (François de Négrier) على تفجير ضريح الشيخ السماحي جد أولاد سيدي الشيخ، ورمز مقاومتهم، ومؤسس الطريقة الشيخية، المشهور باسم "سيدي الشيخ".

الحدود المغربية – الجزائرية

كانت الحدود المغربية مع الجزائر تتمدد وتتقلص حسب قوة وضعف الدول السبع[207] التي تعاقبت - منذ الفتح الإسلامي -على حكم المغرب، إلا أن الصحراء الشرقية كانت في كل الأحوال مغربيةً لا يمس مغربيتها تمدُّدُ الحدود الشرقية للمغرب أو تقلُّصُها. وقد وصلت الحدود المغربية إلى شرق تونس في عصر المرابطين والموحدين وتقلصت في عهد المرينين، ثم تقلصت لتبقى المنطقة الممتدة من واحات الأبيض، بوسمغون، والشلالات وأم قرار وما جاورها، إلى واحات توات وتيديكلت وقورارة، مجالاً مغربيا بكل أبعاده، تأكد ذلك بما لا يقبل شكا في عصور كل الدول السابقة الذكر، وازداد تأكدا إبان حكم السلطان المنصور الذهبي الذي جعل هذه المناطق منطلق وصوله إلى غرب إفريقيا، كما سبقت الإشارة إليه، وورثت الدولة العلوية هذه المناطق مغربية أرضا وسكانا.

حين مر بها – في بداية القرن الحادي عشر الهجري - أبو سالم العياشي، سجل ما يلي في رحلته:

"ودخلنا إلى أول عمالة توات، وهي قرى تسابت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الراس، تلميذ الولي الصالح المشهور سيدي أبي الرواين دفين مكناس[...] وعدد المثقال عندهم أربع وعشرون موزونة، ويقولون للمثقال الأربعيني: مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف(العلوي) صاحب سجلماسة، وكل هذه البلاد في طاعته."[208]

وتابعه إبنه السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف " فمارس السيادة المباشرة على قبائل توات، وتيكورارين، ووادي الساورة من الصحراء الشرقية".[209]

---

[207] 1-الإدارسة، 2-المرابطون، 3-الموحدون، 4-المرينيون، 5-الوطاسيون، 6- السعديون، 7- العلويون.

[208] بهيجة سيمو، الصحراء المغربية على عهد الشرفاء العلويين، قراءة في مضامين الوثائق، مجلة دعوة الحق، عدد 417 شعبان 1437هـ/يونيو 2016م، ص 18/17.

[209] المرجع نفسه ص 19.

" اعتنى السلطان مولاي سليمان بدوره بالأقاليم الصحرواية على سُنة أسلافه، فعين على إقليم توات القائد الحاج محمد بن القائد الحاج العباس بظهير مؤرخ في فاتح محرم سنة 1211هـ (7 يوليوز1796م) ... وقد كان عدد الذين شملتهم التعيينات اثني عشر فردا...، وظل السلطان مولاي سليمان يتابع أحوال الجهات الصحرواية عن كثب، ويتفقد شؤونها إلى أن نظم حملة عسكرية سنة 1808م قصد ضبطها وتحصيل الجبايات، كما رتب مواكب الحج في هذه المناطق على العادة المألوفة. وبعث برسائله لركب الحجيج بتيكورارين سنة 1232هـ/1817م."[210]

إستمر استقرار هذه المناطق وولاؤها للسلاطين الذين توالوا على العرش العلوي إلى عصر السلطان مولاي الحسن الأول الذي لم تخْفَ عنه الأطماع الفرنسية التوسعية في إقليم توات نظرا لأهميته القصوى استراتيجيا واقتصاديا، ولم تأت معاهدة لالة مغنية مبتورة فيما يتصل برسم الحدود إلا لهدف إفساح المجال لاحتلال الواحات الجنوبية، وكثف السلطان اتصالاته بإهالي توات بإرسال البعثات، وتكرار زيارات الوفود ذهابا وإيابا، وإصدار ظهائر التعيين للقواد والقضاة والنقباء، فبلغ عدد التعيينات خمسين مكلفا شمل كل القصور البالغ عددها 343 قصرا.[211]

الجزائر أيام حكم الأتراك

"كانت الجزائرأيام العثمانيين تنقسم إداريا إلى ثلاثة أقاليم :
- إقليم قسنطينة شرقا وعاصمته قسنطينة.
- إقليم وهران غربا وعاصمته مازونة، ثم معسكر، ثم وهران بعد تحريرها من الإسبان 1792م.
- إقليم تطري وسطاً وعاصمته المدية ....

[210] المرجع نفسه ص 25.

[211] أحمد العماري، توات، (م-س) ص 118-120.

كانت علاقة القبائل بالإدارة على أنواع، فهناك القبائل النائية التي لا تصلها يد السلطة، وهناك القبائل ذات الاستقلال الذاتي التي تدفع ضريبة الخضوع، وهناك قبائل الرعية، وهذه أيضا أنواع، فمنها الخاضعة خضوعا جزئيا، ومنها الخاضعة خضوعا تاما(وتسمى قبائل العازل أو العبيد) وأخيرا هناك قبائل المخزن وهي المتحالفة مع السلطة المركزية، وتمدها بالمال والرجال عند قيامها بحملات عسكرية سواء داخليا أو خارجيا. وليس هناك حالة قارة لجميع هذه القبائل."[212]

أما وضعية القبائل الرحل والواحات الجنوبية الواقعة بين الأتراك والمغرب، فقد كانت تتوارث مغربيتها منذ العهد السعدي[213]، وقد اعترفت بجزء من ذلك معاهدة لالة مغنية بين فرنسا والمغرب في 1845م عندما أكدت مغربية أولاد سيدي الشيخ الغرابة وحميان الجنبة وعمور الصحراء.

أولاد سيدي الشيخ

خلف سيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا وعدة بنات، وتوفي سبعة أبناء دون أن يخلفوا، ومِنْ ذرية أبنائه الأحد عشر وأتباع زاويتهم تكونت قبيلة أولاد سيدي الشيخ، وبعد وفاة أبيهم مؤسس الطريقة الشيخية تفرق أبناؤه في المناطق القريبة والبعيدة انطلاقا من مركزهم الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا أينما حلوا زوايا فرعية، وبعد قرنين من الزمن (1600-1800م) أصبحت ذريته قوة لا بنفسها فحسب بل بالقبائل التي كانت تدين لها بالولاء، وتربطها بها وشائج الطريقة الشيخية والجوار والمصالح.

عندما انقسمت الزاوية الشيخية سنة 1766م إلى شرقية وغربية، بعد صراع سابق ولاحق، إنقسم كذلك أولاد سيدي الشيخ إلى فريقين، فمنهم من ناصر الشراقة بحكم المصاهرة والجوار

212 أبو القاسم سعد الله، محاضرات، (م-س) ص 52.

213 Mohamed Mâazouzi, Un demi-siecle pour l’integrité territoriale, p12.

والمصالح المشتركة، ومنهم من انحاز إلى الغرابة للأسباب نفسها، ومنهم من اختارالحياد، وهناك بعض العائلات من هذا الفريق أو ذاك نزحت بعيدا عن بؤرة الخلاف، فاستقرت في أماكن بعيدة بالجزائر أو المغرب أو ليبيا حيث لا تزال بقاياهم.
ومثلما انقسم أولاد سيدي الشيخ إلى غرابة وشراقة، انقسمت القبائل الموالية لهم إلى قسمين، فانضمت القبائل التالية إلى الشراقة:
الشعامبة، الأغواط، أولاد زياد، وسكان الواحات الجنوبية الشرقية كتوات وڤورارة وغيرهما..
وانحازت القبائل التالية إلى الغرابة :
حميان الغرابة، حميان الشراڤة (الطرافي)، العمور، أولاد جرير، وسكان الواحات الجنوبية الغربية كأم ڤرار الفوقانية والتحتانية، والشلالة، وبوسمغون وغيرها.

قبائل الحدود والهوية بين المغرب والجزائر

إن تصور مفهوم الوطن بمعناه الحديث كان عصيّاً على أذهان قوم رُحَّلٍ يحملون "وطنهم" على ظهور إبلهم، فأين ما وجدوا الماء والمرعى نزلوا، فاتخذوا مضرب خيامهم وطنا، وجعلوا من أكناف حماه حدودا يدافعون عن حرمتها ما داموا فيها، إلى أن يدعوهم شُحُّ الموقع إلى النّجعة، فينقلون "وطنهم" وينتقلون به إلى مكان جديد، وقد تضطرهم الرحلة الواحدة إلى قطع مئات الكيلومترات، إذ لا وجود في مفهومهم لحدود وطنهم، ولا يوقف سيرَهم إلا خصبُ المراعي.

كان ولاء البدو الرحل للقبيلة أعمق من ولائهم للأرض(الوطن)، بينما يُعرف أهل الحضر بولائهم المحض لأرضهم، وذلك لانقطاع صلتهم بأصولهم القبلية، ومعنى كلمة "الدار" تبين الفرق بين الولاءين، فالدار لدى الحضري هي المشيدة بمادة البناء الصلبة، ولها باب، أو أبواب، ونوافذ، وساحة، وغيرذلك، فهو يعيش فيها، ولا يرحل عنها إلا نادرا، ويورثها لعقبه، والبدوي لا دار له، فهو يسكن تحت خيمة، مصنوعة من صوف أو وبر وشعَر، يبنيها بسهولة عند

النزول، وبالسهولة نفسها يطويها عند الرحيل، دائم الإنتقال بها، ولا يقبل عنها بديلا، فهي عنوان حريته، أما كلمة الدار عند البدوي فتعني الآثار التي يتركها – في مكان إقامته - بعد انتقاله بخيمته إلى مكان آخر، ومن بين هذه الآثار: الأثافي والنؤي، وثفال الرحى، ومربض الغنم، ومربط الفرس، ومبرك الإبل، وغير ذلك، وعندما كان الشاعر الجاهلي يقف على أطلال الديار ويخاطبها كما خاطبها عنترة بن شداد العبسي قائلا:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فهي ليست دارا بمفهوم الحضر، كما يتبادر إلى الذهن، وإنما هي دار بمفهوم البدو، أي أنها الآثار التي بقيت شاهدة على من أقاموا بذلك المكان - زمانا ما - ثم ارتحلوا، وتركوا **دارهم**، والواقف على هذه **الدار** يتذكر ويحن إلى أيام خلت وأحباب ظعنوا، وهذا المفهوم لا يستوعبه بأبعاده إلا من عايش حياة أهل البادية، ورافقهم في حلهم وترحالهم.

فكيف يُطلب من هذا البدوي تصور مفهوم جديد للوطن؟

لم يكن تصور أهل الحضر لمفهوم الوطن بعيدا عن تصور الرحل له، فعند الجميع أن الأمة الإسلامية واحدة، والوطن واحد، سواء اجتمعت الكلمة على قائد واحد في دولة واحدة، أو تعددت الدول والقيادات، فهي أعراض والجوهر واحد، وعليه فالتصور الواضح والجامع هو أن أرض الاسلام واحدة بكل أقطارها، ويقابلها أرض الكفر بكل بلدانها.

لكن الإحتلال الفرنسي جاء بمصطلحات جديدة منها الوطن والحدود والجنسية، وشرع في تطبيقها مباشرة بعد معاهدة لالة مغنية التي قسمت بعض القبائل المغربية أصلا إلى مغربية وجزائرية (كأولاد سيدي الشيخ واحميان والعمور..) وعمد الإحتلال إلى أرض المغاربة الذين اعترفت المعاهدة بمغربيتهم فألحقها بالتراب الجزائري.

احتارت هذه القبائل بين التشبث بالأرض وما يتبعه من استسلام للمحتل والعيش تحت حكم الكفر، وبين التشبث بالهوية المغربية، والتنازل عن الأرض مؤقتا، واختيار طريق المقاومة والتضحية لاسترجاعها.

عند اندلاع مقاومة الشيخ بن الطيب للغزو الفرنسي ومع استمرارها عدة عقود إهتزت موالاة القبائل للمقاومة، تحت ضغط الحملات العسكرية، والإغراءات السياسية لزعماء وأعيان القبائل بالمال والجاه، كما تدخلت الظروف البيئية فكسرت شوكة بعض القبائل كسنوات الجفاف والمجاعات والأوبئة وغيرها، فكانت التقلبات بين الموالاة للمقاومة تارة، وللفرنسيين تارة أخرى، ولم يسلم من هذه التذبذبات إلا النادر من القبائل.

إن احتلال الجزائر كان يحمل في ذاته تهديدا للمغرب، ولذلك فقد كان المغرب معنيا باحتلال الجزائر منذ الأيام الأولى، وعبَّر – ملكا وشعبا - عن ألمه وحسرته لهذا الغزو الاستيطاني، وبديهي أن تصطف أجزاء الأمة كلها إلى جانب جزء منها وقع عليه الظلم وناله الاعتداء، وهذا لا يحتاج إلى تعليل أو تحليل.

يتفق المؤرخون مغاربيين وأوروبيين على حضور واشتراك المغاربة بفعالية في مقاومة الأمير عبد القادر. وانخراطهم تلقائيا فيها حيث قَدِمُوا من القبائل الحدودية ومن الريف، وقدم كل من دفعته الحمية الدينية من المغاربة قريبا كان أو بعيدا لنجدة إخوانه الجزائريين للدفاع عن أرضهم التي اكتسحتها الجيوش الفرنسية[214]، وعندما وهنت قوة الأمير وتخلت عنه أغلب القبائل الجزائرية تحت ضغط الهجمة الفرنسية، جاءت - بفضل مقاتلي قبائل بني يزناسن[215] وأهل أنجاد والمهاية وغيرهم من مغاربة المناطق الحدودية – آخر انتصاراته وأشهرها، وهي معركة سيدي إبراهيم ضد القوات

[214] Voinot, Louis ; Oujda et l’amalat pp 299 et 301.

[215] قدور الورطاسي، بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، ص 75 و100.

الفرنسية تحت قيادة العقيد مونتانياك[216] (Lucien de Montagnac)، ما بين 23 و26 شتمبر 1845م حيث أبيد أغلب الجيش الفرنسي وقُتل قائدُه، ولم ينجُ من الموت إلا الأسرى، وبعض الفارين المعدودين على رؤوس الأصابع.[217] وجاء هذا الانتصار بعد شهر ونصف من هزيمة إيسلي.

وبالقوة نفسها، والتلقائية ذاتها، إشترك المغاربة في حرب التحرير الجزائرية التي اندلعت بين (1954-1962) ولا تزال مذكرات وحوارات زعماء ومجاهدي ثورة تحرير الجزائر تعترف بمواقف الملك محمد الخامس الداعمة لهم بكل حزم وعزم، وتشهد للمغاربة بمساهمتهم المادية والمعنوية والبشرية اللامحدودة في الثورة الجزائرية، ومشاركتهم كجنود وضباط في جيش التحرير الوطني الجزائري. فكان منهم الشهداء والجرحى والمعطوبين والسجناء والمحكومين بالإعدام والمفقودين. وكانت الكثير من المدن المغربية - في عدة أقاليم - والمغرب الشرقي بالخصوص، خلفية رئيسية ومجالا أساسيا معتمدا للثورة الجزائرية قيادةً وأطراً وجيشاً ومواطنين مهاجرين، ومن الأطر التي درست وتكونت وبرزت في وجدة كان يتركب أغلب أعضاء الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال، وهم من كان يُطلق عليهم "جماعة وجدة"(Clan d'Oujda) وانتهت بأحدهم رئيسا للدولة، وُلِدَ بوجدة وبها نشأ ومنها انطلق في العمل الثوري. كما كانت عدة أماكن متفرقة على الأرض المغربية مراكزَ للتدريب والتخزين والتموين وتصنيع الأسلحة، فكانت بذلك من

---

[216] مونتانياك: ضابط فرنسي، خريج سان سير سنة 1819، شارك في حملة نابوليون ضد إسبانيا، كان المسؤول عن الكثير من الجرائم ضد المدنيين في بداية احتلال الجزائر، إشتهر بالعنف وإبادة السكان رجالا ونساء وأطفالا، يقول في إحدى رسائله المنشورة:

" الحرب ضد العرب تعني قتل جميع الرجال ما فوق الخامسة عشرة، سبي جميع النساء والأطفال ونفيهم إلى الجزر النائية، ومحو كل من لا يركع كالكلب متمسحا بنعالنا ".

لقي حتفه في معركة سيدي إبراهيم ضد الأمير عبد القادر في 1843/9/23. (Wikipedia/lucien Montagnac)

[217] Azan Paul, Sidi brahim, et voir Voinot, oujda et l'amalat, p.339.

الأسباب الضرورية لإنطلاق ودعم واستمرار هذه الثورة حتى انتهت وتكللت بالنصر.

أول الاحتكاكات المغربية الفرنسية على الحدود

في 1836/1/13 إحتل (le général Bértrand Clauzel) الجنرال برتراند كلوزيل[218] مدينة تلمسان ثم استرجعها الأمير عبد القادر سنة 1838م فأعاد احتلالها الجنرال بيجو في 1842/1/30م.
في 15 شوال 1251 هـ الموافق 1836/2/3م على إثر احتلال تلمسان كتب المولى عبد الرحمان لولي عهده رسالة يأمره فيها بِحَثِّ القائد بوزيان الشاوي[219] على الإنتقال بمواشيه إلى غرب تافنة لمراقبة الحدود، وأمر السلطان إبنه بمد القائد العَرْبي الرحماني بثلاثة قناطير من البارود والخفيف (الرصاص) ومائة وخمسين مكحلة والعدة دعما للمقاومة الجزائرية.[220]
فشل الجنرال كلوزيل في إقامة معسكر قَار في رشقون حيث مصب وادي تافنة على البحر الأبيض المتوسط، وكان وادي تافنة يمثل الحدود المغربية الجزائرية، واجه المغاربة والجزائريون متحدين هذه المحاولات في معارك متقطعة اندلعت منذ يناير 1836 واستمرت حتى شهر أبريل من السنة نفسها.
بقيت القوات المغربية مُعَسْكِرَةً غرب وادي تافنة، امتثالا لتعليمات السلطان مولاي عبد الرحمان، حتى تكون في وضعية المدافع عن الحدود المغربية.

---

[218] الجنرال كلوزيل (1772-1842) شارك في حروب نابوليون، وشارك في الحقل السياسي كنائب في البرلمان، بين 1830-1831 قاد الجيوش الفرنسية في بدايات احتلال الجزائر، بعدها رقاه الملك الفرنسي إلى درجة مرشال، وفي أوائل 1837 عاد إلى فرنسا لمزاولة نشاطه السياسي.

[219] بوزيان الشاوي: شيخ قبيلة الكرارمة المستقرة بتاوريرت وهي إحدى مكونات قبيلة الأحلاف التي بلغت تحت حكم الشاوي نفوذا كبيرا، عينه السلطان مولاي عبد الرحمان عاملا على تازة (1828) وبعد وفاته فقدت قبيلة الأحلاف قوتها. مصطفى بو شعراء معلمة المغرب(م-س) ص 1703.

[220] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس (م-س) الجزء 5 الصفحة 49.

حسب تقارير الجنرال كلوزل فإن عامل إقليم وجدة العربي القبيبي[221]، شهد المعارك ومعه عدة قبائل مغربية، من قبيلة بني يزناسن بقيادة شيخهم محمد بوتشيش (المختار بن المختار بن محمد بوتشيش)ومن قبيلة أهل أنكاد: أولاد ابراهيم بقيادة طلحة، والمزاوير بقيادة الشيخ بومدين، وأولاد علي بقيادة شيخهم بن تاهلة، ومن قبيلة الأحلاف بقيادة بوزيان الشاوي[222]

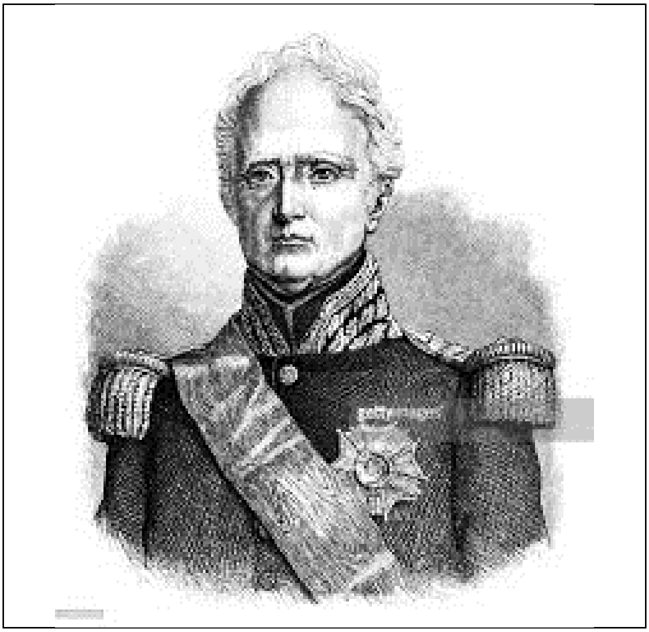
كان الجنرال بيجو[223] يعرف الأمير عبد القادر، ويعرف علاقته بالمغرب، وهو الذي خاض ضده عدة معارك، ثم اجتمع به ووقع معه معاهدة التافنة (30 ماي 1837) التي أوقفت الحرب بينهما إلى حين، واستُدْعِيَ بيجو إلى فرنسا بسبب عدم رضا بعض التيارات السياسية والعسكرية عن المعاهدة المذكورة، ثم أعيد تعيينه حاكما عاما على الجزائر وعلى رأس أولويات مهمته القضاء نهائيا على مقاومة الأمير، وبكل الوسائل المتاحة، ووُضعت تحت تصرفه – لهذا الغرض - قوة تعدادها مائة ألف مقاتل.

---

221 يظهر من سياق الحديث أن العربي القبيبي، هو القائد العربي القبيبي الرحماني، وكان يطلق على حاكم إقليم وجدة "قائد " ولم يطلق عليه اسم "عامل" إلا ابتداء من سنة 1859.

222 إبراهيم ياسين، الأمير الجزائري عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمان، ص58.

223 المرشال بيجو: (Thomas Robert Bugeaud) كان في سن العشرين من عمره عندما انخرط كجندي في الجيش سنة 1804م، وحضر معركة أوسترليتز الشهيرة وبعدها شارك في حملات نابوليون في ألمانيا وبولونيا وإسبانيا حيث ظهرت مواهبه العسكرية، وارتقى بسرعة الى مرتبة قبطان، وأثناء عودة نابوليون من منفاه انضم إليه، فقد كان ملكي النزعة، وبعد استسلام نابوليون، تخلى بيجو عن الجيش وعاد إلى مسقط رأسه ليتعاطى الفلاحة، في 1831 عاد إلى مزاولة السياسة حيث انتخب برلمانيا ورقي الى مرتبة مارشال. بأمره ودفاعا عن الملكية الفرنسية قامت قواته بمجزرة في باريس في 14 أبريل 1834 لتفريق المتظاهرين. أرسل إلى الجزائر ليقود القوات الفرنسية بها في 1836/7/6، ثم عين سنة 1840 حاكما عاما على ولاية الجزائر.وهوالذي قاد الجيش الفرنسي في معركة إيسلي (1844/8/14) ضد الجيش المغربي، إرتكبت القوات الفرنسية في عهده مجازر وإبادة جماعية قيل عنها الكثير. ولد بليموج سنة 1784 وتوفي بباريس سنة 1849.



المرشال طوماس روبير بيجو
(1849/6/10-1784/10/15)
Le Maréchal Bugeaud
(mondomicile.centreblog.net)

إحتلال سبدو[224]

تقع سبدو غرب مجرى وادي تافنة الذي يمثل الحدود المغربية الجزائرية وبذلك كانت يُعَدُّ داخل التراب المغربي، وقبائلها مغربية، وسنلاحظ فيما سيأتي أن السلطان راسل أولاد نهار- إحدى قبائل سبدو- ليلتحقوا بالجيش المغربي إستعدادا لمعركة وادي إيسلي.

في 9 فبراير 1842 إحتل الجنرال بيجو سبدو، ليكون أول موقع مغربي يحتله الجيش الفرنسي، والتقى بيجو في يونيو من هذه السنة

[224] لم يكن سبدو، إبان احتلاله، إلا نقطة ماء ومعبرا للقوافل الرابطة بين التل والصحراء، ونظرا لموقعه فإن بيجو رأى احتلاله ضروريا لحماية تلمسان البعيدة عنه بـ 38 كلم. بين 1837 و1842 أسس الأمير عبد القادر به قلعة عسكرية سماها قلعة تافراوت، وهو الإسم الذي كان يحمله سبدو في القديم. تستقر بسبدو ونواحيه قبائل بني ورياش وأولاد نهار وهي قبائل كانت تعد مغربية من رعايا السلطان إذاك.

بقائد وجدة الذي اعترف بسلطة بيجو على تلمسان، وأكد له التزامه بالحياد، دون إثارة لقضية احتلال سبدو.[225]

أول مواجهة مسلحة مغربية - فرنسية على الحدود:

باغت فرسان مغاربة ومعهم عناصر من المخزن قوات الجنرال بيدو (Bedeau)[226] بنواحي سبدو فأطلقوا عليهم النار وأصابوا بعض العناصر من الجيش الفرنسي. حدث ذلك في 1843/3/30م، وتعتبر هذه أول رصاصة تطلقها المقاومة المغربية ردا على احتلال أول بقعة مغربية وتموقع الجيش الفرنسي بها. على إثر هذا الحدث طلب الجنرال بيدو لقاء مع الكَناوي قائد وجدة للاستفسار عن أسباب ما اعتبره إعتداء، فالتقيا في 5 أبريل 1843م بحمام بوغرارة، وأثناء المحادثات بين القائدين أُطْلِق الرصاص مجددا من الجانب المغربي، واستطاع القائد المغربي تلافي الأمر معتذرا بأن إطلاق النار صدر من الجزائريين الذين طُرِدوا من ديارهم أثناء احتلال تلمسان. إلا أن الأحداث اللاحقة تثبت يقظة المغاربة ومعرفتهم بحدود أرضهم، وإصرارهم على الدفاع عنها.

إحتلال مغنية

في 1844/1/1م إقترح الجنرال بيدو حاكم تلمسان على السلطات الفرنسية احتلال نواحي سبدو ومغنية وهما مكانان مغربيان يقعان على الضفة اليسرى لنهر تافنة الذي كان مجراه يمثل الحدود بين البلدين.

ليس خافيا أن الإمتعاض الفرنسي من المساعدات التي يقدمها المغرب للأمير الجزائري سيدفع الفرنسيين إلى اختلاق مشاكل

---

[225] لويس فوانو، وجدة والعمالة، ترجمة محمد الغرايب، الجزء الثاني، ص 214.

[226] الجنرال بيدو (le général Marie-Alphonse Bedeau) 1804-1863، من خريجي المدرسة العسكرية سان سير، أمضى أغلب نشاطه العسكري في الجزائر، وشارك في أغلب الحملات العسكرية التي كانت تُنظم لإخضاع الأهالي، شهد معركة إيسلي، ثم كان حاكما لتلمسان، وفي 10 يوليوز 1847 عين حاكما عاما بالنيابة للجزائر. وابتداء من 1848 إنخرط في النشاط السياسي إلى حين وفاته 1863.

حدودية مع المغرب للضغط عليه حتى يلازم الحياد الذي لم يفتأ الفرنسيون يطالبونه به.

وافق الجنرال بيجو الحاكم العام لولاية الجزائر على اقتراح الجنرال بيدو، وبما أن القوات الفرنسية كانت متمركزة في سبدو منذ بداية سنة 1842 فقد بدأ العمل في بناء مركز لالة مغنية[227] في 1844/4/27م وانتهى العمل منه في 1844/5/3م، وعند ذيوع خبر البناء عمَّ الإستياء كل مناطق المغرب.

حدث هرج ومرج في وجدة ونواحيها وتناقل الناس خبر قرب إعلان الجهاد لتحرير لالة مغنية والغزوات وما جاورهما[228]. مما جعل الجنرال لاموريسيار قائد الحامية المتمركزة بمغنية يطلب الدعم الذي وصله في 1844/5/17م. وفي الثلاثين من هذا الشهر وصل من فاس الجيش المغربي المكون من خمسمائة فارس وبعض المشاة[229] تحت قيادة مولاي المامون بن الشريف إبن عم السلطان، الذي سارع بدون رويَّة إلى مهاجمة مركز الجيش الفرنسي المتحصن في مركز لالة مغنية فهزمه الفرنسيون، وقفل الجيش المغربي راجعا إلى وجدة.[230]

وصل الجنرال بيجو(Bugeaud) الحاكم العام إلى مغنية في 1844/6/13م وطلب من الكّناوي قائد وجدة لقاءه يوم 1844/6/15م قرب ضريح سيدي محمد الواسيني، فجاء الكّناوي إلى المكان المذكور متبوعا بـ 4500 فارس و1500 راجل، وجاء الجنرال بيدو(Bedeau) نيابة عن الجنرال بيجو متبوعا بأربعة فيالق من المشاة وكل فرسان مركز مغنية، وأثناء المحادثات ورغم وجود الكثير من المسلحين من الجانبين لحفظ الأمن، فقد انطلق الرصاص الذي أصاب القبطان دوماس(Dumas) واثنين من الجنود الفرنسيين، وكادت المعركة أن

---

227 كان المركز يحتوي على مستشفى يتسع لـ 130 مريضا، ومخزنين للتموين والسلاح ومرافق أخرى.

228 إسماعيل حمت، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، ص 69.

229 عند فوانو كان عدد الجيش المغربي 500 راجل و 1500 فارس.
(Oujda et l’Amalat p.307.)

230 H.Rozet (capitaine Breveté), Bataille d’isly.14 aout 1844, p. 17.

تندلع لولا أن الكَناوي هدأ الأوضاع وأوقف المحادثة طالبا من بيدو إخلاء مغنية والرجوع إلى الحدود وادي تافنة لتجنب هذه الأحداث، وهذا ما رفضه بيدو متذرعا بأنه غير مخول له مناقشة هذا الموضوع معه.

عند انصراف الطرفين استمرت المناوشات بينهما واتسعت لتصبح معركة يفقد فيها المغاربة 400 قتيل ويفقد الفرنسيون ضابطين وأربعة قتلى وعشرين جريحا.

أول دخول القوات الفرنسية إلى وجدة

قرر الجنرال بيجو الهجوم على وجدة، فدخلها يوم 1844/6/19م وبقي بها ثلاثة أيام دون مساس بأهلها أو ممتلكاتهم، ثم عاد إلى مغنية مصحوبا بـ 1500 جزائري كانوا من المهاجرين الذين التحقوا بوجدة هروبا من احتلال تلمسان وما جاورها سنة 1836م و1842م.

تكرر استطلاع الجنرال بيجو بقواته لأطراف وجدة ونواحيها، حيث بلغ إلى الجرف الأخضر على بعد بضعة كلومترات شمال غرب وجدة في 1844/7/2م، وفي اليوم التالي قفل راجعا حيث تبعه بعض الفرسان المغاربة الذين تبادل معهم إطلاق النار، ثم قرر في 1844/7/8م العودة إلى نواحي وجدة متوغلا في جنوبها إلى أن وصل أعالي وادي إسلي، فمر بجبال الزكارة حيث كان الأمير عبد القادر مخيما بجنوده، ولما سمع هذا الأخير باقتراب الجيش الفرنسي منه انتقل إلى تكَفايت. وواصل بيجو توغله جنوب قنفودة ثم قفل راجعا إلى مغنية عن طريق سهل تافنة الواقع غرب سبدو[231].

في 15 يوليوز 1844م عُيِّنَ احميدة الشجعي عاملا لوجدة خلفا للكَناوي، فراسله بيجو مذكرا إياه بالشروط الفرنسية التي تطالب المغرب بالحياد ووقف دعم الأمير عبد القادر، وجَعْلِ حد لنشاطه من أجل استتباب السلم بين الدولتين، فأجابه الشجعي بأن ولي العهد المغربي في طريقه إلى وجدة وسيتولى بنفسه الرد عليه.

[231]Ibid 37.

توجُّهُ ولي العهد سيدي محمد إلى الجهة الشرقية

كان السلطان مولاي عبد الرحمان بمراكش عندما وصلته أنباء المعركة التي نشبت في 30 من شهر ماي بين القوات المغربية التي كان يقودها مولاي المامون والقوات الفرنسية المتمركزة بمغنية بعد اختراقها خط الحدود المتعارف عليه بوادي تافنة، فراسل السلطان القبائل يشعرها بالحدث، ويأمرها بالإستنفار العام والإستعداد للجهاد، فاجتمع من الجند النظامي ومتطوعي القبائل ما يقارب الثلاثين ألف مقاتل[232]. ثم أمر ولي عهده سيدي محمد بن عبد الرحمان بالمسير على رأس هذا الجيش، وفي رسالة مؤرخة في 1844/7/20م أخبر السلطان ولي عهده بأنه أعطى أمره لقبائل بني وراين، وبني بويحيي، ومطالسة والبرانس، وتسول، وغيرهم بالمسير معه، كما أمره في رسالة مؤرخة في 28 من الشهر المذكور بحشد قبائل سبدو(أولاد نهار) وأولاد سيدي الشيخ[233]، والريف وقلعية[234]. وهكذا وصل الأمير بجيشه إلى إيسلي بعد استراحته بتازة وعيون سيدي ملوك.

نزل ولي العهد بكدية عبد الرحمان المشرفة على وجدة من غربها، حيث بُنِيَت "محلتُه" المكونة من الخيمة الأميرية الكبيرة تحيط بها أخبية حريمه وحاشيته، وكل ذلك داخل سور من " أفراق" وهو عبارة عن ستار من الثوب الأبيض المقوى علوه متران، وتبلغ دائرته ما يقارب كيلومترين اثنين، ثم تأتي مخيمات أعيان القبائل المكونة من أخبية بيضاء، أوخيام الشعر الشمطاء اللون، فملأ الجيش

---

[232] - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جزء 9 ص 50. (هذا هو عدد الجيش الذي اجتمع بإيسلي بعد التحاق متطوعي القبائل التي مر بها الأمير في طريقه إلى وجدة، أو التي التحقت به بعد أيام من وصوله إلى عين المكان).

- مولاي عبد الحميد اسماعيلي، تاريخ وجدة وأنكاد، الجزء الثالث، ص 144.

[233] هذا الأمر السلطاني يدل على حضور أولاد سيدي الشيخ بزعامة قائدهم الشيخ بن الطيب معركة وادي إيسلي. فقد كان الشيخ بن الطيب إذاك قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة من قبل السطان مولاي عبد الرحمان بن هشام.

[234] Ibid, p.97et 98.

المغربي السفح الممتد بين كدية عبد الرحمان والجرف الأخضر والذي سيكون ساحة معركة إيسلي يوم 1844/8/14م.

في 1844/7/29م بعث ولي العهد سيدي محمد بن عبد الرحمان رسالة الى الجنرال بيجو يتعهد فيها بالسلام، ويطالب الجنرال بإخلاء مغنية، والعودة إلى الحدود المعروفة بوادي تافنة. فرد بيجو بأنه يطلب السلام، ولكن لن يخلي مغنية، فانقطع الإتصال بينهما.

أخذ الجنرال بيجو في الإستعداد بسرعة للمعركة للأسباب التالية:

- تفشي الأمراض في بعض جنده.
- نقصان التموين، وصعوبة وصوله، والخوف من توقفه.
- تمرد بعض القبائل الجزائرية المجاورة التي سبق لها أن استسلمت، وتشوفها إلى احتمال انتصار المغرب، لتجهز على القواعد الخلفية للجيش الفرنسي ولتعود إلى المقاومة من جديد.
- فزعه من حشود الجيش المغربي التي كانت تتزايد يوما بعد يوم.
- كل تأخر كان انتحارا بالنسبة إليه، وهو في موقع محاط بالأعداء من كل جانب، وكان عليه الحسم بانتصار يحفظ له هيبته وتفوقه.

الجيش المغربي

".. كان في مقدمة العيوب والنقائص التي ظل يعاني منها الجيش المغربي، على امتداد القرنين الثامن والتاسع عشر، افتقارُه إلى سلاح ناري حديث ومتطور، على غرار ما كانت تتوفر عليه جيوش عدد من دول أوروبا الغربية وقتئذ من عتاد حربي متنوع وفتاك، كان يساعد على إرهاب وإسكات الخصم، واقتحام معسكره ومعاقله، وتشتيت صفوفه وجموعه..."[235]

كان عبيد البخاري البالغ عددهم ما بين 3000 و5000 فارس، يمثلون العمود الفقري للجيش المغربي، وكان عملهم ممارسة الجندية، وحماية السلطان، ومرافقته في حملاته لتفقد المناطق البعيدة والقريبة، أو لتأديب القبائل المتمردة، وهم دائما على أهبة القتال، ثم هناك قبائل شراقة، وشراردة، والأوداية، وهي ثلاث قبائل تقليدية

[235] مصطفى الشابي، معلمة المغرب (م-س) ص 5066.

كانت تمد الجيش بمحاربين معروفين يعيشون بين ظهراني ذويهم ثم يُسْتَنْفَرُون عند الحاجة إليهم وعددهم بين 15000 و20000 فارس. إلا أنه لم تكن لهذا الجيش قيادة معروفة أو تداريب منظمة، أو زي موحد، أو جهاز تموين محكم، ولم تكن لديه قوافل إمداد تربط بين مصدر تموينه وأماكن تحركاته، وباختصار كان هذا الجيش فاقدا لكل مقومات الجيش النظامي.[236]

وصفه صاحب الإستقصا بما يلي:

" ... وأما مقاتلة المسلمين له (أي للعدو) فكانت غير منضبطة، وإنما قاتله من قاتله باختياره ومن قبل نفسه، وإن كان هنالك ضبط من قائد الجيش فَكَلَا ضبط، ومتى ظهر له (أي للجندي المغربي)أن يذهب ذهب مع أن الله تعالى يقول: **وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**[237] لكن المقاتل من المسلمين يأتي القتال وليس معه ما يأكل ولا ما يشرب فبالضرورة إذا جاع أو عطش ذهب يبحث عما يقيم به صلبه...فالحاصل أن جيش مغربنا إذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الإستبداد (بالرأي) لأمير الجيش لا يملك من أمرهم شيئا".[238]

كان عدد الجيش المغربي في إيسلي 30000 فارس بينهم ألف من المشاة ومائة من الطبجية أغلبهم مرتزقة إسبان وإنجليز مهمتهم تشغيل 11 مدفعا يمتلكها الجيش المغربي، وقد تناقلت أقلام المؤرخين المغاربة، والضباط الفرنسيين عدد هذا الجيش، إلا أن بعض الأقلام الفرنسية ضخمته فأوصلته إلى 60000[239]، أما المارشال بيجو فقد حصره في 25000[240].

---

[236] Marcet, Le Maroc, voyage d'une mission française à la cour du sultan, p. 89-93.

[237] سورة النور الآية 62.

[238] أحمد الناصري، الاستقصا (م-س) الجزء 9 ص 97/96.

[239] H.Andrieu, Petite Histoire de l'Algérie, à l'usage des écoles primaires, p. 57.

[240] - Relation de la bataille d'isly, suivie du rapport de M le marechal gouverneur-general, Imprimerie du gouvernement, p.26.(sans auteur et sans date).

- Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome I. p.271.

الجيش الفرنسي

خاضت فرنسا حرب المائة سنة الشهيرة ضد إنجلترا ما بين 1337-1453م ثم استمرت حروبها الكثيرة والمتقطعة ضد إيطاليا من1497-1625م، دون ذكر حروبها ضد ألمانيا وإسبانيا والبرتغال وهولاندا وبولونيا والمجر وروسيا وغيرها.

إندلعت الثورة الفرنسية في 22غشت 1791م لتجر عليها عداء القارة الأوروبية المحافظة، فتتكتل ضدها وتضطرها إلى الدفاع عن نفسها على أكثر من جبهة، ثم يظهر نابوليون ليقود حملاته العسكرية ضد أوروبا من البرتغال إلى روسيا، ولا يلبث أن ينقلها إلى الشرق الأوسط من مصر إلى سوريا مرورا بفلسطين، إلى حين هزيمته بواترلو(waterloo)1815م.

كل هذا الحَراك والعِراك صنَعَ الجندي الفرنسي ودرَّبَهُ، وجعل منه محاربا ممتازا، كما عَجَّلَ بتجديد النظام العسكري، وأسهم في اختراع الأسلحة الأكثر تطورا وفتكا، وفي 2 ماي 1802 تأسست بأمر من نابوليون بونابارت المدرسة العسكرية الشهيرة سان سير (saint-cyr) لتخريج الضباط، وكان شعارها: "يتعلمون لينتصروا"[241].

وامتاز خريجو هذه المدرسة بتكوينهم العالي وثقافتهم العميقة، فالضابط منهم خبير عسكري، ومؤرخ، وأديب، وباحث في الآثار، ودارس للأديان، واللغات، وغيرها من العلوم. ولا تزال كتاباتهم مرجعا للباحثين، لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها، رغم زيغ بعضها عن الموضوعية تلبية لتحقيق مصالحهم، أو خدمة لهيمنة زعمائهم وساستهم.

نتيجة لتلك الحروب الطويلة والتجارب المريرة التي عركته أصبح الجيش الفرنسي من أقوى الجيوش في العالم وأحسنها تنظيما وعتادا.

---

[241] Devise : « Ils s’instruisent pour vaincre ».

في هذا الجو المتشنج على الحدود المغربية الجزائرية، أقدم يوم 1844/8/6م الأمير جوانفيل[242] على قصف طنجة من أسطوله البحري فقتل 150 شخصا وجرح 400، ودمر عدة بنايات، وردت عليه وسائل الدفاع المغربية فسقط في صفوف البحرية الفرنسة ثلاثة قتلى و16 جريح.[243]

ثم توجه الأسطول الفرنسي إلى الصويرة التي وصلها في8 غشت وتموقع قبالتها في انتظار هدوء البحر، وفي 15 غشت 1844 بدأ قصفه الذي ردت عليه مدافع أسوار المدينة التي كانت على علم بالهجوم، إلا أن الأسطول المكون من ثلاثين قطعة بحرية كان متفوقا بقوة العتاد ودقة التركيز، فاستطاع إسكات أصوات الدفاع، وانتهى الأمر بسقوط مدينة الصويرة التي هرب سكانها، ودخلها الجيش الفرنسي فعاث فيها فسادا بين قتل ونهب وحرق.
وكان القتلى والأسرى والمفقودون بالمئات.[244] وكان تخريب المدينة، ضربة قاضية للاقتصاد الوطني، إذ كانت الصويرة بوابة التصدير والإستيراد.

في 1844/8/7م وتحت الضغوط البريطانية الشكلية - التي كانت تجمع بين محاولة كبح الجماح الفرنسي لتلبية مطالبها في المغرب، وبين الدعم الخفي لفرنسا - توصل الجنرال بيجو برسالة من الحكومة الفرنسية تأمره بالتهدئة، وتجنب أية مواجهة عسكرية مع المغرب، ولكن الجنرال كان قد اتخذ قرار الحرب وجمع قواته إذ استدعى أربعة فيالق، وأربع فرق من سبدو وفرقة من تلمسان، إضافة إلى الفيالق المرابطة بمغنية، وشرع في شحذ همم جنوده

---

[242] الأمير جوانفيل (François d'Orléans Joinville) 1818-1900، ابن الملك لويس فليب الأول ملك فرنسا، تخرج من المدرسة البحرية، وقاد في مشواره البحري عدة عمليات في أمريكا اللاتينية، ترقى إلى مرتبة أميرال، وفي 5 غشت 1845م وبأمر منه قصف أسطوله مدينة طنجة، فحطم أسوارها والكثير من عمارتها، ثم توجه إلى الصويرة ففعل بها ما فعل بطنجة ثم دخلها في 1845/8/15م بعدما أخلاها سكانها.

[243] Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome I. p.268.

[244] Ibid, p.269.

وضباطه الذين أطلعهم على خطته، وكيفية إدارة المعركة، ودور كل واحد فيها.

كانت استطلاعات بيجو السابقة والمتكررة لوجدة ونواحيها، والوقوف بنفسه على مداخلها ومخارجها، والسعي بين وديانها وسهولها وجبالها، وإحصاء نقط مائها، تدل على تخطيطه العسكري لمعركة قادمة كان يجمع لوازم الإنتصار فيها.

يتكون جيش بيجو من 404 ضابط من مختلف الرتب، و8500 جندي، و1400 من الفرسان و400 من المجندين الجزائريين، ويمتلك الجيش 16 مدفعا.

بث الجنرال جواسيسه في المعسكر المغربي، فكانت تصله المعلومات تباعا عن وصول الدعم المتزايد من بني يزناسن والريف وقبائل الصحراء، ولكنها أعداد بغير نظام يؤطرها، ولا تنظيم يضبطها، ولا تنسيق يجمعها.

لم يصل خبر قصف طنجة إلى علم الجنرال بيجو إلا يوم 1844/8/11م، وهو ما زاده إصرارا على الحرب، وبعد يومين أمر بالتحرك نحو وجدة.

بلغ خبر تحرك الجيش الفرنسي منذ ساعاته الأولى عن طريق المخبرين إلى القيادة المغربية ولكنها لم تعره بالا، وجاء قبل ذلك الأمير عبد القادر الجزائري، فطلب مقابلة الأمير سيدي محمد، وأسداه النصيحة بعدم الدخول في مواجهة العدو بهذه الخيام المنصوبة، والمفروشة بنفيس الأثاث، وأوضح له أنه من سديد الرأي أن تُطوَى الخيام بما فيها وتوضع في مكان آمن بعيد عن أرض المعركة، حتى تكون في مأمن في حالة النصر أو الهزيمة، إلا أن كلامه لم يلاق آذانا صاغية، فاعتزل بجيشه إلى سفح جبل حرازة على بعد كيلومترات معدودات غرب وادي إيسلي حيث تابع فصول المعركة من بعيد.

ويعزو بعضهم اعتزاله المعركة تلبية لرغبة ولي العهد المغربي التي ابلغها له القائد احميدة الشجعي عامل وجدة[245].

---

[245] إبراهيم ياسين،الأمير الجزائري عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمان ص 158.

كان مجاهدو بني ايزناسن أكثر قبائل الشرق حضورا بزعامة سيدي المختار بودشيش[246] إلى جانب أولاد نهار وأولاد سيدي الشيخ[247] والمهاية وأهل أنجاد وغيرهم..

امتنعت بعض الفرق من بني يزناسن وأهل أنچاد عن المشاركة في المعركة لخلافات داخلية بينهم وبين قبائلهم وزعمائهم.

أما عن بني يزناسن التابعين لأولاد البشير، فيقول العربي المشرفي الذي عاصر الحدث، أن الحاج ميمون بن البشير، بعث بمؤونة عظيمة لولد السلطان، من شعير ودقيق وسمن وعسل وما يقارب ألف رأس من الغنم، فاعترضتها أطراف المحلة (الجيش المغربي) فانتهبتها قبل أن تصل إلى ولي العهد، فغضب الحاج ميمون لهذه الفعلة، وأحجم هو ومن معه من بني يزناسن عن المشاركة في المعركة.[248]

كما وصلت إمدادات الريف من المشاة متأخرة بيوم واحد عن موعد المعركة.

كان الجيش المغربي يعتمد على الخيالة، الذين كان مخططهم تكوين هلال كبيرا من الفرسان المسلحين ببنادقهم وأثناء الهجوم يقع الالتفاف على الجيش الفرنسي فيحيطون به إحاطة السوار بالمعصم، فيحاولون بالكر والفر اختراقه وتشتيته إلى مجموعات يسهل القضاء عليها[249]. وعند الضرورة تتدخل المدافع لصد أي هجوم على مخيمات المغرب.

" وقد تكون هذه الهجومات دون النتائج المرجوة لأن عمليات الكر والفر التي بقيت القاعدة الأساسية لدى الجيش المغربي لا تجدي نفعا

---

[246]H.Rozet, La bataille d'isly, p. 100.

وانظر: عبد العزيز آيت السي، مجلة قوت القلوب، مقاومة الشيخ المختار القادري بوتشيش، العدد6/5 غشت 2015 ص .157.

[247] H.Rozet, La bataille d'isly, p.98.

[248] العربي المشرفي الراشدي، نزهة الأبصار، لذوي المعرفة والإستبصار، ص685.

[249] Mordac, (commandant) ,La guerre au Maroc, p. 22.

أمام حملات الجيوش الأوروبية المجهزة بالمدافع والأسلحة العصرية"[250]

وحرب الفارس هي الهجوم ببندقيته المعبأة بارودا في وسطه رصاصة، وباحتكاك الزناد الحجري تنطلق شرارة لتفجر البارود فيدفع الرصاصة بقوة إلى الهدف الذي وجهت إليه البندقية، ثم بعد إطلاق النار يعود الفارس القهقرى لتعبئة بندقيته من جديد للهجوم مرة أخرى، وهكذا طيلة المواجهة، وهي عملية تعتمد على خفة صاحبها ودربته وشجاعته وثباته.

أما الجيش الفرنسي فقوامه الجنود الراجلين، وقد نظم الجنرال جيشه في شكل مربع من المشاة، ولكل فرقة من فرق الجيش مربعها داخل هذا المربع الكبير البالغ طوله 750 مترا وعرضه 275 مترا، وفي وسط هذا المربع تتمركز فرقة الخيالة وفرقة التموين والعتاد والفريق الطبي، ووضع الجنرال فرق المدفعية على الأركان الأربعة من المربع، وفي حالة الحركة والتقدم يتسع شكل هذا المربع ويضيق حسب تضاريس الطريق، ويعود لشكله المرسوم عند المواجهة. كانت خطته التحرك بهذا النسق في الحالتين : عند الهجوم وفي حالة الدفاع حيث يكون التصدي للغارات المغربية على الواجهات الأربع، فكأنه سور مدينة متحرك، يطلقون عليه إسم مربع المربعات، وعندما يرى القائد فشل المهاجمين في الإختراق يفتح المربع لإطلاق فرسانه لمطاردتهم .

إنطلق الجيش الفرنسي من مغنية على الساعة الثالثة زوالا يوم 1844/8/13 ليقطع 28 كلم في مرحلتين، ووصل على الساعة الثامنة والنصف صباحا يوم14 غشت إلى الجرف الأخضر المطل على محج السلطان الرابط بين وجدة وعيون سيدي ملوك، وقف الجنرال على قمة الجرف الأخضر فرأى الجيش المغربي يغطي السفح الممتد على طول 8 كيلومترات بين الجرف الأخضر وأمام وخلف كدية عبد الرحمان التي ارتفعت فوقها خيمة الأمير سيدي محمد.

---

[250] عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ص 183.

كانت ساحة المعركة هي السفح الأيمن لوادي إيسلي الواقع بين الجرف الأخضر وكدية عبد الرحمان.

عندما ظهرت طلائع الجيش الفرنسي على رأس الجرف الأخضر، أُطْلِق النفير في المعسكر المغربي استعدادا للمواجهة.

معركة إيسلي[251] (1844/8/14)

إنحدر الجيش الفرنسي من الجرف الأخضر، قاطعا وادي إيسلي، ولم يجد أية مقاومة حتى وصل الى ضفته اليمنى، حيث بدأت المناوشات مع أطراف الجيش المغربي، وتحت وقع الموسيقى العسكرية رتب بيجو مربعه وزحف به في اتجاه كدية عبد الرحمان حيث محلة ولي العهد الذي ظهر ممتطيا صهوة فرسه وقد رفعت فوق رأسه المظلة الأميرية، وعلى يمينه وشماله اصطفت آلاف الفرسان في شكل هلال زاحفة نحو الجيش الفرنسي.

في وسط الطريق بين الجرف الاخضر وكدية عبد الرحمان تواجه الجمعان، حيث كان الأمير المغربي يقف بفرسه على مكان مرتفع لتتبع تحركات الفرسان، وكان الجنرال الفرنسي وسط جيشه يتابع الأحداث، وانطلقت أمواج الفرسان المغاربة تهاجم المربع الفرنسي، فتُفْرِغ أعيرتها النارية فيه، ثم تتراجع لتعبئة بنادقها، مفسحة المجال للموجة التالية، أما الفرنسيون فقد كانوا صامدين أمام الهجمات يصدونها بإطلاق النار عليها، فكان الصف الأمامي يطلق النار ثم ينبطح أرضا ليترك المجال للصف الموالي لإطلاق النار. أمر بيجو بوضع بطاريات مدافعه على أول المرتفعات، وبدأ سلاح

---

[251] تكتب إسلي وإيسلي، وتعني في اللغة الأمازيغية العريس، وتيسليت تعني العروس، وهو اسم وادي يمر غرب مدينة وجدة القديمة، أما اليوم فقد اصبح يمر داخل الامتداد العمراني لمدينة وجدة الحالية، جرت معركة إسلي بين المغاربة والفرنسيين، على ضفاف وادي إسلي بين الجرف الأخضر وكدية عبد الرحمان، وحبذا لو أن المسؤولين بمندوبية الثقافة، وبلدية وجدة، اتخذوا الإجراءات للحفاظ على بعض معالم ساحة معركة إسلي، كتراث تاريخي مغربي، ولا ننسى أن معركة أخرى تسمى معركة إسلي، وقعت في عين المكان بين أبي يحيى أبي بكر بن عبد الحق أمير المرينيين، ويغمراسن بن زيان صاحب تلمسان، سنة 647هـ/1250م والتي انهزم فيها الأخير وانسحب إلى قاعدة ملكه بتلمسان.

المدفعية الفرنسي قصفه للتجمعات المغربية، كلما سقطت قنابله في جناح من أجنحة الجيش المغربي أحدثت فيه شرخا، ثم سقطت قنبلة أمام الأمير سيدي محمد، فكادت تسقط به فرسه، واضطرته إلى تغيير لباسه وفرسه لكي لا يبقى هدفا للعدو[252]، فأشاع الغوغاء من جيش ولي العهد أنه أصيب، فوقعت البلبلة، وسارعت شرذمة من الشراردة إلى محلة الأمير لنهب محتوياتها، ودخلوا في شجار واقتتال فيما بينهم على الاستحواذ على صناديق المحلة، كل ذلك والجيش الفرنسي يزحف واضعا نصب عينيه مخيم الأمير، وحاولت فرقة من عبيد البخاري اعتراض الزحف الفرنسي والدفاع عن المخيم، ولكنها فشلت أمام القصف المدفعي المركز الذي فتح الطريق أمام مربع الجيش الفرنسي، وانتهت المعركة على الساعة العاشرة والنصف صباحا باحتلال محلة الأمير. تفرقت الجيوش المغربية في كل اتجاه، فأطلق إذاك الجنرال بيجو فرسانه في أثرهم لمنع أي رد فعل، وأي تجمع قد يفسد عليه انتصاره.

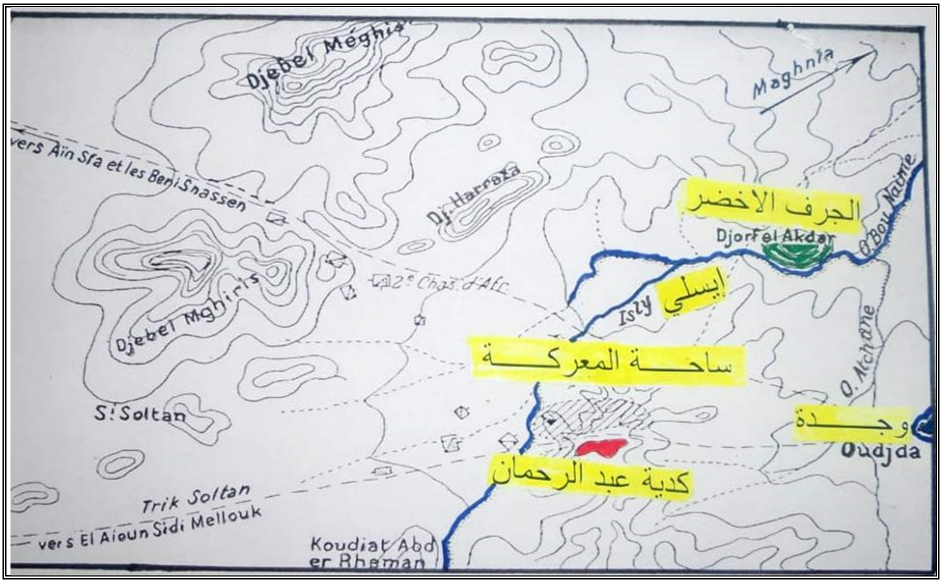
---

[252]La bataille d’isly, pp. 135/136

وانظر: أحمد الناصري، الاستقصا (م-س) ج 9 ص52 . .



وقعت معركة إيسلي في الساحة الممتدة بين
الجرف الأخضر وكدية عبد الرحمان،
على الضفة اليمنى لوادي إيسلي، غرب مدينة وجدة.
Carte oujda du setelite (Google)



H.Rozet, Bataille d'isly p.161.

بعد البحث الميداني الذي قام به محمد شابير[253] لتحديد معالم معركة إيسلي تبين أن كدية عبد الرحمان هي المشار إليها بالأحمر على الخريطة أعلاه، وليس المكان المشار إليه بالحروف اللاتينية أسفل الصورة، وتأكد هذا بوجود بقايا النصب التذكاري - الذي أقامه الجنرال مارتامبري بعد حملته على قبائل بني يزناسن سنة 1859 - على هذه الكدية، وقد امتدت إليه يد التخريب، كما توجد بجوار الآثار المندرسة للنصب المذكور بقايا مهترئة لنصب آخر شيد سنة 1908.

قام ذ. محمد الغرايب ـ مترجم كتاب وجدة العمالة للويس فوانو إلى العربية ـ بالبحث نفسه، لتحديد ساحة معركة إسلي بين الجيشين المغربي والفرنسي، فتوصل إلى النتيجة نفسها، ووقف على ما تبقى من النصب التذكاري للمعركة، كما وقف على آثار النصبين الذين خربهما الأهالي، ويتعلق بالنصب الذي أقامه المرشال بيجو في المكان الذي كانت فيه خيمة الأمير ولي العهد المغربي، والنصب الثاني الذي أقامه الجنرال مارتامبري بعد حملته على بني يزناسن سنة 1859. إحياء لذكرى انتصار الجيش الفرنسي على الجيش المغربي، في 14 غشت 1844 ، وأحيا مارتامبري حفلا لضباطه وأفراد جيشه، ابتهاجا بانتصاره على بني يزناسن في سنة 1859.

انظر: وجدة العمالة، النقيب لويس فوانو، ترجمة محمد الغرايب، ج2 ص 273.

---

[253] محمد شابير أستاذ سابق بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، ورئيس جمعية البحث في تاريخ وتراث الشرق المغربي.



منظر عام لساحة معركة إيسلي، تظهر في أقصى اليمين كدية عبد الرحمان حيث كانت تنتصب خيمة الأمير سيدي محمد، وفي أقصى اليسار الجرف الاخضر حيث أطلت طلائع الجيش الفرنسي قادمة من مغنية صباح يوم 14 غشت1844. تفصل بين الموقعين مسافة 3.5 كلم (وقد وصل العمران– حاليا (2019)- إلى المكانيْن ولا يلبث أن يغمرهما البناء) أخذت هذه الصور من طرف المؤلف. وكلها من الطريق الوطني الرابط بين وجدة والعيون، على بعد 13.5 كلم من وجدة.



هذا النصب التذكاري أقامه القبطان روزي اثناء بحثه عن آثار النصبين الذي بنى أولهما المرشال بيجو تخليدا لانتصاره على الجيش المغربي يوم 1844/8/14، والنصب الثاني بناه الجنرال مارتامبري بعد انتصاره على بني يزناسن سنة 1859، وخرب الأهالي النصبيْن السابقيْن
ولم يبق على الكدية إلا نصب القبطان روزي وهو في طريقه إلى التخريب.

خلفت المعركة 1500 ما بين قتيل وأسير في الصفوف المغربية، وفقد المغاربة مخيم الأمير بنفيس محتوياته، وكل الوثائق والمراسلات، زيادة على ألف خيمة، و 11 مدفعا و 16 راية وقتل من الجيش الفرنسي أربعة ضباط، و23 جنديا، وجرح سبعة ضباط و92 جنديا.

وصل الجنرال بيجو إلى خيمة الأمير التي هُيِّئَتْ لاستقباله، فقضى فيها ليلته، ولكن شدة الحرارة، وكثرة جثث القتلى من جنود ودواب، وبداية ظهور الأوبئة في جيشه جعلت الجنرال يأمر بالإنتقال في اليوم الموالي إلى سيدي موسى على ضفاف وادي إيسلي، ثم دفع بطلائع جيشه إلى مشارف عيون سيدي ملوك، وجبل الزكارة، إستطلاعا وتحسبا لأي هجوم تجتمع عليه الجيوش المغربية المتفرقة بعد المعركة. وفي1844/8/23م أمر الجنرال بالرحيل إلى مغنية حيث وصلها في السابع والعشرين منه.

كثيرة هي الكتابات الفرنسية عن معركة إيسلي، وقد أعطى الفرنسيون لها من الاهتمام أكبر من حجمها[254]، حتى أنها دُرِّسَتْ في المدارس والكليات العسكرية الفرنسية، وصُنفت بين المعارك المهمة التي انتصر فيها الجيش الفرنسي، وبها أحرز الجنرال بيجو لقب دوق، وتوارث أبناؤه وبناته لقب "دوق إيسلي"(Duc d'Isly) قبل أن تحذف الثورة الفرنسية الألقاب الأرستوقراطية، كما أُطلق اسم المعركة على الكثير من الشوارع والأزقة في مدن وقرى فرنسا والجزائر المستعمرة إذاك، وبعد احتلال وجدة في 1907م أصبح مكانُ معركة إيسلي مزارا للمؤرخين والباحثين والمهتمين، ونَظمت جمعيةٌ فرنسية بتلمسان زيارات سياحية لهذا الموقع، وهيئت لذلك العربات وأمكنة الإقامة بمدينة وجدة.

كما خلدها الشعراء الفرنسيون بقصائدهم[255] وأدرجت أحداثها في المقررات المدرسية ضمن تاريخ أمجاد فرنسا. وأطلق على الفوج

---

[254] Bruno E. et François P. , Abdelkader, p. 50.

[255] L.M. 1844, Une journee au Maroc, poême , 1844.

Et voir : Henri Jacob, Le songe d'abdelkader, poêmes,. 1844.

السابع والعشرين من خريجي الكلية العسكرية سان سير(1843-1845م) إسم فوج إيسلي.



معركة إيسلي كما تخيلها الرسام الفرنسي الشهير هوراس فيرني (Horace Vernet) الذي قدم من فرنسا في ربيع 1845 لمعاينة مكان المعركة، والاطلاع على الوثائق الضرورية لرسم لوحته [256]. فرسمها في لوحة ضخمة طولها 10 أمتار وعرضها 5 أمتار، محتفظ بها في المتحف الوطني بقصر فيرساي، بالقرب من باريس.
(Orgine :www.histoire-image.org/fr/etudes/bataille-isly)

هي معركة كالمعارك التي لا بد أن يكون فيها الانتصار حليف النظام ضد الفوضى، والانضباط ضد التسيب، والتخطيط ضد الارتجال، ووحدة القيادة ضد تعدد الزعامات. وباختصار كانت معركة جيش نظامي محترف، من أقوى جيوش أوروبا ضد متطوعين غرباء عن ميادين الحرب، غير مدربين ولا مدركين لحجم مهمتهم، ولا تجمعهم قيادة واحدة حنكتها تجارب المعارك، فتُحَدِّد دور الفرد والمجموعة، وكيفية التنسيق الجماعي بينهم، لبلوغ هدف معين تم التحضير له - مسبقا - بدقة متناهية.

[256]Campagne d'afrique, 1835-1848, gloires et souvenirs militaire, p 22.

" إن الكارثة كان سببها هشاشة العديد من تجمعات مقاتلي القبائل التي استطاعت كسب ثقة سيدي محمد. وهنا يجب التذكير برد الجنرال بيجو على من أخبره بأهمية الالتحاق المتواصل لمقاتلي القبائل بجيش السلطان، فقال : كلما كثرت تجمعاتهم حققت عليهم انتصارا في أقرب وقت".[257]

لم يُخْفِ بعضُ الضباط الفرنسيين - رغم الهزيمة التي مني بها الجيش المغربي - إعجابَهم بشجاعة الجندي المغربي وثباته في القتال[258]. وعجبوا كيف أن هاته الطاقات الفردية لم تجد من ينسق بينها لتوجيهها لجهد جماعي هادف.

كان من حق فرنسا أن تستثمر انتصارها في إيسلي، وتملي شروطها على المغرب، بعد أن اغتصبت وضمنت الأراضي التي يشملها المكان الواقع بين:

1 مصب نهر تافنة (رشقون).

2 ومصب نهر كيس (عجرود- السعيدية).

3 و سفح أعالي وادي تافنة (سبدو).

هذا المساحة المغتصبة (البالغة تقريبا: 3000كلم2)هي أول أرض مغربية تقتطعها فرنسا لتلحقها بالجزائر قبل معركة إيسلي، وتؤكد حيازتها بعد المعركة، وكان هذا الاقتطاع – بالنسبة للمغرب - هو السبب الرئيسي للمعركة، بينما كان ثانويا بالنسبة لفرنسا التي كانت ترى دعم المغرب للمقاومة الجزائرية هو جوهر المعركة.

يحتوي هذا المثلث على عدة قرى كندرومة ومغنية والغزوات وغيرها، وبه الكثير من القبائل كأولاد نهار، وبني مطهر(الڨور)

---

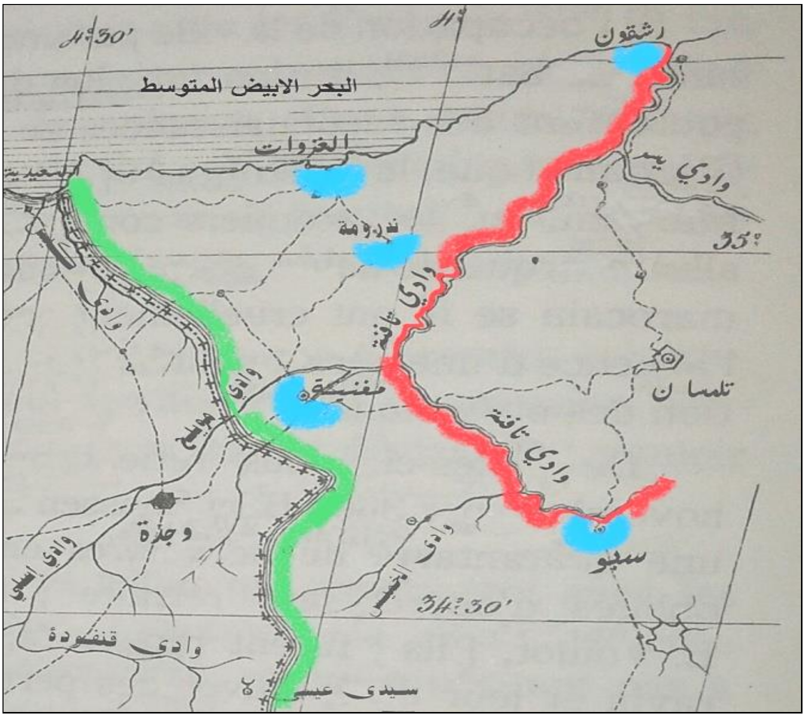
[257] إسماعيل حمت، الحكومة المغربية (م-س) ص 70.

[258] نوه الجنرال مارتنبري(Martimprey) الذي حضر معركة إيسلي بشجاعة الجندي المغربي. وبعد خمس عشرة سنة قاد مارتنبري حملة ضد بني يزناسن (1859)، وأثناء هذه الحملة وصل إلى مكان معركة إيسلي، وأقام به حفلا تخليدا لانتصار الجيش الفرنسي، وبنى نصبا تذكاريا على كدية عبد الرحمان، في المكان الذي كانت به خيمة الأمير ولي العهد يوم المعركة: انظر:

Capitaine H.Rozet, La bataille d'isly, p. 89/90/163

انظر كذلك:.Mordacq Commandant , la guerre au Maroc, p. 20, 40

وبني بوسعيد، وبني سنوس، وبني هديل، وولهاصة، وبني واسين والسواحلية، وأولاد ورياش وغيرهم، وكلهم كانوا مغاربة تابعين لعمالة وجدة.



اللون الأحمر يشير إلى وادي تافنة الذي كان يمثل خط الحدود بين المغرب والجزائر.
اللون الأخضر يشير إلى خط الحدود الذي فرضته معاهدة لالة مغنية بين البلدين.
اللون الأزرق يشير إلى المواقع التي احتلتها القوات الفرنسية قبل معركة وادي إيسلي: (رشقون، الغزوات، ندرومة، مغنية، سبدو) واحتلال هذه المواقع كان السبب الرئيس في اندلاع المعركة بين المغرب وفرنسا.

بدأ اقتطاع الأراضي الحدودية المغربية وإلحاقها بالجزائر في 9 فبراير 1842 باحتلال سبدو، واستمر قرنا من الزمن إلى أن انتهى في 1962/10/2م لتكون تندوف آخر أرض يتم اقتطاعها من المغرب وإلحاقها بالتراب الجزائري.[259]

[259] أحمد العمري، معلمة المغرب(م-س)، ص 440.

معاهدة لالة مغنية بين المغرب وفرنسا

اقتطفت فرنسا أول ثمار انتصارها بإيسلي في معاهدة طنجة (1844/9/10م) إذ عزلت الأمير عبد القادر باعتباره خارجا عن القانون، واعتبرت الحدود - التي فرضتها في 1842 و 1843م باحتلال سبدو ومغنية وكل الساحل الممتد ما بين مصب تافنة ومصب كيس - هي الحدود المتوارثة عن الأتراك، وإن لم تكن كذلك، ولكن منطق القوة ولغة الغالب فرضا هذا التعريف المخالف لمنطق التاريخ.

اختار المغرب لتمثيله في اجتماع توقيع معاهدة لالة مغنية :

- احميدة بن علي الشجعي: ينتمي الشجعي إلى قبيلة شراقة التي تنتمي في الأصل إلى قبيلة أشجع أو الشجع وتنطق السْجَع كذلك الكائنة شرق عيون سيدي ملوك، ذات الأصول العربية التي قدمت مع تغريبة بني هلال، وقد تولى منصب عامل إقليم وجدة خلفا لعلي بن الطيب الكَناوي، وبعد شهر من توليته كانت معركة إسلي.

- وأحمد الخضير السلاوي: عين كاتبا من طرف المخزن لحضور المفاوضات، ولكنه لم يكن يعرف شيئا عن الحدود المغربية الجزائرية.

واختارت فرنسا:

- دو لاري:(Le Comte De la Rüe) يعتبر شخصية عسكرية وسياسية ملم بملابسات العلاقات المغربية الفرنسية، وقد ترقى في مناصب عسكرية هامة حتى وصل إلى درجة عالية فيها (مارشال سنة 1844م) وأسندت إليه كذلك مهمة رئاسة كثير من البعثات الدبلوماسية، وقد زار المغرب أكثر من مرة آخرها سنة 1836م في مهمة دبلوماسية حيث قدَّم للسلطان مولاي عبد الرحمان مذكرة احتجاجية على موقفه المساند للمقاومة الجزائرية.

- مارتنبري: (Martemprey) له معرفة جيدة بالشؤون الطوبوغرافية، وخبرة عسكرية واسعة، شارك في جميع العمليات العسكرية التي خاضها الجيش الفرنسي انطلاقا من الجزائر ضد المغرب، منها معركة إيسلي. وهو واضع الخريطة المرفقة بمعاهدة لالة مغنية، إلى

جانب مذكرة يصف فيها الأماكن والنقط التي يمر منها خط الحدود. قاد حملة عسكرية ضد بني يزناسن سنة 1859، وكانت مدينة أحفير تحمل اسمه طيلة فترة الحماية.

- ليون روش: (Léon Roch) توجه إلى الجزائر منذ 1832م أي منذ بداية احتلال الجزائر، تعلم العربية وأتقنها حتى بدأ يكتب بها الشعر، وشارك مع القوات الفرنسية في الهجوم على المدية سنة 1836م، غادر معسكره الفرنسي بعد توقيع معاهدة تافنة سنة 1837م بين الجنرال بيجو والأمير عبد القادر الجزائري، والتحق بهذا الأخير متظاهرا باعتناق الإسلام فسماه الأمير عمر بن روش، ولكنه بعد اختراق الهدنة من طرف الفرنسيين سنة 1839م غادر روش خلسة مخيم الأمير ليعود إلى القوات الفرنسية، ويُعيَّنَ مترجما رئيسيا للوفد الفرنسي في مفاوضات مغنية نظرا لإتقانه اللغة العربية وخبرته الواسعة ومعرفته بخبايا أمور العرب، وبذلك اعتُبِر أخطر داهية في الوفد الفرنسي.

تنفيذا للبند الخامس من معاهدة طنجة، كان المتفاوضون المعينون لرسم الحدود يجمعون المعطيات، فوصل مارتانبري إلى تلمسان لهذا الغرض، واختير روش للذهاب إلى وجدة، مصحوبا بحرسه، حاملا لهدايا سنية للمفاوضين المغاربة للتأثير وتوجيه المباحثات الأولية حول الحدود، أثناء ما يسمى بالتفاوض، وهو في الحقيقة فرض للخطوط العريضة للمعاهدة.

أقام روش عدة أيام بوجدة إلى أن أنجز مهمته بنجاح، ولم يبق إلا التوقيع على المعاهدة، فتم الاتفاق على الاجتماع يوم 18 مارس بمغنية.

نصبت خيمة كبيرة لاستقبال الوفديْن، وقدَّمَتْ لهما التحيةَ فرقتان واحدة من المشاة الفرنسيين والأخرى من المخزن المغربي الذي رافق المفاوضيْن المغربييْن، كما حيتهم طلقاتٌ من المدفعية الفرنسية، وبدأت المفاوضات التي دامت ما يقرب من خمس ساعات، وانتهت بالاتفاق وتبادل التوقيعات.[260]

[260] Louis Voinot, Oujda et l’amalat, pp : 334-337

خُتِمَ نص المعاهدة بهذه العبارات تأكيدا على حيازة مركز مغنية نهائيا من طرف الفرنسيين واعتراف الموقعين بذلك: " حرر على التراب الفرنسي القريب من الحدود في 18مارس 1845".

عاد المغربيان إلى وجدة في حماية حرسهما والحرس الفرنسي بعد تبادل الهدايا وعبارات الشكر والتقدير.

أصيب السلطان مولاي عبد الرحمان كما أصيب الشعب المغربي بخيبة أمل، بعد الاطلاع على نصوص المعاهدة، فقد تم ترسيخ حدود جديدة بدل الحدود المعروفة بين الأتراك والمغرب، كما أشارت إليه معاهدة طنجة، واقتطعت الأراضي الجنوبية الشرقية بقراها وأراضيها الشاسعة فألحقت بالجزائر، وبقي الجنوب الصحراوي مفتوحا أمام جشع الاحتلال الفرنسي.

" وفوجئ السلطان مولاي عبد الرحمان والحكومة المغربية والشعب المغربي باتفاقية 18 مارس 1845م التي وقع عليها المندوب المغربي حميدة بن علي الشجعي، وكانت مفاجأة السلطان كبيرة عندما وجد موادها تختلف تماما مع التعليمات التي أعطاها لكبير المفاوضين المغاربة الذي خالف رسم التفويض، وكذلك القاعدة الأساسية التي يقوم عليها، ألا وهي **إبقاء الحدود، وإيالة الجزائر، كما كانت أيام حكم الأتراك للجزائر**".[261]

الظاهر أن المخزن كان يفضل حضور القبائل المعنية برسم الحدود، حسما للمشاكل المترتبة على أي إجحاف مقصود أو مرتجل يمس بحقوقهم، في حين كان الفرنسيون يريدون استعجال رسم الحدود واستغلال ظروف هزيمة إيسلي لفرض رأيهم. وهذا ما يقوله الجنرال مارتامبري المكلف برسم الحدود في مذكراته: " لاستبعاد العراقيل التي يمكن أن تتمخض عن تدخل (الأمير) عبد القادر والقبائل المجاورة، إذا تم الطواف على الحدود، يجب عقد لقاء رسمي تحت حماية مدافع حصن مغنية، حيث ستكون في منأى عن كل أسباب أو عداوة غير متوقعة."[262]

---

[261] العربي بولنوار، معاهدة لالة مغنية 18مارس 1845، ص 60.

[262] المرجع نفسه ص 76.

لم تكْفِ المفاوضين الفرنسيين قوةُ بأسهم لفرض وجهة رأيهم، بل لجأوا - دعما لإنجاح مشروعهم - إلى إرشاء المفاوضيْن المغربييْن، وإرشاء من يقف بنفوذه المخزني من ورائهما[263] ، فطالت الرشاوي احميدة الشجعي، وأحمد الخضير السلاوي، والوزير محمد بن ادريس[264]، وبوسلهام بن علي ازطوط[265]، وباشا طنجة محمد بن عبد الملك بن عبد الله.

بعد توقيع معاهدة لالة مغنية من طرف الشجعي كتب دولاري رئيس الوفد الفرنسي إلى كيزو[266] وزير الخارجية الفرنسي في 1844/5/22م يقول:

"يمكن أن نبتهج بالنتائج التي حققناها في هذه الاتفاقية فقد استطعت أن أجر المفاوضيْن المغربيْين إلى حصن لالة مغنية ليكونوا تحت أفواه المدافع الفرنسية، حتى يوقعوا على اتفاقية تقسم لأول مرة في التاريخ ترابا إسلاميا، وأكثر من ذلك شعبا مسلما واحدا".[267]

وكان تقسيم القبائل والأراضي المغربية إلى مغربية وجزائرية في الجنوب الشرقي أشد وقعا عليها:

<u>يقول البند الرابع من معاهدة لالة مغنية:</u>

---

[263] Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome II, pp.134-135.

[264] محمد بن إدريس: كان يتقلد منصب الوزير الأعظم لدى السلطان مولاي عبد الرحمان توفي في 4 محرم عام 1264هـ، كاتب، شاعر، فلكي، أخذ العلم عن عدة شيوخ منهم محمد بن الطاهر الحبابي وحمدون بن الحاج.

[265] بوسلهام أزطوط: تقلب في عدة مناصب مخزنية، كعامل لطنجة ونائب عن المخزن لدى الدول الأجنبية، ووقع بعد هزيمة إسلي وبتفويض من السلطان معاهدة طنجة في 10 شتنمبر 1844م. - انظر: معاهدة لالة مغنية للعربي بولنوار ص 69.

-Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome II ; pp.31-33.

-Le matin du sahara -du 14/8/2008.

(بها صور لرسائل السلطان مولاي عبد الرحمان لعامله بوسلهام بن علي يؤكد فيها ارتشاء المندوبين المغربييْن، وتنازلهما المفضوح عن أراض مغربية لصالح محتل الجزائر).

[266] فرانسوا كيزو François Guizot (1787-1874) مؤرخ وسياسي فرنسي تقلد منصب وزير للخارجية من 1840 الى 1848م، أسقطته ثورة 1848. ترك عدة مؤلفات في شتى المواضيع.

[267] أحمد العماري، معلمة المغرب(م-س) ص: 441.

إن أرض الصحراء لا أحد فيها بين الجانبين لكونها لا تُحرث وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها وماءها، ولكلا السلطتين التصرف في رعيته بما شاء من غير معارض إن امتازت، وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطهما برعية غيره فيكف عن غير رعيته، ويحدث في رعيته ما شاء، **فالأعراب الغربية (أي المغربية) هما المهاية وبني قيل وأولاد سيدي الشيخ الغرابة وعمور الصحراء وحميان الجنبة، والأعراب الشرقية(أي الجزائرية) هم أولاد سيدي الشيخ الشراقة وكافة حميان من غير حميان الجنبة.**

ويقول البند الخامس

في تعيين قصور إيالة المملكتين في الصحراء، فعلى المَلِكَيْن اتباع الطريق السابقة وتوقير أهل هذه القصور، رعيا لجانب المقامين، **أما قصور فجيج وييش فلعمالة المغرب، وأما العين الصفراء، وسفيسفة، وعسلة، وتيوت والشلالة والأبيض وبوسمغون فللعمالة الشرقية(أي الجزائر).**

ولا يخفى السطو الواضح على الأراضي المغربية، ونزعها من أهلها، فالبند الرابع يصنف أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وعمور الصحراء، وحميان الجنبة **مغاربة**، في حين يصنف البند الخامس قصورهم وقراهم **جزائرية** وهي: العين الصفراء، وسفيسفة، وعسلة، وتيوت والشلالة والأبيض وبوسمغون.

الغزو الفرنسي للأراضي المغربية لاحتلالها وطرد أصحابها

انطلقت القوات الفرنسية مباشرة لاحتلال ما اقتطعته من الأراضي المغربية بقوة قانون المعاهدة التي وقعتها مع المغرب، وانطلق الجنرال جيري في أول حملة عسكرية في اتجاه قبائل الجنوب.

في هذه الأثناء كان أولاد سيدي الشيخ يلملمون شملهم ويحاولون توحيد كلمتهم بعد الصراع الطويل الذي كان يفرقهم، والذي لم يبق

له مبرر بعد وصول طلائع الجيوش الفرنسية إلى أرضهم، واتفق الطرفان على التصدي مجتمعيْن لقوات الاحتلال الغازية.

وهكذا في 4 أبريل 1845م (أي بعد سبعة عشر يوما من توقيع معاهدة لالة مغنية) انطلق الجنرال جيري (Gery) من مقر قيادته بمعسكر(Mascara) في جيش قوامه ثلاث فرق مكونة من 2000 من المشاة، و 150 من الفرسان، فوصل ستيتن في 24أبريل1845م حيث استسلمت له ثلاث فرق من الطرافي هم: دراقة وعكرمة وأولاد عبد الكريم حفاظا على قراهم حتى لا يخربها الجيش الفرنسي الذي اكتسب سمعة مشينة ومرعبة في التل الشمالي.

ثم وصل الجيش الفرنسي إلى الغاسول وبريزينة وهما قريتان من قرى أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ففجر أسوارهما وخرب دورهما وسلب ونهب مدخراتهما.

كان حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة موجودا يومئذ بمتليلي، وكان أتباعه بأمر منه قد ضربوا موعدا مع أولاد سيدي الشيخ الغرابة لمواجهة العدو متَّحِديْن، إلا أن الفرنسيين باغتوهم قبل اجتماعهم في الموعد المضروب.[268]

أول معركة يخوضها أولاد سيدي الشيخ المغاربة ضد الفرنسيين

في 2 ماي 1845م وصل جيش الاحتلال إلى المكان المسمى الشْريعة بين شمال عين ڤطار وجنوب البيَّض، فوجد نفسه في مواجهة الشيخ بن الطيب على رأس جيش تعداده 500 فارس و 450 مقاتل راجل، تتكون عناصره من أولاد سيدي الشيخ، حميان، أولاد زياد، رزاينة، طرافي، زڤدو (ذوي منيع، بني ڤيل، أولاد جرير).[269]

هكذا بعد خمسة وأربعين يوما من توقيع معاهدة لالة مغنية، وبعد مرور تسعة أشهر على معركة إيسلي، كانت قبيلة أولاد سيدي الشيخ

---

[268] DPSENOA, p.792.

[269] B.Hamza, Un soufi, p.146.

Voir : - DPSENOA, p. 792.

- Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, Tome II. p.87.

بقيادة المجاهد الشيخ بن الطيب تواجه لأول مرة طلائع الغزو الفرنسي، ففازت بشرف افتتاح المقاومة المغربية في الجنوب الشرقي، دفاعا عن قراهم وأراضيهم المغربية التي اقتطعها هذا الغزو من المغرب وألحقها بالتراب الجزائري ظلما وعدوانا.

كانت أول معركة يشنها المغاربة تعبيرا عن رفضهم المبكر لمعاهدة لالة مغنية، " كما كان الشيخ بن الطيب أول من تبنى محاولة التصدي للمد الفرنسي نحو منطقة الجنوب الشرقي من بين زعامات أولاد سيدي الشيخ"[270] التي جاءت بعده. وقد كانت هذه المقاومة بإذن من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ولذلك عندما تتبع أطوارها، فوجدها تسير كما يريد لها، عين زعيمها الشيخ بن الطيب في 1849م خليفة له على المناطق الشرقية.

نجد التقرير الذي نشرته السلطات العسكرية عن معركة الشريعة التي تَوَاجَهَ فيها الجيش الفرنسي وأولاد سيدي الشيخ بقيادة الشيخ بن الطيب يقول: " إن مسلحي قبيلة أولاد سيدي الشيخ واجهونا في البداية بشجاعة شتتت جموعنا، لولا قوة نيراننا وصمودنا لأرغمونا على التقهقر" ثم يختم الكاتب تقريره بما يختمون به غالبا تقاريرهم واصفا هزيمة أولاد سيدي الشيخ، وانتصار الجيش الفرنسي، ولا نملك مصدرا آخر يصف لنا كيف انتهت المعركة من وجهة نظرأخرى، وعدد القتلى والجرحى في الجانبين.[271]

مراسلات تمت بين الشيخ بن الطيب والجنرال ديليني(يونيو 1845)

يقول القبطان ديليني (Edouard Jean Etienne Deligny)[272] حاكم أمعسكر في رسالته:

---

[270] أحمد مزيان، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي، ص 485.

[271] - محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ (م-س)، ص 268. وانظر :

- DPSENOA, De Lamartinière et Lacroix, p.792.

[272] القبطان ديليني (Edouard Jean Etienne Deligny) 1815-1902 خريج المدرسة العسكرية سان سير، دخل الجزائر سنة 1840، ابتداء من 1843 شغل منصب مدير شؤون الأهالي بامعسكر، شارك في معركة إيسلي 1844، ترقى إلى رتبة جنرال سنة 1855، شارك في الحملة الفرنسية على بني يزناسن 1859، بعد تقاعده من الجيش، شارك في العمل السياسي حيث انتخب نائبا برلمانيا.

" ...وبعد، سمعنا وأنك توخرت بالنزلة، والآن فأنتم على يد السلطان الأعظم، مولاي عبد الرحمان، وذلك حق، لأن حين جعلنا معه الصلح بعد محاربة يسلي فأنتم مذكورون في الكتب الذي كان بيننا وبينه، وأما القصور الأبيض وأم اقرار واتيوت وعين الصفرة والصفيصيفة فهم ملكا لنا، وجميع البلاد الذي يرتعونها حميان الشراقة والغرابة، وعلى ذلك، إذا نريدوا نخرجوكم منها أو نتركوكم فيها..."[273]

يشير القبطان دلينيي في رسالته أعلاه إلى معاهدة لالة مغنية، مؤكدا أن أولاد سيدي الشيخ الغرابة مغاربة، تابعين للسلطان مولاي عبد الرحمان، وأن أرضهم بما فيها قصور(واحات) الأبيض، وأم قرار، وتيوت والعين الصفراء، والصفيصيفة، أصبحت ملكا للدولة الفرنسية، وبإمكان السلطات الفرنسية إخراجهم منها متى شاءت.

إنه تهديد لهم بالتهجير القسري، وإغراء لهم بالبقاء في أرضهم إذا قبلوا التخلي عن مغربيتهم.

جاء رد الشيخ بن الطيب قائلا:

"... بلغنا كتابك وقرأناه وفهمنا مضمنه، وقولك أننا للشريف مولاي عبد الرحمان حقا، فقد علمنا فرص (كذا) حاكم وهران قبل كتابك، وأتانا طابع مولاي عبد الرحمان، وأمرنا بالرحلة، فترانا رحلنا، وامتثلنا لأمره، إنه أميرنا وتجب علينا طاعته، ونطلب منه يطلقنا بالنزلة في بلادنا، ونكون فيها إن شاء الله..."[274]

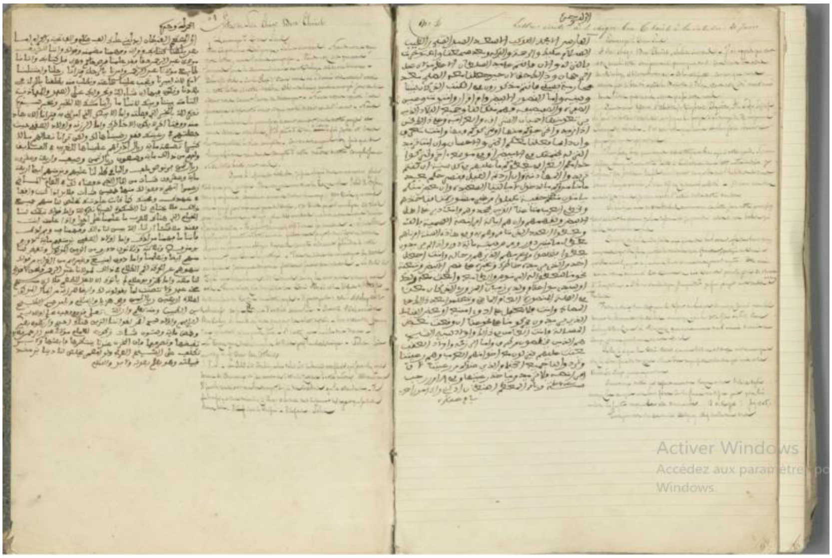
يؤكد الشيخ بن الطيب للحاكم الفرنسي مغربية أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ويؤكد له تعلقهم بالسلطان مولاي عبد الرحمان، وأنهم عند أمره ونهيه، وقد بعث لهم السلطان برسالة ممهورة بطابعه يأمرهم فيها بالرحيل من منطقة التوتر، وأمتثلوا أمره فرحلوا، ولكنهم طلبوا من السلطان السماح لهم بالعودة إلى أرضهم، وسيعودون إن سمح لهم بذلك.

---

[273] http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iibcu
Lettre de Deligny –Chef du Bureau arabe **et Réponse de Sidi Cheikh ben Tayeb –** Juin 1845

[274] Ibid.

نقرأ من خلال السطور إصرار أولاد سيدي الشيخ الغرابة على التشبث بمغربيتهم وبأرضهم، رغم إغراءات وتهديدات السلطات الفرنسية



رسالة القبطان دلينيي، وجواب الشيخ بن الطيب عليها

رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الطرافي (حميان الشراقة) يؤكد فيها إذنه للشيخ بن الطيب في الجهاد.

بعد هذه المعركة تحركت السلطات الفرنسية بواسطة عملائها لاستدراج بعض الفرق من القبائل المغربية المستهدفة لاستمالتها للمشروع الاحتلالي الفرنسي، وذلك بشتى الإغراءات، فكان رد فعل الشيخ بن الطيب هو مراسلة السلطان مولاي عبد الرحمان لإطلاعه

على حقيقة الأمر، فبعث السلطان لقبيلة الطرافي[275] المغربية الرسالة التالية:

خدامنا الطرافي الباقين مع جماعة المسلمين، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فقد بلغنا انحراف إخوانكم عن الإسلام ودخولهم في حزب الكفر وشيعته، واختيارهم للكفر عن الإيمان، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، وركوب ما يجلب سخط الله اليوم وغدا.

وقد كتبنا لكم هذا الكتاب غيرة على جانبكم وموعظة لكم ولإخوانكم، فإذا قرأتموه تقدموا لإخوانكم بالتذكرة والموعظة، وحذروهم سطوة الله وغضبه النازل على من والى الكفر وشيعته، وبالِغوا في وعظهم وتذكيرهم لعل الله أن ينفعهم بذلك فيستيقظوا من غفلتهم ويرجعوا من ضلالتهم ففي الحديث: " لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس"[276]، وإياكم أن يستفزكم العدو الكافر بخداعه ، فإنما ذلك كالسراب سيضمحل عن قريب، فعضوا على دينكم بالنواجذ، **وأخلصوا النية في جهاد عدوكم** بحسن يقين بنصر الله وإعلاء دينه على الدين كله بوعده الصادق، وقوموا على ساق الجد في مقاطعة الكافر، ومصارمة أهل شيعته، قال الله تعالى:

274 قبل معاهدة لالة مغنية كانت قبيلة حميان مغربية الولاء، وكانت تنقسم إلى شرقية وغربية، فالشرقية هي الطرافي بفروعها، والغربية هي شافع والجنبة، ولكونهم رعايا السلطان فقد نصحهم وأمرهم بالانضواء تحت قيادة الشيخ بن الطيب ممثله في المنطقة.
انظر كذلك:(Antar Michel, Chevauchées d’un futur Saint-cyrien, p. 28) .

276 الحديث: رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه. (البخاري 3498) ومسلم (2406).

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم" (المائدة 51) وقال عز وجل: "ومن يتول الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون" (المائدة 56).

ونأمركم أن تكونوا يداً واحدة، ونفسا متحدة مع البركة السيد الشيخ بن الطيب البكري، فإن المؤمنين كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، وقد أمرناه أن يصلح بينكم وبين إخوانكم قبائل الصحراء، حتى تكونوا معا يدا واحدة على أعدائكم كما كنتم من قبل، لتربحوا وتنجحوا، ولا تقصروا في إرشاد إخوانكم حتى يرجعوا إليكم ويعمروا البلاد معكم، فإن الفرنصيص لا يأنفون من هذا ولا يكرهونه ولا يتعدون الحدود، ولا يطمعون فيمن هو من إيالتنا وإيالة أسلافنا قدسهم الله، وذلك لما جددنا معهم من الهدنة وعقدنا من المصالحة والسلام.

في 3 رمضان المعظم عام 1261. (الموافق 1845/9/5)[277]

يحث السلطان أعيان قبيلة الطرافي (حميان الشراقة) على الالتفاف حول الشيخ بن الطيب، ويحذرهم من موالاة الفرنسيين، وهو ما يؤكد مغربية قبيلة الطرافي إذاك، كما تشير الرسالة إلى أن السلطان كان يقلد الشيخ بن الطيب – قبل هذه الأحداث- قيادة أولاد سيدي الشيخ ومن والاهم من قبائل الجنوب، **كما تؤكد الرسالة بوضوح إذن السلطان لزعيم أولاد سيدي الشيخ، الشيخ بن الطيب في الجهاد، ودعم السلطان للمقاومة** التي لم يمض على انطلاقها إلا أربعة أشهر، كما يدل على ذلك تاريخ كتابة الرسالة الملكية.

---

[277] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس (م-س) الجزء 5 ص 90.

وفد أولاد سيدي الشيخ للاحتجاج على بعض بنود معاهدة الحدود.

لم يجف حبر معاهدة لالة مغنية حتى سارع الشيخ بن الطيب إلى إرسال وفد يتكون من ثلاثة من أعيان أولاد سيدي الشيخ (شراقة وغرابة) إلى السلطان وهم كالتالي:

ـ قدور بن الطيب (أخو الشيخ بن الطيب)
ـ جلول بن محمد (ابن عم حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة)
ـ بوعلام بن محمد (من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، من آل بودواية)[278]

ذهب الوفد المذكور للمثول أمام السلطان لإطلاعه على وضعيتهم، ومواجهتهم للقوات الفرنسية في معركة الشْريعة، ولتقديم احتجاج أولاد سيدي الشيخ وحميان الجنبة والعمور، وكل المتضررين من بنود المعاهدة التي أكدت مغربية السكان، ولكنها سلبتهم قراهم وأرضهم وألحقتها بالجزائر في تناقض واضح وتخطيط لتهجير قسري[279]. **وهو أول احتجاج فوري يتقدم به مغاربة اعتراضا على معاهدة لالة مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا.**

فالبند الرابع يقول: (بلغة عربية تميل إلى الدارجة)
"..فالاعراب الغربية (أي المغاربة) هما المهاية، وبني كَيل، وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وعمور الصحراء، وحميان الجنبة".

---

[278] DPSENOA, p.793.

[279]- Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, Tome II, p.85
-Said Sayagh, la France et les frontières Maroco-Algériennes (1873-1902) p.16.

ويقول البند الخامس:
" ... أما قصور(أي قرى) فجيج وييش فلعمالة المغرب، وأما العين الصفراء، وسفيسفة، وعسلة، وشلالة، والأبيض، وبوسمغون فللعمالة الشرقية (أي الجزائر).

هناك قرى أخرى لم تذكر في هذا البند ودخلت ضمنيا في المنطقة كأم قرار، وتيوت[280]، كلها ملك للمغاربة المذكورين في البند الرابع والذين تعترف السلطات الفرنسية قبل غيرها بمغربيتهم، ولكنها صنفت أراضيهم ضمن الأراضي الجزائرية.

على ضوء هذا الاحتجاج توقف السلطان مولاي عبد الرحمان عن التوقيع على المعاهدة. "ويتضح أن مشروع دولاري المتعلق بتعيين الحدود، بعد دراسته من طرف المخزن، أعاده كاتب السلطان مقرونا بالرفض إلى الجنرال الفرنسي على يد السيد بوسلهام.."[281] وهو ما تؤكده الرسالة التالية[282] من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى عامله بوسلهام أزطوط:

---

[280] تيوت قرية تقع بين العين الصفراء والشلالة، وتيوت وعين ورقة ومحيطهما هو مستقر الشرفاء العلويين، أبناء مولاي عبد الملك بن السلطان مولاي إسماعيل بن علي، وبهما سكناهم وممتلكاتهم من أجنة ونخيل وعيون ماء. و**تيوت** ليست **توات** التي هي أحد الأقاليم الثلاثة من الصحراء الشرقية، التي بدأ اقتطاعها من المغرب والحاقها بالجزائر منذ 1892م.

[281]- إسماعيل حمت، الحكومة المغربية (م-س) ص 74.

- عكائة برحاب، المغرب وفرنسا، ص 18-19.

[282] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، الجزء الثاني، ص71.



الحمد لله وحده

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

تعالى وبركاته وبعد فاعلم أنا ما كنا أخرنا إمضاء رسم حدود وجدة ونواحيها إلا

بقصد التثبت بسؤال أهل البلدان من إيالتنا واستقصاء أحوالهم وقد ورد علينا أولاد

سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا وسألوا عن رسم الحدود فلما سرد عليهم وجدوا

فيه تناقضا وهو أنهم ذكروا أولاد سيدي الشيخ الغرابة وخدامهم الجنبة من جملة

إيالتنا السعيدة ولهم قصور من ملكهم وبها أصولهم وأجنتهم ومحل خزن أمتعتهم

[illegible]

رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى
عامله على العرائش، حول أراضي أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة
التي أقتطعها الإحتلال الفرنسي وألحقها بالأراضي الجزائرية
وقدوم أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى حضرة السلطان للإحتجاج على ذلك.
(الوثائق، الجزء الثاني ص 71)

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي.

وفقك الله وسلام عليك و رحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد ، فاعلم أنّا ما كنا أخرنا إمضاء رسم حدود وجدة ونواحيها إلا بقصد التثبت بسؤال أهل البلدان من إيالتنا واستقصاء أحوالهم وقد ورد علينا أولاد سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا وسألوا عن رسم الحدود ، فلما سرد عليهم وجدوا فيه تناقضا وهو أنهم ذكروا أولاد سيدي الشيخ الغرابة وخدامهم الجنبة من جملة إيالتنا السعيدة ولهم

قصور هي ملكهم وبها أصولهم وأجنتهم ومحل خزن أمتعتهم،وأضافوها لإيالة الترك وهي الأبيض والشلالات وبوصمغون، فكيف تكون القبائل من إيالتنا وقصورهم وأملاكهم من إيالة الترك هذا مما يوجب الشنآن وترديد الكلام، وكذلك تيوت حسبوه من الإيالة الشرقية وهو معروف عند الخاص والعام من إيالتنا، ولا زال به أبناء عمنا الأقارب قاطنون إلى الآن .

فبوصول كتابنا هذا إليك كلمهم في هذه البلاد أن يسلموها، فإن من أشار عليهم أنها من إيالة الترك إنما مراده بذلك التكدير وجلب التشغيب والشنآن بيننا وبينهم. وهم يدعون المحبة وما يثبتها. وبقاء هذا الأمر على هذا الوجه يؤذن بضد ذلك. ونحن نريد سد باب المماحكة رأسا وترك ما يوجب الخلاف . والسلام

في 4 رمضان المعظم عام 1261هـ (الموافق1845/9/6)

بعد اتصال بوسلهام بممثل البعثة الفرنسية واليون روش (LéonRoches) المكلف بملف معاهدة مغنية، واطلاعهما على فحوى رسالة السلطان، تذرع روش بالبحث في الموضوع لتلافي الخطأ، وهي مناورة منه للالتفاف على احتجاج سكان المنطقة، وهذا ما يتجلى في الرسالة الملكية التالية:[283]

[283] المرجع نفسه ص 81.



رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامله على العرائش ، حول أراضي أولاد سيد الشيخ الغرابة، المنزوعة منهم من طرف الإحتلال الفرنسي ، والملحقة بالجزائر ومناورات الإحتلال ، وطموحه إلى احتلال فجيج.
(الوثائق، الجزء الثاني ص 81)

- خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، وصلنا كتابك مخبرا بمشافهتك قونصُ الفرنصيص واليون بن الروش بما أمرناك به في شأن الحدود وإطلاعك لهما على نسخة ما أدخل في إيالة الجزائر منها فرد القنصُ الأمر لأليون لكونه باشر ذلك نيابة عن دلاروا الذي تركه خليفة عنه، وأجاب اليون بأنه يستثبت الأمر ويحققه بالكتابة ويطلعك على ما يجاب به لتطلع علمنا الشريف به، بحيث إن وقع غلط في ذاك يرجع من حينه وقد ظهر لنا باختبار حالهم أنهم لا غبطة عندهم في شيء من ذلك ولا إرادة لهم في تكثير

الكلام فيه وأن غرضهم التحبب لجنابنا العالي بالله والميل إليه وارتكاب ما يدركون به خاطرنا ورضانا، فأظهرْ لهم أنت مثل ذلك من غير ثقة بهم ولا استنامة إليهم فإن عدو الدين وإن أظهر ما أظهر من ذلك فإنما هو خداع ومكر ولغرض يظهر فيما يستقبل قال الله سبحانه: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم (آل عمران 72)، و إذا كان الأمر كذلك فما بالهم يتحدثون بغزو فجيج ويرومون تملكه، وهو من إيالتنا؟ فأيقظهم بهذا وشبهه وجد في التخلي عن البلاد التي ذكر أولاد سيدي الشيخ وعدم التعرض لمن هو من إيالتنا أو مد العين إليه والسلام.

في 24 رمضان المعظم 1261هـ

أرسل السلطان مولاي عبد الرحمان بعثة دبلوماسية تحت رئاسة عبد القادر أشعاع إلى فرنسا، فانطلقت من تطوان يوم 1845/12/13 وعادت يوم 1846/3/7، وكان على رأس مهماتها بحث قضية الحدود واحتجاج أولاد سيدي الشيخ على اقتطاع أرضهم وأرض حميان، ووضعية الأمير عبد القادر داخل المغرب.

فبعث عبد القادر اشعاع[284] - وهو إذاك بباريس - بالرسالة التالية إلى كيزو وزير الخارجية الفرنسية، يستميله إلى النظر في مطالب

[284] الحاج عبد القادر بن محمد أشعاع، عينه السلطان واليا على تطوان سنة 1845، بعد وفاة والده الذي كان يشغل هذا المنصب منذ 1827، كان الحاج عبد القادر من أبرز ولاة الوطن في القرن التاسع عشر، عرف بالحزم والمقدرة، عهد إليه المولى عبد الرحمان بمهمات دبلوماسية منها سفارته إلى فرنسا، التي كان ضمنها اليون روش، وعدد من الشخصيات المغربية، كما رافقه فيها محمد بن عبد الله الصفار الذي خلد الرحلة بكتابه: " رحلة الصفار" وانظر:

ـ عبد العزيز التمسماني خلوق، معلمة المغرب (م-س) ص 462.

ـ محمد العربي الشاوش، إشارات حول الإشعاع الفكري والحضاري لمدينة تطوان، مجلة دعوة الحق، العدد 247، رجب 1405/ أبريل 1985.

المغرب، لعله يأمر بمراجعة بعض بنود المعاهدة المخلة بحقوق السكان وهويتهم وهوية أرضهم وقراهم.

رسالة أشعاع الى كيزو:

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله.
اعلموا وفقنا الله وإياكم، أنا لما تحققنا مناصحتكم وتيقنا صدق مصافاتكم جينا إليكم لتجديد عقد المحبة ونظم عقد ما انتثر من عقد المواصلة والمهادنة والمودة بين دولة سيدنا السعيدة وبين دولة سلطان فرنصة، وللسعي فيما تظهر فيه ثمرة ذلك. فإن الصلح والمهادنة معناهما صفاء الأمور وإجراء الأحوال على مقتضاها، وسد كل باب يصل منه كدر أو خلاف، وقطع كل ما يناقض الموافقة والإئتلاف، وملاك ذلك صفاء القلوب وموافقة الفعل للقول.
وعندنا أمور ربما تكون سببا للإخلال بشيء من ذلك فلابد من النظر فيها وإجرائها على قانون المصافاة ليزداد ركن المحبة اشتدادا وباب الكدر انسدادا كما هو مقصود.
فمن ذلك النظر في الحدود وتدارك ما وقع فيها من الغلط والتراجع، بأن يوقف على حقوق الرعية وإنصافها، بأن كل من كان يتصرف في أرض أو بلاد تبقى بيده، ولا يرفع يده عنها إلا بموجب، لأن في شرعنا العزيز من تصرف في أصل عشر سنين ولم ينازعه فيه أحد فهو ملكه.
ومن ذلك أولاد سيدي الشيخ الغرابة وقبائل الجنبة من حميان قد ذُكروا في نسخة الحدود أنهم من إيالة الغرب. وقصورهم التي يسكنونها ويخزنون بها أمتعتهم نسبت لإيالة الشرق وهي الأبيض وبوصمغون

والشلالات. ولا شاهد عليه ولا حجة وإنما هو اتباع رأي من يريد الشنآن والكدر. فكيف تكون القبائل من إيالة الغرب وقصورها من إيالة الشرق؟! هذا هو الخلاف بعينه ونحن نسعى في سد بابه ومن ذلك أرض تيوت وبلادها معلومة لإيالة الغرب، ولا زال أبناء عم سيدنا مستوطنين بها إلى الآن. وكذلك أرض فجيج لا زال عمال سيدنا يتصرفون عليها إلى الآن . وقد بلغنا أنكم تريدون غزوها وتملكها، فهذا وشبهه مما يكدر ويوجب الشنئان....[285].

تعمقت الخلافات بين السلطات المغربية والفرنسية، وتكررت زيارات روش إلى المغرب لتهدئة الأجواء، ومحاولة الضغط بالترغيب والترهيب للتوقيع على المعاهدة، تقول جريدة إفريقيا الصادرة بباريس:

".. لا يزال الجنرال دولاري بوهران، وقد بعث روش مرتين إلى طنجة، ولكن السلطان (المغربي) لا يزال يرفض التوقيع على المعاهدة..

....كما ندد مجلس الشيوخ الفرنسي في جلسته العمومية المنعقدة في 29/28 ماي 1845 برفض السلطان توقيع المعاهدة معتبرا ذلك إهانة لملك فرنسا وحكومتها وشعبها."[286]

---

[285] رسالة من عبد القادر أشعاع إلى وزير الخارجية الفرنسي كيزو بتاريخ 7 محرم 1262هـ /6 يناير 1846م (رحلة الصفار الى فرنسا، محمد بن عبد الله الصفار الأندلسي التطواني.الملحق رقم 4 صفحة 275) أصلها محفوظ بوزارة **الخارجية الفرنسية :**
Ministère des affaires étrangères, Paris série Maroc. Mémoires et Documents vol.4, p.145.

[286] L’afrique, journal de la colonisation française, 1ère page, du 2 au 6 juin1845.

استطاع روش بعد عدة محاولات مع المسؤولين المغاربة بطنجة أن يصل إلى السلطان مولاي عبد الرحمان، وبدهائه ودرايته المباشرة بأحوال المسلمين ومكامن القوة والضعف لديهم نجح في إقناع السلطان بالتوقيع على المعاهدة.

" استطاع مؤخرا السيد ليون روش – بعد صعوبات كبيرة لا يستطيع إلا هو تجاوزها – أن يُسْتقبَلَ من طرف السلطان مولاي عبد الرحمان، ولم يحظ بحسن الاستقبال فقط، بل حقق كل مطالبه باسم فرنسا، وأثناء توديعه بعد لقاء دام ساعتين، تفضل السلطان فألبسه برنسه، قائلا له: كساك الله برضاه كما أكسوك بثيابي، لسعيك في الخير بين المسيحيين والمسلمين".[287]

ومعلوم أنه كان يقدم النصح للسلطان بصفته مسلما، يهمه أمر المسلمين.

في سياق الحديث عن دهائه الموبوء لا بأس أن نعود إلى سنة 1840 عندما انفصل روش عن الأمير عبد القادر الذي كان قد أوهمه بأنه اعتنق الاسلام، فبرَّ به الأمير وجعله من خاصته، وما لبث أن هرب بعد أن رتَّب رجوعه إلى أحضان دولته الفرنسية، وبأمر من الجنرال بيجو الحاكم العام للجزائر، ذهب روش منتحلا صفة المسلم إلى مكة في موسم الحج، واستصدر فتوى من مجلس علماء المسلمين بإشراف وحضور شريف مكة، وقعها علماء من مكة والمدينة المنورة والأزهر وتونس وبغداد ودمشق وتطوان، وتسمح هذه الفتوى للمسلمين في حالة ضعفهم، وانتصار الكفار عليهم، بقبول الاحتلال الأجنبي ما دام لا يمس بمعتقداتهم، ويحترم دينهم ونساءهم وبناتهم.

كان لهذه الفتوى من المفعول في كسر إرادة مقاومة المسلمين ما لم يكن لفيالق القوات العسكرية. والنجاح في استصدار هذه الفتوى دليل واضح على خبرة روش وخطورة مناوراته. واسْتُقْبِلَ روش عند عودته من موسم الحج حاملا هذه الفتوى استقبال الأبطال،

[287] Henry-Fréderic Faige-blanc, Alpinus, Quelques pâges sur Léon Roches, p. 19.

وهُنِّئَ من طرف ملك إيطاليا ومن مؤسسة الفاتكان بهذا النصر الذي لم يكن يحلم به أحد في الغرب المسيحي، وتلقى الأوسمة والتهاني من أعلى مستويات الدولة الفرنسية. [288]

بذلك الدهاء الخارق الذي استصدر به الفتوى المذكورة موقعة من طرف علماء الاسلام، استطاع اقناع السلطان مولاي عبد الرحمان بالتوقيع على معاهدة لالة مغنية.

حملة الجنرال كافينياك (Le Général Cavaignac) 1847[289]

قام جيش الاحتلال الفرنسي بأكثر من عشر حملات عسكرية لتطويع أولاد سيدي الشيخ الغرابة أو لتهجيرهم من أرضهم، وكانت حملة الجنرال كافينياك هي بداية هذه الحملات.

انطلق الجنرال كافينياك في فاتح أبريل 1847م من معسكره بتلمسان نحو قرى وواحات أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة الواقعة جنوب تلمسان، لاحتلالها وضمها إلى ما تم احتلاله، والقرى المعنية بهذه الحملة هي الشلالة القبلية، والشلالة الظهرانية، بوسمغون، تيوت، أم ڤرارالتحتانية، أم ڤرار الفوقانية، عسلة والعين الصفراء والصفيصفة وغيرها.

كانت الحملة العسكرية تتكون من 4 فيالق من المشاة، ثم فيلقيْن أجنبييْن، وفرقة خيالة، والفرق التقنية كالمسح التوبوغرافي، والفرقة الأركيولوجية، وفرقة الدعم، والفرقة الطبية، ويتبع هذا الجيش 2000 جمل محملة بالمؤن والعتاد وحاجيات الحملة.

---

288 ibid, p. 98-114.

289 كافينياك (Le Général Louis Eugène Cavaignac) جنرال ورجل سياسة فرنسي ازداد سنة 1802، أرسل سنة 1832 إلى الجزائر برتبة قبطان، شارك في حروب الاحتلال، ترقى إلى مرتبة عقيد، وفي 11 يونيو 1844 أثار جدلا لدى الرأي العام الفرنسي والأوروبي بقتله خنقا بالدخان لمئات الأشخاص رجالا ونساء وأطفالا من قبيلة بني صبيح، لجأوا إلى غار هربا من الجيش لفرنسي. كان يقود مقدمة جيش بيجو في معركة إيسلي، وفي سنة واحدة (1848) تقلب في عدة مناصب من حاكم عام للجزائر إلى رئيس وزراء فرنسا إلى رئيس الدولة الفرنسية لمدة خمسة أشهر، ثم ترشح لرئاسة الجمهورية ضد لويس نابليون بونابارت، ولكنه انهزم أمامه، توفي سنة 1857.

كان الطبيب الجرَّاح فيليكس جاكو (Dr Félix Jacquot) مرافقا للحملة بصفته رئيس الفرقة الطبية، وهو مؤلف كتاب "حملة كافينياك" ومنه سنقتطف وصفه لوقائع الأحداث.

وصل الجنرال كافينياك على رأس جيشه إلى قرية "عسلة" مساء يوم 21 أبريل 1847م، وفي 27 أبريل خيم قرب قرية تيوت ومنها أرسل الجنرال أربعة مبعوثين من لدنه إلى أهالي أم قرار التحتانية يحثهم على الاستسلام والدخول في طاعة الاحتلال، إلا أن سكان أم قرار فتكوا بثلاثة من المبعوثين بينما لاذ الرابع بالفرار فأخبر بالحادث الذي أثار حفيظة الجنرال فانطلق للثأر لقتل مبعوثيه.

يقول الدكتور فيليكس جاكو:

" عندما أشرفنا على قصر أم قرار التحتانية قدَّرنا بيوتها بحوالي المائتين (200) مما يرفع عدد سكانها إلى ألف نسمة .

أمر كافينياك بالهجوم على قصر أم قرار تحتانية، وأطلق أيدي جنده لنهب القرية. إثر دخولنا وفي أول الأزقة وجدنا آثار الدماء تلطخ بعض الجدران، وعلى بُعد خطوات عثرنا على جثث مبعوثينا وعليها آثار ضربات السيوف وطعنات الخناجر، وانطلق جنودنا فظهرت غرائز النهب والحرق والإتلاف الكامنة في نفس الجندي الفرنسي بعد إطلاق العنان له، فكانت دوافعه الإنتقام والنهب بالأخص .

نظرا للمشاق التي يتحملها الجندي، وإكراهات الطبيعة أرضا وطقسا، بِمَ يعوض هذا الإرهاق ؟ وبمَ يتم تحفيزه إذا لم تطلق يده مرات في السلب والنهب ؟ ثم من ذا الذي يجرِؤ على تجريمه بعد ذلك ؟ هكذا تسلسلت الأحداث، ولكل حدث دوافع لا يمكن اختيارها ولا التغلب عليها.

عجبا لهذا الجندي الذي كان منذ لحظة هادئا مسالما، كيف انقلب إلى أهوج يتطاير الشرر من عينيه، يتصبب جبينه عرقا، لاهث النفَس، حاملا فأسا يهدم بها الجدران يقلب كل شيء في طريقه، ثم قد يرى طفلا باكيا أو امرأة خائفة فيعود إليه رشده، وقد يحميهما، ويقتسم معهما طعامه وإن كان قليلا. كم من مرة لاحظت تناقض العواطف في ظرف وجيز.....

تصاعد الغبار ودخان الحرائق حتى بلغ المكان الذي كنت أراقب منه العملية، ونزلتُ فوجدت مجموعة من الجنود وقد عثروا على

مطمورة فأخرجوا منها التمر والشعير والحياك (مفردها حائك نوع من الثياب) والخيام وآلات النسيج، كما أخرجوا من مطمورة أخرى بيض النعام، والسروج، والبرانس، والبنادق، وكوابيس أي مسدسات منحسة ومفضضة، ومخطوطات، ومجلدات وأواني مصنوعة من الحلفاء مختلفات الأحجام، وأواني الطبخ، وقدور طينية وأخرى حديدية ونحاسية، وقصعات خشبية، كما وجدوا في إحدى المطمورات زربية رائعة هي الآن تزين قاعة أحد الضباط.

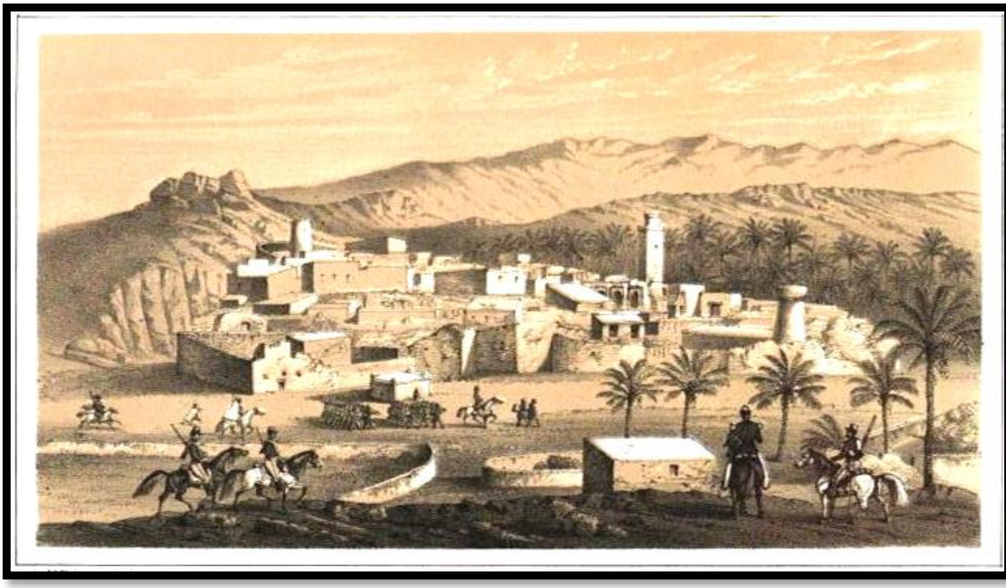
ثم وجدنا خيمة كبيرة جدا من صنع مغربي، من ثوب أبيض يزينها نسيج أزرق تعلوها عند بنائها كرة نحاسية، تذكرنا هذه الخيمة الأميرية بخيمة الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان التي غنمناها في معركة إيسلي، كانت هذه الخيمة لزعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، احتفظ بها الجنرال كافينياك لإعادتها لصاحبها إذا طالب بها. وبعد عودة الحملة العسكرية إلى منطلقها، بنيت الخيمة بساحة المشور بتلمسان، وذات يوم جاء أحد المطالبين بها، وكان يرتدي هنداما يدل على أنه من علية القوم، يلبس حائكا أبيض رقيقا، يضع فوقه برنوسا أخضر فضفاضا يتلفع فيه بمهابة لا تخطئها العين، وتنم حركاته المتزنة على علو مكانته، كما أن عمق المعلومات التي تحدث بها مع رزان (Commandant Razaine) رئيس شؤون الأهالي بيَّنت أنه من زعماء أولاد سيدي الشيخ فسلمت له الخيمة فأخذها وانصرف[290].

وبعد الانتهاء من نهب أم ڤرار التحتانية توجهنا إلى أم ڤرار الفوقانية التي دافع أهلها عنها فسقط منهم ستة عشر قتيلا، وقتل من جنودنا اثنان ، وجرح منهم أربعة.

---

290 كان الأمر يتعلق بقدور بن الطيب، وقد بعثه أخوه الشيخ بن الطيب إلى تلمسان ليسترد الخيمة من السلطات الفرنسية بعد معركة أم ڤرار التحتانية، والخيمة هي هبة ملكية من جملة ما يُعطى السلطان لمن قلده ولاية ما، كما يُعطى له الطابع الذي يختم به مراسلاته، وكسوة وغيرها حسب أهمية الولاية. ووجود الخيمة في ملكية الشيخ بن الطيب سنة 1847 يدل على أنه كان سابقا يتولى قيادة أولاد سيد الشيخ الغرابة ومن والاهم من القبائل المغربية، وفي سنة 1849 تمت ترقيته من قائد لهذه القبائل إلى خليفة للسلطان على سكان المناطق الشرقية الجنوبية من الإيالة المغربية.

يوم 29 أبريل 1847م رجعنا في طريق عودتنا إلى أم قرار تحتانية، فأتم الجيش من التخريب ما بدأه يوم 27 أبريل، فقطع ما بقي من النخيل والأشجار المثمرة، وهدم الباقي من الجدر فلم يدع شيئا واقفا، وترك القرية عبارة عن كومة من التراب"[291]



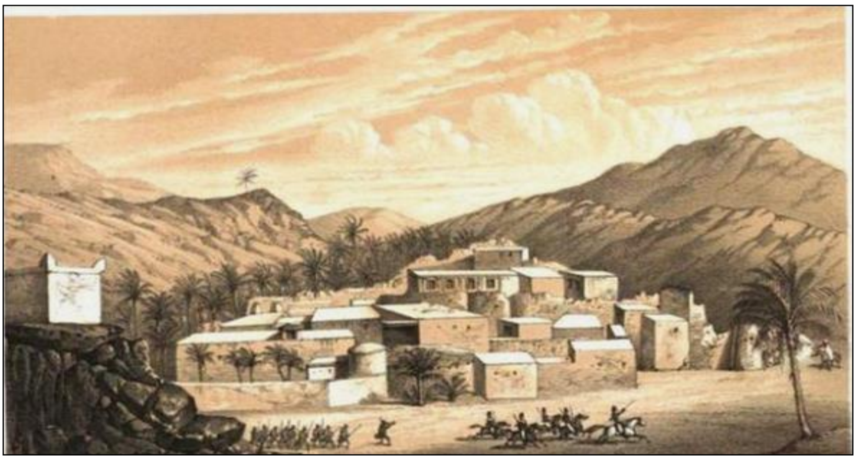
"أم قرار التحتانية"كما صورتها ريشة الفنان الذي كان شاهد عيان، وقد وقف على مشارفها قادة الجيش الفرنسي بزعامة الجنرال كافينياك يوم 27 أبريل 1847م استعدادا للهجوم عليها حيث سويت بالأرض وأحرق نخلها ولم ينج من أهلها إلا من غادرها قبل الهجوم.
(Félix Jacquot, Expédition du général Cavaignac ; p.340)

توجه كافينياك بجيشه صوب العين الصفراء التي احتشد بها جيش من المدافعين عنها يتكون من حميان والعمور وذوي منيع وأولاد جرير وبني كَيل وكلها قبائل مغربية بتعريف معاهدة لالة مغنية لهم، وصمدوا في الدفاع عنها ثلاثة أيام إلى أن انهزموا بعد أن أفسحوا المجال للسكان

[291] Dr Félix Jacquot, Expédition du général Cavaignac, p.156-176. (Traduction de l’auteur). et voir : DPSAENOA, p. 413.

للخروج بما خف من أمتعتهم، وأطلق كافينياك يد جيشه في التخريب والحرق واجتثاث الأشجار المثمرة.[292]

نفذ الجنرال كافينياك يوم27 ابريل 1847م ضد سكان قصور أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة جرائمه بالوحشية التي كان ينفذ بها إبادته لأهالي القبائل في الشمال.



لوحة لأم قرار الفوقانية عند دخول جيش الجنرال كافينياك إليها
كما صورها الرسام الذي كان يرافق الحملة العسكرية
(Félix Jacquot, Expédition du général Cavaignac ; p.341)

وقد اعترف الجنرال كافينياك بجريمته في إبادة قبيلة بني صبيح سنة 1844 قائلا: " لقد تولى الجنود جمع كميات كبيرة من الحطب ثم كدسوها عند مدخل المغارة التي حملنا قبيلة بني صبيح على اللجوء إليها بكل ما تملك من متاع وحيوانات وفي المساء أضرمت النار وأخذت جميع الاحتياطات حتى لا يتمكن أياً كان من الخروج حيا".[293]

من أهداف حملة الجنرال كافينياك على أراضي أولاد سيدي الشيخ وأهداف كل الحملات التالية ترويع سكان الواحات وترهيبهم ليستسلموا

[292] DPSENOA, p:414.

[293] من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر:
https:/ar.wikipedia.org/(الجزائر_المستعمرة _الفرنسية)

للحكم الفرنسي ويعترفوا به، ثم لتجعل القوات الفرنسية من هذه الواحات مراكز قارة لها، ومنطلقا منها إلى مطاردة البدو الرحل من القبائل التي كانت تسبب لها قلقا دائما، فقد كانت تضرب خيامها بعيدا في مناطق لا تصلها قوات الاحتلال، ثم ينتظم فرسانها في وحدات تسمح لهم بالغارات السريعة مع سهولة الكر والفر. وهذا ما جعل سكان الواحات يعيشون وضعا صعبا، فهم مطالبون بالاستسلام والولاء للفرنسيين، وعندما يستجيبون لهم يصبحون متهمين بالخيانة، ومعرضين لانتقام قبائل المقاومة، وهو مراد سلطات الاحتلال القائم على سياسة فرق تسد، وعلى ضرب هؤلاء بأولائك حتى يضعف الجميع ويصبح لقمة سائغة لها.

هكذا تظاهر الاحتلال الفرنسي بأنه يطبق معاهدة لالة مغنية ثم ما لبث أن انقلب عليها وأطلق يده في مصير البلاد والعباد.

قبائل الجنوب الشرقي المغربي بين معاهدة لالة مغنية، والواقع المفروض عليها بالقوة من طرف سلطات الاحتلال.

القبائل	واقع القبائل قبل معاهدة لالة مغنية	تصنيف القبائل من طرف المعاهدة	الواقع المفروض بعد المعاهدة
أولاد سيدي الشيخ الشراقة	مغاربة	جزائريون	جزائريون
أولاد سيدي الشيخ الغرابة	"	مغاربة	مغاربة
الطرافي	"	جزائريون	جزائريون
حميان شافع	"	جزائريون	جزائريون
حميان الجنبة	"	مغاربة	جزائريون
العمور	"	مغاربة	جزائريون
المهاية	"	مغاربة	مغاربة
بني كيل	"	مغاربة	مغاربة

أما قرى (قصور) وواحات أولاد سيدي الشيخ المغاربة فقد اقتطعتها معاهدة لالة مغنية وألحقتها بالجزائر، رغم اعتراض أصحابها واحتجاجهم، والقرى المعنية المدرجة في نص المعاهدة هي : العين الصفراء، صفيصيفة، عسلة، تيوت، الشلالة، الأبيض، بوسمغون.

حملةالجنرال بليسيي (Le Général Pélissier) 1848[294]



الجنرال بليسيي Général Pélissier الذي قاد حملته العسكرية الأولى ضد قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة في شهر يونيو 1848.
وقاد الحملة الثانية ما بين شهري فبراير ومايو 1849.
(esmma.free.fr)

كانت السمعة السيئة التي عُرف بها الجنرال بليسيي تسبقه بكل شرورها وساديتها[295]، فقد قام – بمثل ما قام به قبله كافينياك - بحرق قبيلة أولاد رياح في داخل مغارة الفراشيش التي اعتصموا بها هربا من

---

[294] الجنرال بليسيه (Le Général Aimable Pélissier): ولد سنة 1794 تخرج من الكلية العسكرية سان سير، وشارك في حملات وحروب نابليون في بلجيكا، ألمانيا، وإسبانيا، وروسيا، وكان من الأوائل الذين شاركوا في احتلال الجزائر 1830، وحضر معركة إيسلي حيث قاد ميسرة جيش بيجو، وفي 18 يونيو 1845 قام بإبادة جماعية لقبيلة أولاد ارياح بخنقهم بالدخان داخل غار اعتصموا به هربا من بطش الجيش الفرنسي، حيث أبيد أكثر من 700 شخص بينهم شيوخ ونساء وأطفال.عين حاكما عاما للجزائر سنة 1851م واستمر في منصبه إلى أن مات سنة 1864.

[295] Paul Augustin Farochon, Le Marechal Pélissier, duc de Malakoff, p. 68.

جيشه يوم 19 يونيو 1845. وقد أحصيت بعد انتهاء العملية أكثر من 700 جثة بينها رجال ونساء وأطفال[296].

بعد هذه الجريمة الشنعاء التي لطخت الشرف العسكري الذي من أبسط مبادئه احترام المدنيين العزل، صرح هذا الطاغية قائلا: " إن ثمن الجلد الذي يغطي أحد طبولي العسكرية يساوي أكثر من حياة هؤلاء البؤساء مجتمعين".[297]

تمت هذه الجريمة بمباركة رئيسه الجنرال بيجو، الذي استُدْعِيَ إلى البرلمان الفرنسي للمساءلة، فدافع عن مرؤوسه قائلا: "إنه إذا لم نقم بمثل هذه الأعمال فستطول معارك الاستعمار في إفريقيا" كأنه يشير إلى الخسائر الفرنسية المادية والبشرية التي ستترتب على طول أمد الحرب، والتي ستتحمل تبعاتها السلطات التشريعية والتنفيذية والعسكرية، ولذلك فهو يضع هذه السلطات أمام حسها المادي، وليس أمام حسها الإنساني، لأن المجتمع الأوروبي إذاك كان بأغلب أطيافه داعما متحمسا لثقافة الاستعمار، متشبعا بفكرة نشر الحضارة الأوروبية، كما سوَّغها وسوَّقها له جل الساسة وأغلبية المفكرين.

في 8 غشت 1845م قام الجنرال سان أرنو (Saint-Arnaut) ببناء جدار سد به باب المغارة التي لاذ بها أهالي بني صبيح قبيلة الثائر بو معزة فمات بها الجميع وكانوا أكثر من 500 شخص بين رجال ونساء وأطفال. وها هو يصف الحادثة المروعة قائلا:

" أحكمتُ إغلاق كل المنافذ، وصنعت مقبرة واسعة، لقد غطت الأرضُ إلى الأبد جثثَ هؤلاء المتزمتين، ولا أحد اطلع على المغارة، ولا أحد غيري يعرف أن في المغارة 500 من قطاع الطرق ولن يذبحوا الفرنسيين (بعد اليوم)..."[298]

---

[296] Romagny, Mémento chronologique de l’histoire militaire de la France, p. 161.

[297] Enfumades d’Algerie (Wikipedia).

[298] Enfumades d’Algerie (Wikipedia).

عندما نربط هذه الوحشية بوحشية محاكم التفتيش بالأندلس، نجد أن الدوافع والأهداف وصور الأحداث واحدة. كلها كانت تستهدف اقتلاع جذور الحضارة الإسلامية من المكان والزمان والإنسان.

شارك الجنرال بليسيه في معركة إيسلي إذ كان يقود أربعمائة من فرسان قبيلتي الدواير والزمالة، وكانت هاتان القبيلتان من أوائل القبائل الجزائرية انخراطا في الجيش الفرنسي.[299]

تقلد الجنرال بليسي قيادة ولاية وهران في الفترة التي كانت فيها قبيلة أولاد سيدي الشيخ وقبيلة حميان المغربيتان - كما صنفتهما معاهدة لالة مغنية – تعيشان غليانا وحراكا، تعبيرا عن التشبث بأرضهم التي اقتطعتها المعاهدة من وطنهم المغرب، وجعلتهم عرضة للتهجير القسري.

رد عليهم الجنرال بليسي بحملة عسكرية استهدفت قصورهم في جوان 1848م ووصلت إلى العين الصفراء مرورا بأم ڤرار الفوقانية والتحتانية والصفيصيفة، وكل القصور الواقعة في طريقه، فنشر الرعب والدمار كعادته.

حملة الجنرال ماك ماهون (Le Général Mac Mahon)[300]

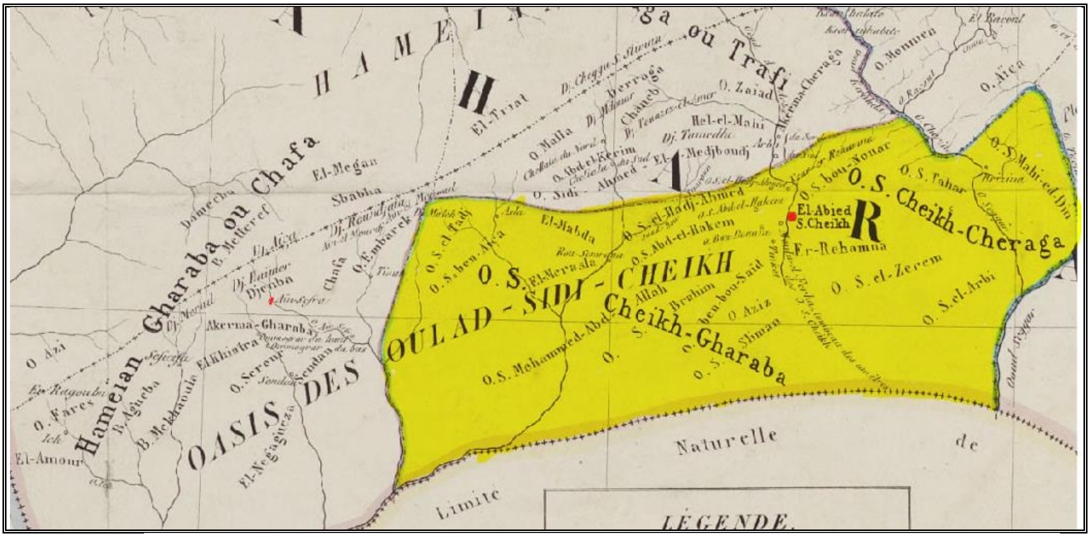
في الشهر ذاته (يونيو 1848) قام الجنرل ماكماهون حاكم منطقة تلمسان بحملة ضد قبائل احميان الرحل التابعين للشيخ بن الطيب[301] دعما لقوات بليسي السالفة الذكر التي توجهت خاصة للواحات المذكورة.

---

[299] H.Rozet, La bataille d’isly, p.18

[300] الجنرال ماك ماهون (Le Général Patrice Mac Mahon): ولد سنة 1808 وتوفي سنة 1893، ينحدر من عائلة ملكية إيرلندية، استقر أجداده بفرنسا، خريج سان سير، من أوائل المشاركين في حملة احتلال الجزائر، ظهرت مقدرته العسكرية فترقى في الرتب إلى أن وصل درجة مرشال، شارك في حملة الجنرال بليسيه على قرى أولاد سيدي الشيخ، شارك في حرب إيطاليا، والقرم، وألمانيا(1870م) وفي سنة 1864 عين حاكما عاما للجزائر، وفي 1873 انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية حيث استمر إلى سنة 1879.

[301] DPSENOA, p. 202.

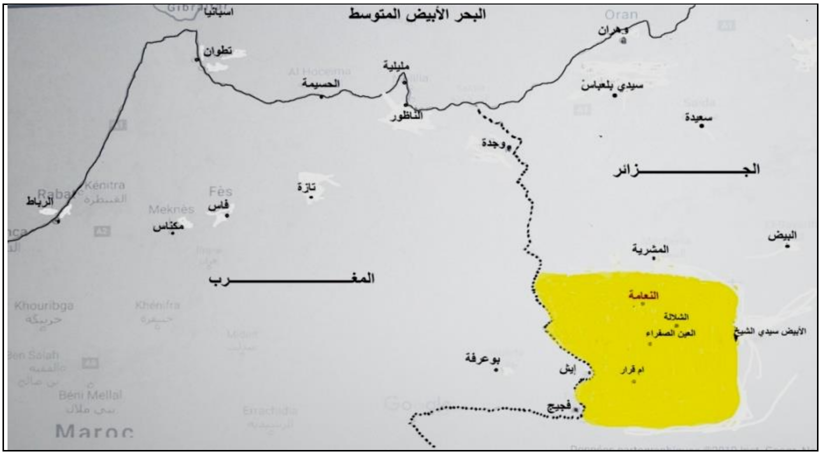


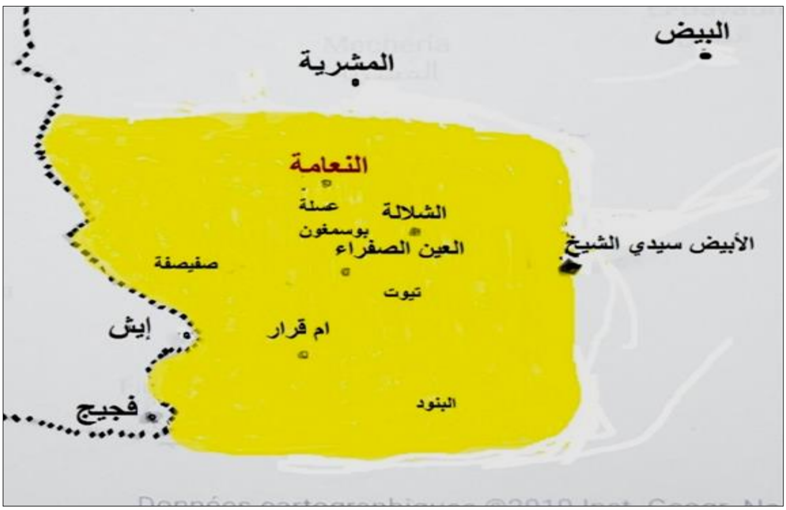
خريطة توضح الأراضي الأصلية لقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ومواطن سكناهم وتنقلاتهم قبل احتلالها وإلحاقها بالتراب الجزائري. وتظهر فيها أسماء أولاد سيدي الحاج إبراهيم، أولاد سيدي امحمد عبد الله، المعابدة، أولاد عزيز، احميان الغرابة (أولاد سرور، أولاد أمبارك، امقثان، سنذان) المراسلة، أولاد سيدي التاج، أولاد سيدي بنعيسى، أولاد سيدي الحاج أحمد، وغيرهم، وهي أسماء العشائر التي كانت ولا يزال أغلبها يكون جماعة أولاد سيدي عبد الحكم[302] حاليا (قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة سابقا). وضعت الخريطة سنة 1846 أي مع بداية الغزو الفرنسي للمنطقة وبداية مقاومة الشيخ بن الطيب له سنة 1845. وهي تعطي صورة عن واقع الأمر إذاك.

(الخريطة من وضع فارنية أوكيست Warnier, Auguste سنة 1846)

Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE B-2285 (RES) (https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b72002410)

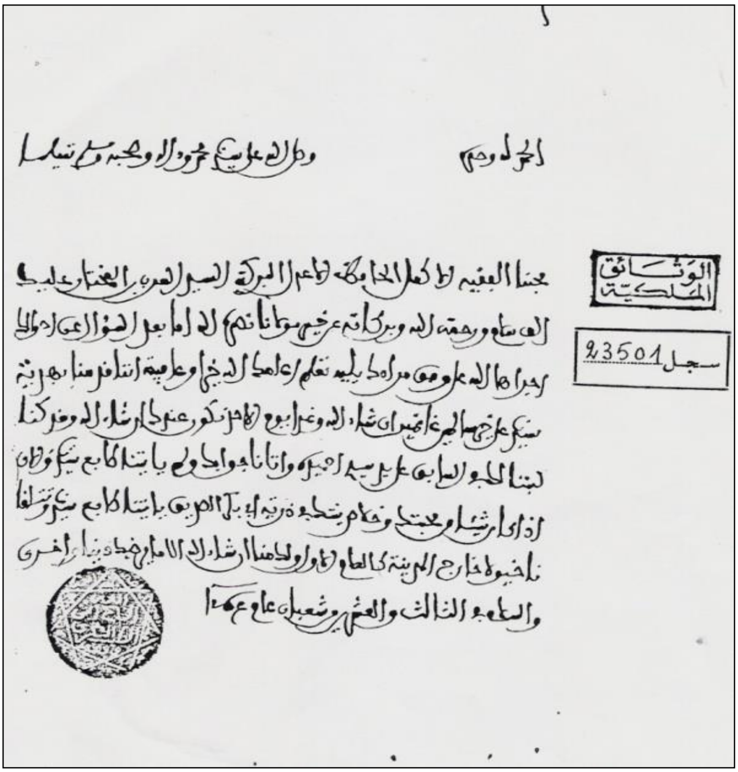
[302] بعد احتلال وجدة في 1907/3/29، أصدر الوالي العام الفرنسي قرارا في 1907/10/14 أنشئت بموجبه قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم، بعد ما كانت تسمى قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وبعد ما تم تهجيرها من أراضيها، وكان إذاك قائدها علال البوشيخي بظهير سلطاني من الملك عبد العزيز.(La Gaquière, BTSGAO,Berguent,p.201)





الأراضي التي تضم قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة ومجالهم الرعوي، وهذه القرى كانت موضوع احتجاجهم على معاهدة لالة مغنية، وهي كذلك القرى الوارد ذكرها في رسائل السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامله على العرائش وممثله لدى السلطات الأجنبية، مبينا له فيها التناقض الذي وقعت فيه المعاهدة، إذ أكدت مغربية أولاد سيدي الشيخ الغرابة وفي الوقت نفسه سلبتهم أراضيهم وقراهم وجعلتها جزائرية. والمجال الرعوي (باللون الأصفر) لم يكن محددا بمعالم مميزة، ولكن كانت القرى (القصور) المبثوثة داخله تحدد أطرافه ومداه.

في هذه الظروف الحساسة تاتي زيارة الشيخ بن الطيب للبلاط الملكي ليقدم للسلطان مولاي عبد الرحمان تقريرا عن الحالة التي تعيشها المناطق الشرقية المغربية في ظل الغزو الفرنسي لها، ومناوراته لتحويلها إلى أرض جزائرية، ووضعية القبائل المغربية المتمسكة بأرضها وقراها وأملاكها، وانطلاق مقاومتها التي كانت بأمر السلطان وتوجيهه، وقبل ذلك وجه رسالة[303] إلى الحاجب الملكي العربي بن المختار الجامعي، يشعره فيها بقدومه:



رسالة الشيخ بن الطيب خليفة السلطان على المناطق الجنوبية الشرقية المغربية إلى العربي بن المختار الحاجب الملكي يشعره بقدومه إلى حضرة السلطان. (الوثائق الملكية رقم 23501)

[303] جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات. الخزانة العامة، قسم التوثيق. الرباط. ميكروفيلم رقم 1975/3 سجل 23501.

"محبنا الفقيه الأكمل الحافظ الأعدل البركة السيد العربي بن المختار[304] عليك ألف سلام ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله، أما بعد السؤال عن أحوالك المرضية أجراها الله على وفق مرادك ، يليه تعلم أعلمك الله خيرا وعافية أننا قدمنا بهدية سيدنا على خير، سالمين غانمين إن شاء الله، وغدا يوم الأحد نكون عندك إن شاء الله، وقد كنا كتبنا لك في السابق على يد سيدي احميدة[305] وأتانا جوابك ولم يأتينا(كذا) طابع سيدنا والآن إذا كان شيئا (كذا) من محبتك وخلاص نيتك في ذرية أبي بكر الصديق يأتينا طابع سيدنا وتتلقانا خيولا (كذا) خارج المدينة كالعام الأول ولك منا إن شاء الله إلا ما يرضيك دنيا وأخرى والسلام .

في الثالث والعشرين من شعبان1264هـ (الموافق 1848/7/25)

طابع دائري به:

الشيخ بن الطيب البكري

وفقه الله."

304 كان أبوه المختار بن محمد بن عبد الملك الجامعي صدرا أعظما (أي وزيرا أول) وكان ابنه العربي بن المختار المعني بالأمر كاتبا في ديوانه، ثم ترقى فأصبح بعد أبيه صدرا أعظم، في حين كانت أخته فاطمة زوجة للسلطان مولاي الحسن الأول، ثم أصبح بعده ابنه محمد المعطي بن العربي صدرا أعظم سنة 1878، ولكنه أنهى حياته في السجن بعد نجاح المؤامرة التي قادها ضده غريمه بًّا حْمَاد بن موسى البخاري، الذي أصبح هو الصدر الأعظم، ووصيا على العرش بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، وتولية مولاي عبد العزيز على العرش سنة 1894.(النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، للدكتور مصطفى الشابي ص 171).

305 أحميدة الشجعي عامل وجدة، والموقع على معاهدة لالة مغنية.

كانت هذه الزيارة مرتبة لعرض الوضع أمام نظر السلطان، ليتم تحديد الإجراءات الواجب اتخاذها، ومن هذه الإجراءات التي نفذها الشيخ بن الطيب بعد عودته من زيارة السلطان أنه بعث وفدا إلى حاكم وهران الجنرال لوري داربوفيل[306] (Le général Loyré d'Arbouville) لمعرفة وتحديد وضعية أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة بالنسبة للسلطات الفرنسية، على ضوء بنود معاهدة لالة مغنية، فتردد الجنرال ولم يستطع توضيح الموقف الفرنسي منهم، لإشكالية البند الرابع من معاهدة مغنية الذي يجعل أولاد سيدي الشيخ الغرابة وحميان والعمور مغاربة، والبند الخامس الذي يسلبهم قراهم وأراضيهم ويجعلها جزائرية، وهو تناقض صريح ومقصود.[307]

لا بد أن نشير إلى حدث مهم وقع في هذه الآونة، ففي11 ديسمبر 1848 تم إعلان الجزائر فرنسية في دستور 1848 وتقسيمها الى ثلاث ولايات فرنسية (الجزائر وهران وعنابة) وهو الحدث الذي سيلهب جشع السلطات الفرنسية لالتهام الأراضي المغربية، ويصبح نهمها بلا حدود.

تعيين الشيخ بن الطيب خليفة للسلطان[308]

تؤكد رسالة السلطان إلى قبيلة الطرافي سنة 1845 - التي سبق ذكرها - أن السلطان كان يقلد - قبل هذا التاريخ – الشيخَ بن الطيب قيادة أولاد سيدي الشيخ الغرابة وقبائل الجنوب الشرقي، وموازاة مع الأحداث الطارئة التي عصفت بالمنطقة، فقد تمت ترقيته إلى منصب خليفة للسلطان، تعبيرا من مولاي عبد الرحمان عن حجم اهتمامه بهذه الجهة، وتقديره للظروف الصعبة التي تمر بها.

---

[306] الجنرال لوري داربوفيل[306] (Le général Loyré d'Arbouville) 1798-1873 جنرال فرنسي، كان من الأوائل دخولا إلى الجزائر مع بداية الغزو الفرنسي للجزائر 1830، شارك في أغلب الحملات العسكرية بين 1838-1847.

[307]DPSENOA, p.795-796.

[308] قلة مِن أعيان المغرب مَن عُينوا في منصب خليفة للسلطان، منهم على سبيل المثال: المدني الكلاوي، والشيخ ماء العينين. (أحمد شوقي بينبين، معلمة المغرب ص 619).

كتب ليون روش ما يلي: " ومما زاد في نفوذ هذا الزعيم (الشيخ بن الطيب) أن (السلطان) مولاي عبد الرحمان ألبسه خلعة المسؤولية، وهو لباس عربي يُعْطى لمن يعين في الوظائف السامية، ونصبه خليفة له على كل الصحراء المغربية"[309]

أثار هذا التعيين حفيظة السلطات الفرنسية وأدركت خطورته على مصالحها وأطماعها التوسعية، فأطلقت بهستيرية حملاتها العسكرية لكسر شوكة أولاد سيدي الشيخ وأتباعهم، ولكبح محاولات الشيخ بن الطيب توحيد القبائل المغربية التي وردت أسماؤها في ظهير تعيينه خليفة للسلطان عليهم. وهكذا عرفت سنة 1849م منذ بدايتها كثرة الحملات للحيلولة دون تكريس الشرعية المغربية على هذه المناطق.

ما إن انتشر نبأ تعيين الشيخ بن الطيب خليفة للسلطان على القبائل المغربية بالجنوب الشرقي حتى سارعت قبائل حميان الشراقة وأولاد عبد الكريم وأولاد زياد، إلى الرحيل للالتحاق بممثل السلطان، وحاول قائد أولاد زياد المعين من طرف السلطات الفرنسية اعتراض طريق أفراد قبيلته ومنعهم من الرحيل فقتلوه.[310]

حملة العقيد ميسيات (Le colonel Adolphe Maissiat) **1849**[311]

عندما ذاع نبأ التفاف القبائل المغربية حول الممثل الشرعي للسلطان مولاي عبد الرحمان ملك المغرب، ثارت مخاوف الفرنسيين من انتشار التمرد في المناطق القريبة والبعيدة، وبسرعة حرَّك العقيد ميسيات قائد حامية امعسكر جيشه وانطلق يوم 10 يناير 1849م محاولا إرجاع القبائل التي لحقت بالشيخ بن الطيب، ولم يجد أمامه إلا قبيلة الرزاينة التي

---

[309] Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, Tome II. p.180.

[310] DPSENOA, p. 796.

[311] الجنرال أ.أ.ميسيات (Adolphe Ambroise Maissiat de Ploënniés) (1804-1889) تخرج من سان سير، كان حاكما لمعسكر، ثم لقسنطينة، شارك في الحملة العسكرية ضد منطقة القبائل التي قادها الحاكم العام روندون، من 27 إلى 30 يونيو 1857، وتكبد جيشه خسائر جسيمة كانت محل اعترافات فرنسية بشجاعة أهل جرجرة.

انطلقت للالتحاق بمواطنيها، فأرغمها على الرجوع إلى الشمال حيث وضعها تحت المراقبة[312].

اتسعت رقعة الانتفاضة ضد الفرنسيين فاجتاحت كل القبائل التي كانت تدين بالولاء لسلطان المغرب، وأمام هذه الثورة العارمة قررت السلطات الفرنسية إرسال ثلاث قوات عسكرية لإخمادها، تنطلق الأولى من سعيدة بقيادة الجنرال بليسي حاكم وهران، والثانية من تلمسان بقيادة حاكمها الجنرال ماكماهون. والثالثة تنطلق من العريشة بقيادة العقيد مليني.

رسالة الشيخ بن الطيب لاستنهاض أهل فجيج للجهاد.

" كتب البركة الشيخ بن الطيب إلى الشريف الحسني أحمد بن محمد بما يلي:

إلى من كانت الأيام تساعده، والقلوب تراغبه، والرحمة تجاوره، من كان له وجه مليح، ولسانه فصيح، وعلى دينه حريص نصيح، حبيبنا، وقرة أعيننا، وثمرة فؤادنا، سيدي أحمد بن محمد الشريف الحسني، ألف ألف السلام التام، وألف التحية والبركة بالدوام، على مر الليالي والأيام.

ونعلمك على ناحية تلمسان وهي نصرانية، فيها ستة(كذا) مائة من النصارى، وست مائة ترك على يد النصارى،

وأعْلِمْ أهل فجيج على الجهاد غاية، وأعلمهم جميعا، تتفقوا معهم إن أرادوا الجهاد بالمحبة والشوق فتبارك الله، وإن أرادوا الزبن[313] تجعل لهم ما

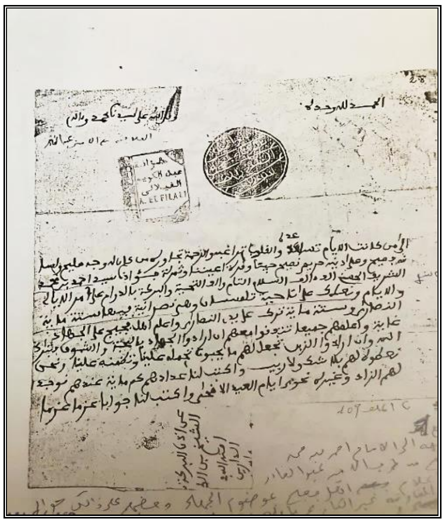
---

[312] Marchand V., Vieux souvenirs d'un officier du génie p. 100-105.

[313] الزبن لغة هو الدفع، وورد كذلك بمعنى بيع التمر في نخله أي قبل الجني، وبما أن الواحة أرض نخيل وتمر فربما استعملت هذه الكلمة مجازا لتعني أخذ واجب العمل قبل الشروع فيه، وعليه فقد يكون قصد الشيخ بن الطيب أن بعض أهل فجيج يريدون دعما ماليا مسبقا للاستعداد للجهاد وذلك لضيق اليد، فاستبق الأمر بضمان ذلك لهم.

يحبون، تحمله علينا، وتضمنه علينا، ونحن نعطوه لهم بلا شك ولا ريب. واكتب لنا عددهم، كم مائة عندهم، نوجد لهم الزاد وغيره".[314]

إنها رسالة وجهها الشيخ بن الطيب إلى أعيان فجيج في شخص الشريف الحسني أحمد بن محمد، يدعوهم إلى المشاركة في الجهاد، ويخبرهم بعدد الجيش الفرنسي المتمركز في تلمسان، وعدد أعوانه من الأتراك، ويؤكد لهم تحمله الكامل لمصاريف الزاد والعتاد وما يتطلبه واجب الجهاد.



رسالة الشيخ بن الطيب لاستنهاض أهل فجيج للجهاد.
(الرسالة في ملك العربي الهلالي)

[314] العربي الهلالي، محمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن في عهد الحسن الأول(م-س) ص 36.(استخلص الكاتبان أن الرسالة كتبت في شهر مارس 1849، ولم يعثرا على رد أهل فجيج على رسالة الشيخ بن الطيب، ولكن اتضح أنه سيكون على غرار ردهم على رسالة القبطان الفرنسي بوريل قائلين: لما بعث إليهم (أي أهل فجيج) السيد الشيخ بن الطيب على الحرْكة (أي الجهاد) امتنعوا، وقالوا له: إن كان عندك كتاب مولاي عبد الرحمان نصره الله على الحركة نحرك معك، وإن لم يكن معك كتابه، فلا نحرك معك، ولا نتعدى حدوده، لأنا خفنا عقوبة مولاي عبد الرحمان نصره الله).

الحملة الثانية للجنرال بليسي 1849

تحرك الجنرال بليسي بجيشه من وهران فوصل في 25 مارس 1849 إلى المنطقة، ليواصل حملته إلى 15 ماي 1849م مستهدفا واحات أولاد سيدي الشيخ لينتقم ممن رفضوا الدخول تحت طاعة الفرنسيين، وعبروا عن مغربيتهم وتشبثهم بها، فبدأ بقصر تيوت الذي كان من المخازن الرئيسية للشيخ بن الطيب، وعند ظهور طلائع جيش بليسي أخلاه سكانه، هربا من وحشية هذا القائد السيء السمعة. وجد بليسي مخزونات ضخمة بقصر تيوت متمثلة في القمح والشعير والتمر والزبيب، وكان عليه أن يمكث طيلة ثلاثة أيام لإفراغ المخازن من موادها وتوزيعها على جيشه ومساعديه.[315]

ثم انتقل بليسي بجيشه الى أم قرار الفوقانية وأم قرار التحتانية وهما القريتان اللتان تعرضتا لتخريب 1847م على يد الجنرال كافينياك، فخرب الجنرال بليسي ما تبقى منهما، حتى إنه لم يترك بهما جدارا قائما ما عدا صوامع المساجد وقباب الأضرحة، ثم مر بالصفيصيفة والعين الصفراء فأفرغهما من مخازينهما. وذلك قصد إضعاف المقاومة بحرمانها من مخزوناتها الضرورية.[316]

استدعاء الشيخ بن الطيب إلى فاس

إحساسا منها بخطورة ما يقوم به زعيم أولاد سيدي الشيخ من محاولات إحباط المشروع الاستعماري أمرت السلطات الفرنسية سفارتها بطنجة برفع شكاية ضد الشيخ بن الطيب إلى السلطان، طالبة منه وضع حد لنشاطه السياسي والعسكري، وبعد إلحاح وضغط كبيريْن استدعاه السلطان الى فاس، حيث أقام لديه عدة شهور إلى أن هدأت الزوبعة التي أثارها ضده الفرنسيون الذين أشاعوا أن الشيخ بن الطيب قد ألقي عليه القبض، وقد أودعه مولاي عبد الرحمان في غياهب السجن جراء وقوفه ضد السلطات الفرنسية، وسعوا في نشر هذا الخبر وتأكيده لبث روح الفشل والاستسلام في أتباعه.

[315] DPSENOA, p. 414.
[316] Ibid, pp. 415 et 798.

بعد عودته الى الجنوب الشرقي عاد بتعليمات من السلطان تحثه على التهدئة، وعدم إثارة المشاكل مع قوات الاحتلال، كما جاء في تقارير الضباط الفرنسيين الذين كانوا يراقبون حركاته، والذين فسروها على أنها تخليه عن المقاومة.[317]

حملة الجنرال ميلينات(Le général Mellinet) 1849[318]

قاد الجنرال ميلينات حملته للحد من التمرد الذي قاده الشيخ بن الطيب على السلطات الفرنسية[319]، واستمرت الحملات سنة 1849م ثم ما بين فبراير وشتنبر من سنة 1850م نظرا للانتفاضات المتتالية التي كانت تقوم بها القبائل المغربية في الجنوب الشرقي المغربي، معبرة عن إصرارها على التشبث بمغربيتها رغم الحملات المروعة التي أتت على الأخضر واليابس لإرهابها.[320]

والواقع أن كل المناطق المتاخمة للوجود الفرنسي كانت تعيش عدم الاستقرار نظرا لضعف النفوذ المخزني، ونظرا من جهة أخرى لاختراقها من طرف الاستخبارات الفرنسية التي كانت تبث اليأس وتحث على الاستسلام.

عودة الشيخ بن الطيب بعد إقامته بفاس

في غشت 1850م عند عودته من فاس وجد الشيخ بن الطيب الكثير من القبائل انساقت وراء الإغراءات الفرنسية، وتخلى عنه أقرب المحسوبين عليه، وقد فعلت إشاعات الفرنسيين عنه فعلها، بعدما روجت أن السلطان ألقي به في السجن لتعرضه للفرنسيين، وأنه أصبح غير مرغوب فيه، فانفصل عنه جراء ذلك جل أتباعه وهم صنفان:

---

[317] Ibid, p. 789 .

[318] الجنرال ميلينات (Le général Emil Mellinet): ولد سنة 1798 وتوفي سنة 1894 شارك في حروب الإمبراطورية الفرنسية التي خاضتها في أوروبا، نائب برلماني، ومن زعماء الماسونية، أرسل إلى الجزائر، فكان من المقربين من الجنرال بيجو، وقلده عدة مهام قيادية، شارك في حملة كافينياك ضد أولاد سيدي الشيخ في 1847.

[319] Emile Mellinet (Wikipedia).

[320] DPSENOA, p. 416, et voir : Marchand, vieux souvenirs, p.104.

- صنف لم يستطع مواصلة المقاومة، ورأى أنه لا جدوى من وراء مجابهة قوة بحجم القوات الفرنسية، فطلب الأمان من الفرنسيين، ودخل في حمايتهم وقطع صلته بالشيخ بن الطيب، وهؤلاء هم موضوع الرسالة الآتية التي بعث بها الشيخ بن الطيب إلى أحد علماء فجيج يستفتيه عن حكم الشرع في خيانتهم وكيفية التعامل معهم.

- صنف ثاني: رأوا في التهدئة التي يدعو إليها الشيخ بن الطيب، والتزامه بتعليمات السلطات المغربية نكوصا عن المقاومة، وتخليا عن المقاومين، وهم من كانوا يريدون مواصلة المقاومة، والدفاع عن أرضهم وهويتهم، فانصرفوا عنه يبحثون عن قيادة أخرى لمواصلة جهادهم، وسوف يجدون بعد حين ضالتهم في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة التي ستندلع في 1864.

وجد الشيخ بن الطيب نفسه وحيدا بين قلة قليلة من ذويه، قد انزوى بنواحي عين بني مطهر في ظروف سياسية صعبة، زادت في صعوبتها سنواتُ الجفاف المتكررة التي أتت على مواشي قبيلته، وهي مورد عيشهم الوحيد، كما أصبحت القبائل المجاورة له تناصبه العداء، وتعرضت قافلته التي بعثها إلى نواحي فاس لاكتيال الحبوب لقطع الطريق عنها، وقد يكون ذلك بتدبير من المخزن من أجل احتواء الشيخ بن الطيب حتى لا يندفع تحت ضغط القبائل الثائرة إلى خرق الهدنة مع الفرنسيين.

تبين لنا رسالةُ أحد أولاد سيدي الشيخ - لم يذكر اسمه إلى القائد حميدة الشجعي عامل وجدة - مدى حالة الفوضى التي كانت عليها قبائل الحدود:

محبنا الأرضى، الرئيس الأعز المرتضى، القائد السيد حميدة بن علي أعانك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعم وتحياته.

وبعد، فإننا والحمد لله بتمامه لا زلنا على عهدكم ومحبتكم، نسأل عنكم ونحبكم وندعوا لكم، لكن بقي القلب متعلقا من أجلكم حيث

لم يأتنا من لدنكم كتاب ولا جواب مع قربكم منا، ومحبتنا معك راسخة لا يفصمها عارض من العوارض... وأما خبر هذه الناحية فالسكوت عنه خير من الخوض فيه، فقد تراكمت أهوالها، واشتدت أزمة الفتن حتى وصلت حدها، وخافت الناس سطوة العدو الكافر دمره الله، وهابوه لذلك حيث أمنوا انتقام المخزن وعدم قيامه لديهم، فجدوا في الفساد واتخذوه سبيلا، وامتلأت بلاد الله بغيا وفسادا، وأكل القوي الضعيف، ولم يبق خوف ولا حياء إلا من الكافر لا غير، فلما ثار ذلك وشاع لديهم ذهب ميعاد المهاية بفرسهم وهديتهم للكافر يطلبون الأمان لأنفسهم، فتبعهم الكثير من القبائل كبني حمليل، وبني بوحمدون وغيرهم، فأمَّنهم الكافر وأجابهم بما يقتضيه ظاهره، كما كانت عادته، وباطنه على دغل، يترقب الفرصة وينتهزها مهما وجدها، والناس في وجل منه والفساد بينهم لا حد له.

فأهل أنجاد يشنون الغارات على أطراف وجدة، وبني مطهر أكلوا مال بني وكيل وبعض مال المزاوير معه بوترفاس بنفسه، ولم يبق حسن ولا محسن، والجهة التي تلي الحدود كلها التجأت لإيالة الرومي ما عدا بني يعلى مع أنهم بقوا في حيرة من عدم الملتجأ، فهذا وجه ما عليه الناس في نواحينا كافة، نسأل الله السلامة لديننا ودنيانا آمين، وحامله الطيب الطرشي منا وإلينا استوص به خيرا بارك الله فيك وأعانك، وعلى محبتك وعهدك والسلام.

في 28 ذي الحجة الحرام متم عام 1266(الموافق 1850/11/4)

ويسلم عليك أخونا كاتبه صح منه حمزة بن الطيب لطف الله به.[321]

أول ما يلاحظه قارئ هذه الرسالة أن كاتبها حمزة بن الطيب[322] ملمٌ بقواعد العربية، يكتب بأسلوب الأديب الأريب، ولا شك أنه كان صنو أخيه في طلب العلم، فأخوه أبو العلا إدريس[323] بن الطيب معروف بغزارة علمه إذ هو من خرِّيجي القرويين بفاس. هي رسالة متميزة بأسلوبها الرائع، وسلاسة ألفاظها، وخلوها من الأخطاء، وقلما تجد من يُدبِّج مثل هذه الرسائل في وسط البدو الرحل البعيدين عن محاضن العلم والعلماء، ثم يُلاَحَظُ كذلك أن صاحبها تعمد إغفال ذكر اسمه، مع ذكر حامل الرسالة وكاتبها. وربما فعل ذلك للأسباب التالية:

- خوفا من أن يتعرض لها قطاع الطرق من القبائل التي ورد ذكرها في الرسالة فتثير عدة مشاكل.
- خوفا من أن تقع في أيدي الفرنسيين المتربصين برصد المعلومات.

---

321 عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، (م-س) الجزء 5 ص 99.

322 يتعلق الأمر بحمزة بن الطيب بن الماحي شيخ زاوية تڭفايت وهي الزاوية الكائنة جنوب جرادة بالمغرب الشرقي (تبعد عن جرادة بـ 25 كلم) ووجود الشيخ بن الطيب واستقراره بناحية عين بني مطهر في السنة التي كتبت فيها الرسالة (1850) يؤكد أنه صاحبها، لعلاقته المعروفة بحميدة الشجعي عامل الإقليم، وعلاقته الخاصة بحمزة بن الطيب شيخ زاوية تڭفايت تزيد الأمر تأكيدا، واستمرت هذه العلاقة بين العائلتين ولا تزال إلى الآن، ونظرا لأهمية هذه العلاقة ومتانتها فقد استنجد الشيخ حمادة بن حمزة بن الطيب شيخ تڭفايت بزعيم أولاد سيدي الشيخ علال بن الشيخ بن الطيب من تهديدات جيش بوحمارة، فقَدِمَ علال بن الشيخ في 6 غشت 1904 على رأس فرسانه بقافلة قوامها مائة من الإبل لينقل بها أهل الزاوية وأمتعتهم إلى عين بني مطهر، وبعد رحيل شيخ الزاوية وأتباعه، هاجم جيش بوحمارة الزاوية وعاث فيها فسادا وتخريبا وحرقا.
(أنظر: (Lieutenant Gaquiére,Berguent,ras-el-ain ,p.79).
لعبت زاوية تڭفايت دورا مهما في تأطير قبائل منطقتها علما وسلوكا، ولا تزال تُعرف بالزاوية الحمزاوية، وقد ورد اسم شيخها حمزة بن الطيب - المذكور أعلاه - في مراسلة بينه وبين احميدة الشجعي عامل وجدة حول موضوع الأمير عبد القادر الجزائري.
انظر: Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France,Tome II, p.104

323 بدر المقري، خطط المغرب الشرقي، ص187.

- أو لأن بين صاحب الرسالة واحميدة الشجعي عامل وجدة شارة خاصة يعرف بها رسائله دون ذكر اسمه.
- فالمؤكد أن الشيخ بن الطيب هو صاحبها لأنه انطلاقا من مسؤوليته التي تحملها في قيادة قبائل الجنوب الشرقي كان عليه أن يتبادل المعلومات مع عامل وجدة لتنسيق العمل بينهما.
- وقد عرفنا من خلال الرسالة أن الفوضى كانت ضاربة أطنابها، وأن هذه الفوضى كانت مبتغى الفرنسيين لجعل سكان الناحية يطلبون الأمن والأمان لديهم، ويسارعون للاعتراف والاحتماء بهم، ومن ثم يسهل عليهم ضم ما يريدون من الأراضي لمستعمراتهم.

مما يجعلنا نرجح أن صاحبها هو الشيخ بن الطيب حرصُ هذا الأخير على سرية المراسلات، وقد وصفت بعض الكتابات خاله الحاج الصوف بأنه " كان يتردد على زيارة السلطان، وفيّاً للبيعة، متمسكا بالشرعية، مضطلعا **بدور ما** لصالح المخزن في المنطقة ".[324]

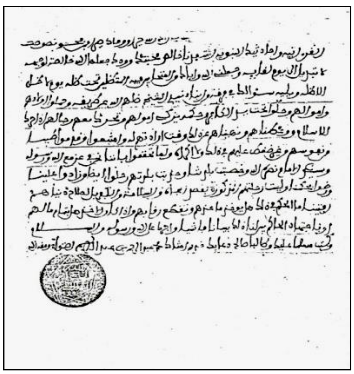
لا نحتاج إلى كثير من التفكير لنعرف أن الدور الذي كان يضطلع به الحاج الصوف هو أنه كان قناة التواصل الأمينة بين السلطان وخليفته الشيخ بن الطيب عوضا عن الرسائل المكتوبة، حتى لا تسقط في أيدي جواسيس الفرنسيين، وذلك أن معاهدة طنجة (10 شتنمبر1844) فرضت على السلطات المغربية أن تتعهد بعدم تقديم أي مساعدة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، فكيف إذا اكتشفت أن السلطان يأمر بالمقاومة ويدعمها ؟

---

[324] العربي الهلالي، ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن، ص 22- 23.
(ترك الحاج الصوف المذكور ـ وهو خال الشيخ بن الطيب ـ ثلاثة أبناء هم بنمشيش، وبحوص، والأزغم، شارك هؤلاء الثلاثة في مقاومة الشيخ بوعمامة التي اندلعت في 1881 وشهدوا معارك تازينة وأم قرار وفندي، واستشهدوا جميعا في معارك لاحقة.(محمد بلمعمر، الشيخ سيدي الحاج عبد الحاكم، سلفه وخلفه، ص 47./ معلومات شفوية عن حفيدهم صوفي عبد الكريم بن معمر، أستاذ بولاية النعامة الجزائر)

في هذا الظرف الصعب الذي تفككت فيه لحمة القبائل المقاوِمة وصل الإحباط بالشيخ بن الطيب إلى كتابة رسالته التالية[325] إلى أحد علماء فجيج يستفتيه في كيفية التعامل مع من ينفصل عن قومه ويوالي المستعمر الكافر، ويحارب في صفوفه. وهي رسالة كرسالة الأمير عبد القادر السابقة الذكر، التي أجاب عنها الشيخ التسولي، وتحت أيدينا رسالة الشيخ بن الطيب ولم نعثر على جواب شيخ فجيج عنها، ولا يمكن أن يخرج جوابه عن فحوى جواب الشيخ التسولي على رسالة الأمير عبد القادر.

يظهر من مقدمة الرسالة أن العلاقة كانت متوطدة بين الشيخ بن الطيب والعلامة الشيخ أحمد بن محمد الراشدي الودغيري المُستفتَى[326]، كما تشير المقدمة إلى مراسلالت متبادَلات بينهما[327].



رسالة الشيخ بن الطيب إلى العلامة أحمد بن محمد الراشدي الودغيري يستفتيه في كيفية معاملة الموالين للنصارى ضد إخوانهم.

---

[325] أحمد مزيان، فجيج، (م-س)، ص 487.

[326] أحمد بن محمد الراشدي الودغيري، من إحدى بيوتات العلم بفجيج، يظهر من الوثائق المتوفرة أنه كان عالما وقاضيا وخطيب جمعة، كان جده وسمِيُّه أحمد بن محمد الراشدي الودغيري معاصرا للشيخ عبد القادر السماحي (تـ 1025هـ)، ومن مريديه أو المعتقدين فيه، ولاشك أن تلك المحبة المتبادلة بينهما بقيت سارية بين أحفادهما، كما تعبر عنه رسالة طلب الفتوى.

[327] أحمد مزيان، فجيج، (م-س)، ص 564.

تقول الرسالة (وهي مبتورة المقدمة)

... زادك الله خيرا، ووقاك ضيرا،فمن فحو نصوصك القرءانية وأحاديثك النبوية استفدنا خالص محبتك وودك جعلها الله خالصة لوجهه لا تبديل إلى يوم لقائه، وجعلني وإياك من المتحابين فيه المتظللين تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ويليه سؤالك في فرقة من أبناء سيدي الشيخ أضلهم الله عن طريقه وحملوا أولادهم وأموالهم وحلوا تحت يد الكافر وحكمه، يزكي أموالهم وتحرك (أي تحارب) معه رجالهم إذا حرك للإسلام ، ووعضناهم ونهيناهم عن ذلك وقت إرادتهم له وامتنعوا وقاموا طيبا من نفوسهم، من غير ضغط عليهم في ذلك ولا إكراه، ولما تحققوا بأننا نحن في عز مع الله ورسوله وسيدنا الإمام نصره الله، وخصبت بلدتنا وجدبت بلدتهم، رحلوا أيضا وزادوا علينا (أي التحقوا بنا)، ورضوا بحكمنا، وليت رحلتهم المذكورة بفضل النجاة والسلامة من الكفر، بل لصلاح دنياهم . أفتنا ما الحكم في ذلك، هل يؤخذ ما عندهم وتقطع رقابهم، وإذا كان الأخذ، هل بتمام مالهم، أوباجتهاد الحاكم، بيِّن لنا ذلك بيانا فاشيا، وأجرك على الله ورسوله، والسلام

وكتب مسلما عليك وطالبا صالح دعائك خديم أمثالك محمد عبد الرحمان بن عبد الكريم التواتي وفقه الله.

هذا ما نجحت فيه منذ البداية قوات الاحتلال الفرنسي، فقد جندت كتائب من القبائل الجزائرية التي بدأ انخراطها في المشروع الفرنسي منذ 1830، ونظمتها في عدة فرق عسكرية، مشاةً وفرساناً، وأصبحت مع مرور الزمن تمثل أغلب الجيش الفرنسي، ورأس حربته، وعموده

الفقري[328]، وهكذا كانت أغلب المواجهات لا تقع إلا بين الموالين لها والمحاربين لها، وكلاهما من عنصر واحد، عرفت كيف تفرقه سياسة الاحتلال إلى أجزاء متحاربة بينها، وتقوم هي في النهاية بدور المسير والحكم، وهذا ما طبقته سلطات الاحتلال الفرنسية في كل مستعمراتها، وفي نهاية المطاف دفعت في الحربين العالميتين وحربها الهند الصينية بالآلاف من الجزائريين والتونسين والمغاربة والأفارقة الذين ذهبوا ضحايا أطماعها التوسعية، في معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

المحاولات الفرنسية التقرب من الشيخ بن الطيب

اغتنمت السلطات الفرنسية الوضعية المزرية التي أصبح فيها الشيخ بن الطيب و ذووه والقلة من أتباعه، وتخلي المخزن عنه، وآثار سنوات الجفاف التي بلغت منهم مبلغها، فاستغلت كل هذه الحيثيات لتعرض عليهم المناصب وتغريهم برغد العيش الذي يتقلب فيه من دخل تحت حمايتها، واستظل بظلها، وطلبتهم للتفاوض، فذهب أخوه قدور بن الطيب، إلى تلمسان، ولكن السلطات الفرنسية رفضت إعطاء الشيخ بن الطيب أي منصب، ورفضت إقامته بين قبائل الجنوب التي أعلنت استسلامها للفرنسيين، وفي المقابل عينت قدور بن الطيب قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة بشرط دخولهم إلى المناطق التي هي تحت الحكم الفرنسي والإقامة في الأماكن التي تحددها لهم.

في هذا الموضوع كتبت جريدة (Le moniteur Algerien) "المدرب الجزائري" بتاريخ 1852/02/28 قائلة:" تم تعيين سيدي قدور بن

---

328 التنظيمان الشهيران هما: " الزواف" و"الصباحية" وكان هذا الأخير يعرف بين الأهالي ب "السبايس" وقد لعب هذان التنظيمان دورا محوريا في احتلال الجزائر ثم احتلال المغرب وتونس لاحقا، وكانت السلطات الفرنسية تغدق عليهما الامتيازات والأوسمة لشراء الولاء لها، والموت تحت رايتها، واعترفت بشجاعتهما وصمودهما القيادات الفرنسية المتتالية في معارك القرم ضد روسيا، وفي الحربين العالميتين، والهند الصينية وغيرها.
(انظر: تعريف "الزواف و"السباهي" في ويكيبيديا Zouave et Spahis)

الطيب قائدا للغرابة، وهو أخٌ لسيدي الشيخ بن الطيب الذائع الصيت، الذي انتفضت تحت زعامته قبائل الجنوب سنة 1849م، والذي يبدو أنه تخلى عن أهدافه الطموحة، وعاد ليستقر بالمكان الذي حُدّد له".[329]

تضيف كتابات سلطات الاحتلال مؤكدة ظروف وأسباب اتصالات أولاد سيدي الشيخ الغرابة بهم :

"لم يعد إلينا الغرابة (أي أولاد سيدي الشيخ الغرابة) إلا مُكرَهين، وفي الواقع لم يطلبوا لدينا إلا لجوءا مؤقتا، فاستسلامهم ليس نهائيا. وسوف يعودون إلى عصيانهم في 1853/11/28م وسيتواجه الجيش الفرنسي بزعامة الضابط لوكرتيل (Le Cretelle) بتيڤري في الشط الشرقي، مع جيش سيدي الشيخ بن الطيب ومعه قبيلة الرزاينة وحميان شافع"[330].

كما تؤكد نفس الكتابات قائلة :" في بداية 1853م عاد الأمر إلى ماكان عليه في 1849م، إذ ثار حميان الغرابة (شافع والجنبة) وحميان الشراڤة (بمعسكر) بزعامة سيدي الشيخ بن الطيب، ولم يعودوا إلى أراضيهم إلا بعد ستة أشهر من العصيان".[331]

هذا الاضطراب الذي أحدثه الغرابة، حدا بالقبائل الموالية للاحتلال باللجوء إلى التل شمالا، وعدم المغامرة بالوصول إلى النجود العليا، حيث كانت القبائل الثائرة تهددها. واحتاج الأمر إلى عدة حملات لجلب الأمن للقبائل الموالية ولحسم عدوى العصيان.[332]

يظهر أن الشيخ بن الطيب كان يحاول التوفيق بين الامتثال لتعليمات المخزن وبين إلحاح قومه على الجهاد، ولذلك جاءت تقارير السلطات الفرنسية عنه كما يلي: "أطلق سراحه بشروط، ولازم السكون، وإن كان لا يزال يناصبنا العداء، ويختلق لنا المشاكل كلما أتيحت له الفرصة."[333]

---

[329] DPSENOA, pp.798/800.

[330]Ibid, p.202.

[331] Ibid, p.202.

[332] Ibid, pp. 200-202.

[333] Ibid, p.799.

كما لاحظ الفرنسيون آثار مناورات الشيخ بن الطيب في دفع حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة للتمرد على السلطات الفرنسية، وذلك عن طريق زوجته رقية بنت الحرمة، فأبوها من أتباع الشيخ بن الطيب الأوفياء.[334] وإذا كانت السلطة الفرنسية رصدت هذا التحريض فلا بد أنها رصدت بعد ذلك بسنوات تحريضه لأولاد حمزة بن بوبكر على القيام بثورتهم التي انطلقت يوم 1864/4/8م بزعامة سليمان بن حمزة والتي جَرَّتْ على الفرنسيين متاعب كبيرة لم يتخلصوا منها إلا بجهد جهيد.

وفاة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام 1859

توفي السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام يوم الاثنين تاسع عشر محرم عام 1270هـ/1859م و دفن بضريح جده السلطان مولاي إسماعيل بمكناس، وفي اليوم الموالي بويع ولي عهده سيدي محمد بن عبد الرحمان سلطانا على المغرب.

حملة العقيد داستيق (Le colonel Dastugue)1861[335]

وصل داستيق حاكم مركز سبدو على رأس قواته الى عين الصفراء الصفيصيفة، تيوت، أم ڤرار الفوقانية، والتحتانية، وذلك من أجل المراقبة واستطلاع أحوال الأمن والظهور بمظهر القوة لردع الأهالي.

السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يجدد تعيين الشيخ بن الطيب خليفة للسلطان 1863

" لما كان أولاد سيدي الشيخ قد أخذوا في فرض أنفسهم على المنطقة ببروزهم النضالي، فأصبحوا بها رقما لا يمكن تجاوزه، فإن

---

[334] Ibid, p. 805.

[335] العقيد داستيق (Dastugue) كان حاكما لمنطقة تلمسان، ثم كان بمغنية في بداية سنة 1873عندما هدد أولاد سيدي الشيخ بقيادة معمر بن الشيخ بن الطيب قبائل مغنية الموالية للاحتلال، ومراكز الجيش الفرنسي بهذه النواحي، وبعد عدة عقود شارك في غزو وسط وجنوب المغرب.

السلطان - اعتبارا منه لهذه الوضعية – لم يجد بدا من استلهام خطة والده، باختيار ممثليه منهم".[336]
سار السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إذاً على خطى والده عندما أعاد تعيين الشيخ بن الطيب خليفة للسلطان وهو ما أثار كالعادة غضب الفرنسيين الذين سارعوا لرفض هذا التعيين.
يقول الضابط نويل:
" لما قلد السلطانُ مولاي محمد، سيدي الشيخ بن الطيب قيادة البدو المغاربة الموجودين بالحدود الشرقية، كان واعيا بأن إعطاء هذه المهمة لهذا الشخص بالذات، المعروف بعدائه لنا، هو موقف يخالف مصالحنا، وما فتئت عواقب هذا التعيين أن طفت على سطح الأحداث خصوصا عندما تسلم الخليفة السلطاني الجديد لائحة أسماء القبائل التي ستكون تحت إمرته، ومن بينها حميان الجنبة والعمور الذين يُعدّون مغاربة حسب اتفاقية للا مغنية، ولكنهم في الواقع تابعون لنا منذ عدة سنوات. وبقي سيدي الشيخ بن الطيب عدونا القديم الذي يقف ضد النفوذ الفرنسي وبقي اسمه جاذبا ومستقطبا لكل الأشرار والمخربين في الجنوب الوهراني".[337]
واضح أن المقصود بالأشرار والمخربين هم المجاهدون الذين كانوا يواجهون الغزو الفرنسي، ويتصدون لسياسته التوسعية.

[336] العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن، ص 59.
[337] Noël (capitaine), Documents historiques sur les tribus de l’annexe d’El-Aricha (DHTAE) bulletin de la société de géographie et d’archéologie d’Oran, 1919 ,p. 101.



السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان
تقلد الملك بين 1859-1873
محمد الرابع علوي/wikipedia.org/wiki)

وساطة الشيخ بن الطيب في نزاع بين سكان فجيج 1863

منذ أن أسس الشيخ عبد القادر السماحي الجد السادس للشيخ بن الطيب أول زواياه في فجيج لم تنقطع العلاقة المميزة لأولاد سيدي الشيخ بفجيج وبسكان قصوره السبعة، ولذلك قَدِمَ الشيخ بن الطيب إلى فجيج بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان للصلح بين الوداغير وزناقة حول نزاع نشب بينهما، وهو نزاع قديم ومتكرر حول عين تزادرت وكيفية اقتسام مائها، وانتهى الصلح بوقف النزاع، والاتفاق على اللقاء في حضرة السلطـــــان بمناسبة عيد الأضحى لعرض القضية على نظره للبت فيها. وهذا نص الرسالة[338] التي سجلت الحدث:

[338] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، (م-س) ص 264 .



وثيقة تشهد على الدور الذي قام به الشيخ بن الطيب عندما كان خليفة للسلطان على المناطق الجنوبية الشرقية، في الصلح بين قصري الوداغير وزناقة اللذيْن نشب بينهما خلاف حول اقتسام الماء.
(نسخة من وثيقة كانت في ملك المرحوم عبد الكريم بن الطيب)

" لما ورد البركة السيد الشيخ بن الطيب السماحي أيده الله على الحق بلد فجيج وألفى الوداغير وزناكة مشرفين على الاقتتال، كما كانوا أول مرة، فسعى في الصلح بينهم امتثالا لأمر أمير المؤمنين، إذ أمرهم بإصلاح ذات بينهم، وحذرهم سطوة الله وعقابه، وما تؤول إليه الفتنة من الهلاك في الدين والدنيا، ورغبة في ما وعد الله من الثواب لمن سعى في الإصلاح بين المؤمنين، فاتفق الفريقان بالرضى من أهل الحل والعقد منهم، إخمادا للفتنة، على أن يبقى الماء الذي بيد الوداغير في السابق بأيديهم، بحيث لا يطلبه زناكة لا بحفير ولا بغيره، ولا يتجاوز الوداغير حدهم الذي أخذوه قبل زناكة، ولا يحصرون الماء الجاري الآن لزناكة، لا ببناء ولا بجعل مينة بارود، كما أن زناكة كذلك لا يجعلون مينة ولا يتجاوزون حدهم بحفير ولا ببناء.

كما اتفقوا أيضا أن أرض الحرث التي هي خارجة عن بناء الوداغير بساقية ازغار وزروق والمحارزة بحيث يقدر زناكة على منعهم منها على أن لا يحرث فيها الوداغير ما دام الماء بأيديهم، ولا يتعدى أحد حده، كما أن زناكة كذلك لا يتعدى أحد منهم على أرض الوداغير، إلا الأرض المذكورة التي تركت في مقابلة ما بأيديهم من الماء، حتى يذهب الفريقان إلى أمير المؤمنين ويدلي كل بحجته لديه فيحكم بينهم بما أراه الله...والملاقاة عند السلطان تكون بعيد الأضحى، وذلك واقع على فجيج كلها، والله متم أمره، وذلك بمحضر جماعة من أولاد سيدي الشيخ وبني جيل وغيرهم .

وكتب عبد ربه وأسير ذنبه أحمد بن عاشور[339] غفر الله ذنبه، وستر عيبه،

في أول رجب الفرد الأصم عام ثمانين ومائتين والف.

صح عن كاتبه عبيد ربه الشيخ بن الطيب آل سيدي الشيخ

الحمد لله أعلم بثبوته عبيد ربه تعالى

محمد بن السماحي

ختمٌ بهامش الوثيقة بداخله الشيخ بن الطيب البكري وفقه الله

فاتح رجب 1280/ 12 دجنبر 1863"

---

339 أحمد بن عاشور: فقيه وشاعر، ولد ببوسمغون وتوفي بفجيج سنة1297هـ/ 1876م، صحب الشيخ سيدي أحمد التجاني منذ صغره لأن والده كان تجانيا، أخذ عن علماء فاس، ترجم له أحمد سكيرج في كشف الحجاب، وفي رفع النقاب ص133، والحجوجي في فتح الملك العلام ص124، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية تحت رقم 30، كما ورد ذكره بين شعراء العربية في معجم البابطين (www.almoajam.org).

كما نجد أثر وساطة الشيخ بن الطيب في الخلافات القبلية، عندما سعى في الصلح بين قبيلة هوارة والمهاية، بطلب من عامل وجدة أحمد بن الداودي. في يناير 1864.[340]

انطلاق مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة.1864/4/8

بعد الصراع الذي كان يطبع علاقتهما، وجد شيخ الشراقة حمزة بن بوبكر، وشيخ الغرابة الشيخ بن الطيب قاعدة للاتفاق والاتحاد بينهما، وهي مقاومة المد الفرنسي ومنع وصوله إلى منطقتهما. ورغم أن معاهدة لالة مغنية - جعلت من الغرابة مغاربة و الشراقة جزائريين - فعمقت الهوة الموجودة أصلا بينهما، ورغم غياب زعيم الشراقة، فقد اجتمعت قوتهما في أول معركة يوم 2 ماي 1845م.

لما رأت السلطات الفرنسية أن سلطان المغرب عيَّن الشيخ بن الطيب خليفة له على أولاد سيدي الشيخ الغرابة والقبائل المغربية الأخرى في 1849م، وبما أنها كانت تريد إحياء المنافسة والصراع بين الغرابة والشراقة لصالحها، فقد عينت في السنة الموالية (1850م) حمزة بن بوبكر خليفة على أولاد سيدي الشيخ، وهو منصب لم يكن معروفا لديهم، وإنما أحدثته لتضمن الحيلولة دون أي اتحاد بينهما.

رغم رفعة المنصب الذي منحته سلطة الاحتلال لحمزة بن بوبكر فقد كان يعمل ضدها في الخفاء، ويحرض عليها، ولما فطنت له استدعته لحضور حفلات إحياء راس السنة بالجزائر العاصمة، وهناك ألقي القبض عليه، وعزل من منصبه، وصودرت أملاكه، وأودع السجن حيث توفي في ظروف غامضة عزاها الجميع إلى قتله بالسم في 1861/8/21م.

خلفه ابنه أبوبكر في زعامة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، فنصبه الفرنسيون باش آغا، وأعيدت له أملاك أبيه، ولكن الموت عاجله في 1862/7/22م.

---

[340] Voinot, Oujda et l’amalt, p.402.

وتقلد مشيخة الزاوية وزعامة القبائل بعده أخوه سليمان الذي ما لبث أن أعلن الثورة ضد الفرنسيين على إثر إهانة تعرض لها كاتبُهُ الفضيل من طرف حاكم البيض الضابط بوران(Burin).



سليمان بن حمزة شيخ الزاوية الشيخية الشرقية
وزعيم ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1864.
(d'après 'le monde illustré' journal hebdomadaire 1864)

استطاع سليمان بن حمزة في ظرف وجيز السير بـ 7500 فارس و 1200 مقاتل على ظهور المهارى. وما أن سمعت القوات الفرنسية بهذه الثورة حتى أرسلت جيوشها للإطباق على المجاهدين من ثلاثة محاور، وباغت أولاد سيدي الشيخ القوات الفرنسية في عوينة بوبكر قبل طلوع الفجر، يوم 1864/4/8 فأوقعوها في هزيمة نكراء، وقتل سليمانُ بن حمزة قائدَ الجيش الفرنسي الكولونيل بوبريطر(le colonel Beauprêtre)، وسقط سليمان شهيدا على يد مساعد الكولونيل المقتول.

هكذا استهلت مقاومة الشراقة بدايتها بانتصار ساحق رغم استشهاد قائدهم، وهو انتصار أعاد الأمل الى القلوب التي ضاقت باحتلال أرضها، واستمرت من 1864 إلى 1883 وعرفت معارك طاحنة كثيرة، وشغلت فرنسا عن نفسها، وسببت لها خسائر فادحة.

أطلق سليمان بن حمزة عنان المقاومة، وبعد استشهاده خلفه أخوه محمد بن حمزة الذي واصل الجهاد إلى أن سقط مثخنا بالجراح في معركة قارة سيدي الشيخ، وعولج ولكنه توفي شهيدا في 1865/2/22، ثم خلفه أخوه أحمد بن حمزة الذي توفي بالطاعون في أكتوبر 1868 وهو يقود جيوشه ضد الاحتلال. ثم خلفه أخوه قدور بن حمزة، الذي قاد المقاومة، وخاض بها المعارك تلو المعارك، وبقي صامدا إلى أن تفرقت عنه القبائل مغلوبة على أمرها فاضطر إلى الاستسلام سنة 1884، وتوفي في 1897.

كان هناك شخص يُدْعَى لعلى بن بوبكر، عم هؤلاء الإخوة، زعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، كان هذا الشخص زعيما فذا، وأثبت أنه قائد المقاومة الفعلي، والمنظم لسيرها، والمرتب لأولوياتها، والمُصْلح لأخطائها، عُرف بالشجاعة، والحنكة العسكرية والسياسية، ولكنه كان يفضل البقاء في الظل، والعمل في الخفاء، نصَّب نفسه مستشارا لأبناء أخيه الذين كانوا كلهم شبابا (سليمان 20 سنة، محمد 16 سنة، أحمد 15 سنة) وكان أول المحرضين على الثورة، وآخر المستسلمين سنة 1896، وتوفي في السنة الموالية (1897)، تنبه الفرنسيون منذ البداية لخطورته، فكتبوا عنه، واعترفوا بقدرته القيادية، وشخصيته القوية، وقدَّرُوه حق قدره، ولقبوه بروح الثورة.[341]

عودة الغرابة إلى المقاومة بقيادة الحاج العربي 1864/4/12

في 1864/4/12 أي بعد أربعة أيام من معركة عوينة بوبكر التي كانت الشرارة التي أشعلت مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، هاجم الحاج العربي الابن البكر للشيخ بن الطيب قبائل الطرافي وأولاد

[341] DPSENOA, p.858 , Trumelet,Histoire de l’insurection des O.S.cheikh,pp.22/ 490.

سيدي إبراهيم، وهما قبيلتان مغربيتان، استسلمتا قهرا للاحتلال الفرنسي، فأعادهما بالقوة الى مخيم الشيخ بن الطيب معلنين عن مغربيتهم وخروجهم عن طاعة المحتل.[342]

لا يمكن أن يكون هذا التوقيت صدفة، بل هو تنسيق بين الغرابة والشراقة لتوحيد الجهاد.

ما لبثت السلطات الفرنسية أن بدأت ضغوطها ومطالبتها للسلطان بوضع حد لنشاط الشيخ بن الطيب، خوفا من أي التحام بين الغرابة والشراقة، فجاء مبعوث السلطان الى الشيخ بن الطيب لاستدعائه الى فاس لوضعه في السجن كما تحكي الرواية الفرنسية.

يضيف القبطان نويل :

" احتجت السلطات الفرنسية لدى السلطان كما وقع في سنة 1849م على ممارسات سيدي الشيخ بن الطيب، وفي 9 مايو1864م وصل مبعوث السلطان مولاي محمد إلى المرابط(أي سيدي الشيخ بن الطيب) وأبلغـوه أوامر سيدهم بوضع حد في الحين لمغامراته (يعنون مقاومته) كما أبلغوه الأمر بالمثول شخصيا أمام السلطان بفاس. وبما أن ذهاب سيدي الشيخ بن الطيب كان يعني لديه القبض عليه وسجنه، امتنع عن الذهاب، وتوقف مؤقتا عن محاربتنا".[343]

لا يخفى أن مبعوث السلطان حمل رسالة إلى الشيخ بن الطيب ظاهرها الضغط عليه مداراة للسلطات الفرنسية، وباطنها توجيهات تراعَى فيها الظروف الداخلية والخارجية.

إلقاء القبض على الحاج العربي أكتوبر 1864

استنفرت السلطة الفرنسية ديبلوماسيتها بطنجة للضغط على السلطان من أجل وقف أي نشاط سياسي أو عسكري للشيخ بن الطيب، موازاة مع قيام ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، التي أوشكت أن تنتزع الجنوب الوهراني من الهيمنة الفرنسية وكادت توقف مشروعهم التوسعي.

---

[342] Noël, documents historiques, p.115.

[343] Ibid, pp. 106-116.

كان الغرابة لا يريدون أن يتخلفوا عن المقاومة التي شنها الشراقة، وكل تخلف كان يضعهم في خانة الخيانة، نظرا للتنافس الذي كان بينهما، ومن أجل احتواء الشيخ بن الطيب في هذا الظرف، وتحت الإلحاح الفرنسي ألقي القبض في أكتوبر1864م على ولده الحاج العربي وحفيده الطيب بالحاج العربي عندما كانا في سوق وجدة من أجل اكتيال الحبوب لأهلهما[344].

عندما بلغه النبأ، بعث الشيخ بن الطيب ولده سليمان في وفد يتكون من سبعة من أعيان القبيلة، إلى السلطان لشرح الأحداث التي تعصف بالمنطقة، ولطلب العفو، وإطلاق سراح أبنائه المسجونين، إلا أن السلطان أمر بإلحاق سليمان بأخيه وأودعه ومرافقيه سجن فاس[345].
وسنرى في رسالة السلطان عندما أمر بإطلاق سراحهم، قوله : "بأنهم سجنوا ترضية للسلطات الفرنسية دون أن يرتكبوا ما يوجب ذلك".
ويظهر جليا في الرسالة الآتية مدى الضغوط الكثيرة والمتكررة التي ما فتئت السلطات الفرنسية تمارسها على السلطان من أجل وقف نشاط الشيخ بن الطيب، مما اضطر السلطان إلى إرسال مبعوث خاص للملك الفرنسي ليشرح له مشافهة وضعية الشيخ بن الطيب وأولاده:
" ثم أرسل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان للدولة الفرنسية خديمه الحاج عبد الرحمان العاجي للكلام في أمر السيد الشيخ بن الطيب وأولاده الذين كانوا يشاغبون بالحدود المغربية الجزائرية، فلقي الإمبراطور وقدم إليه الكتاب السلطاني الذي أجيب عنه بعد ذلك حسبما تدل عليه هذه الرسالة :

---

344 - Noël, DHTAE, p.115
- DPSENOA, p.874.
- Djilali Sari, L’insurection de 1881-1882, p.42.

345 http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328ihgd
Résumée, par **Wimpffen sur la base de documents authentiques en sa possession,** de l’épopée de SCB Tayeb. (sidi Cheikh ben Tayeb).

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته كتاب باشادور الفرنصيص الذي كتب لك صحبته جواب سلطانهم عن الكتاب الذي توجه له به الحاج عبد الرحمان العاجي، وعلمنا ما أشار إليه الباشادور المذكور مما له من الغرض في القدوم لحضرتنا العالية بالله، كما علمنا ما كتب لك به في شأن الغلط الذي وقع للحاج عبد الرحمان فيما ذكره في أمر أولاد سيدي الشيخ بن الطيب، وأن الكلام الذي وقع منه إنما هو في شأن والدهم يسأل عنه في أي محل هو، وما مرادنا فيه وأن قصدهم توسعته من نواحيهم كما تقدم له في ذلك، فالحاج عبد الرحمان ثابت وما ذكره سلطانهم وقع منه مشافهة.

وقدومه الذي ذكر إن كان بإذن من سلطانهم فذاك، وإن كان من عنديته فلا يحتاج لقدوم وما يريد ذكره يذكره لك مشافهة أو كتابة، والسيد الشيخ لا يقر له قرار لأنه صحراوي يبيت ببلاد، ويبيت إن شاء ببلاد أخرى، وقوله ما مرادنا فيه لو وجدنا السبيل له لأدخلناه لداخل الإيالة، وما تركناه هناك أصلا، ولأجله قبضنا على ولده وأقاربه والسلام.[346]

في 15 صفر1282هـ الموافق 10 يوليوز 1865م.

[346] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس(م-س) الجزء الثالث ص 606.

ثم بعث السلطان بسفيريْه محمد بن عبد الكريم الشرقي والحاج محمد بن سعيد، واستغرقت سفارتهما ستة أشهر عقدا خلالها عدة لقاءات، وقد كانت امتدادا لسفارة العاجي السابقة، وموضوعهما واحد.[347]

" وجاء في رسالة ملكية حول أولاد سيدي الشيخ:

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود باشدور جنس الفرنصيص عليك بالمكاتيب التي وردت عليه من حكومة الجزائر بالشكاية بذوي منيع وعمور الصحرا وأولاد جرير وإيوائهم ولد حمزة وقبوله وإعانته بالنفوس والعدة والميرة، وما أخبروا به عن الشيخ بن الطيب من رجوعه لما كان عليه سابقا من الخوض في إيقاد نار الفتنة، وطلبه الكتب لأولائك القبائل بالنهي عما هم مشتغلون به من ذلك لكون ذلك ينفع فيهم. فقد كنا كتبنا لهم قبل، وها نحن أعدنا لهم الكتب في ذلك وحذرناهم وأنذرناهم وتوعدنا من عاد منهم لمداخلة ولد حمزة أو إعانته، وبينا لهم ما يلحقهم من شؤم في ذلك، وكذلك الشيخ بن الطيب أعدنا له الكتب في ذلك وندبناه لما فيه صلاحه إن أراد الخير لنفسه، ونطلب الله التوفيق للمسلمين والهداية، والسلام.

في 3 ذي الحجة الحرام 1282هـ (الموافق 19ابريل1866م)[348]

---

[347] العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن (م-س) ص 48.

[348] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس(م-س) الجزء الثالث ص 530-531.

حملة الجنرال كولومب(Le général De Colombe) 1865 [349]

أطلق الجنرال دو كلومب حملته ضد أولاد سيدي الشيخ منذ الأشهر الأولى من سنة 1865 ووصل إلى مشارف الشلالة الظهرانية في 7 أبريل 1865، بعد مروره بالبيَّض، والشْريعة، والأبيض سيدي الشيخ، وبين الشلالتين جرت معركة بين قوات دو كلومب وأولاد سيدي الشيخ الشراڨة بقيادة لعلى بن بوبكر، تكبد فيها الطرفان خسائر معتبرة، لم تفصح عن تفاصيلها الكتابات الفرنسية، وفي 16 مارس 1866 هاجم أولاد سيدي الشيخ الشراڨة معسكر الجنرال دو كلومب في بن حطاب فانتصروا انتصارا باهرا، ولم ينجُ دوكلومب من ساحة المعركة إلا بفضل شرذمة من حرسه الخاص.

ثم استرجع دو كلومب قوته وعاد إلى مواصلة حملته ضد المقاومة، فهاجم مخيم الشيخ بن الطيب يوم 30 مارس 1866 بوادي الحلوف شمال فجيج.

ثم اتجه شمالا ليباغت عدة قوافل لقبائل رحل فيسلبهم 2500 جمل محملة بحاجياتهم ومؤنهم و20000 رأس من الغنم (من بينهم أولاد سيدي الشيخ الغرابة ، رزاينة، أولاد زياد، عكرمة، والأحرار).[350]

إطلاق سراح الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب وتعيينه خليفة لعامل فجيج.1867/10/10

منذ اندلاع ثورة الشراڨة تلاحقت الأحداث المتناقضة التي لا يفسرها إلا محاولات السلطة الفرنسية الحثيثة لخنق هذه الانتفاضة في مهدها بكل ثمن، ورأت أن إحياء الصراع بين الشراڨة والغرابة

---

[349] الجنرال دو كولومب (Le général Louis Isidore De Colombe): ولد في 1823 تخرج من الكلية العسكرية سان سير في 1844، قضى معظم خدمته العسكرية في الجزائر، كان حاكما لورڨله، ثم حاكما لدائرة البيَّض، ورقي إلى رتبة عقيد فشارك في مواجهة ثورة أولاد سيدي الشيخ من 1864 إلى 1867، شارك في حملة الجنرال وينفن ضد أولاد سيدي الشيخ بوادي ڨير، ثم شارك في الحرب الفرنسية الألمانية (1870) ترك عدة مؤلفات حول الجنوب الجزائري، خصوصا حول ڨرارة وتوات وتيديكلت. توفي في 1903.

[350] DPSENOA, p.869

هو العلاج الناجع وغير المكلف للمعضلة التي تورطت فيها. فسارعت إلى السلطة المغربية تعرض عليها خطة الزج بالغرابة في الصراع، وذلك بإطلاق سراح الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب من السجن وتعيينه خليفة لعامل وجدة على فجيج والبدو الرحل بشروط منها استقطاب القبائل المغربية، والسعي إلى فصلها عن مقاومة الشراقة، وإلزامها بالحياد والهدوء[351]، وهذا الحياد والهدوء يخدمان مصلحة المغرب للحفاظ على أرضه واستقراره.

بعد تعيينه خليفة لعامل وجدة (في 1867/9/23)، ذهب الحاج العربي إلى فجيج لمزاولة مهمته الجديدة، ولكنه عندما اتصل بالقبائل المعنية بالأمر وجدها تغلي حماسا وإصرارا على المقاومة، ورأى من الخطأ والخطر دعوتهم إلى غير ذلك، فجرفه تيار المقاومة، واجتمع بزعيم الشراقة قدور بن حمزة، وأحمد عمار شيخ التجانية، واتفق الثلاثة على الهجوم على مركز الجيش الفرنسي بعين ماضي، وهي المعركة المعروفة بالقارة الغشوة يوم 1869/2/10، ولكن الفرنسيين حققوا فيها انتصارا باهرا عزاه الجميع إلى حصول الجيش الفرنسي على البندقية الجديدة "شاسبو" السريعة التعبئة والطلقات وكانت هي الفيصل في المعركة.

حفلت هذه الفترة بالذات بكثرة الكتابة عن أولاد سيدي الشيخ تجند لها الكتاب والصحفيون مدنيين وعسكريين، ولم تحظ أي مقاومة في شمال إفريقيا بما حظيت به مقاومة أولاد سيدي الشيخ من وفرة الكتابة وتنوعها تأريخا ووصفا، وتحليلا وتأويلا، وتحاملا ونقدا، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة عن هذه القبيلة إلا خاضوا فيها، ومن جماع ذلك استخلص ساستهم أن إخماد مقاومة أولاد سيدي الشيخ لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال استثمار خلافاتهم القديمة والعميقة، وإعادة إشعال الفتنة بينهم، وهذا ما بدأت بوادره تظهر بعد معركة القارة الغشوة.

---

[351] Ibid, p. 273.

كان الحاج العربي يعيش باتباعه مستقلا عن أبيه الشيخ بن الطيب، خصوصا بعد تبنيه لخط المقاومة، بخلاف أبيه الذي كان يميل إلى مهادنة الاحتلال تبعا لتوجيهات السلطان.

استسلام سليمان بن قدور بن الطيب في 1867/12/16

كان قدور بن الطيب من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وهو الذي بعثه أخوه الشيخ بن الطيب على رأس الوفد الذي قدم للسلطان مولاي عبد الرحمان احتجاج أولاد سيدي الشيخ الغرابة وقبائل الجنوب الشرقي التي تضررت من معاهدة لالة مغنية.
توفي قدور بن الطيب أواخر خمسينات القرن التاسع عشر، وخلف ولدين سليمان والمعراج، بلغ سليمان من الشجاعة والطموح وحب المغامرة ما جعله يستحوذ على نصيب مهم من تاريخ المنطقة في هذه الفترة.
شارك في المقاومة مع عمه ومع الشراقة، ثم قلب لها ظهر المجن، واستسلم في 1867/12/16 لسلطات الاحتلال، فعينوه في أعلى منصب في البيَّض بالجزائر، وقدم لهم خدمات كبيرة، ثم اختلف مع مرؤوسيه ورؤسائه فعزلوه، ثم عاد إلى المغرب لينخرط في المقاومة مرة أخرى، وسنعرض فيما يأتي لسيرته بشيء من التفصيل.

حملة الجنرال كولونيو(Le général Colonieu) **1868**[352]

سار الجنرال كولونيو في حملته على خطى سابقه الجنرال دوكلومب، فوصل إلى فجيج، وعاد أدراجه مارا بقصر إيش، ونزل بتيوت وعسلة، وهي حملة لاستعراض القوة وترهيب السكان لمنعهم

---

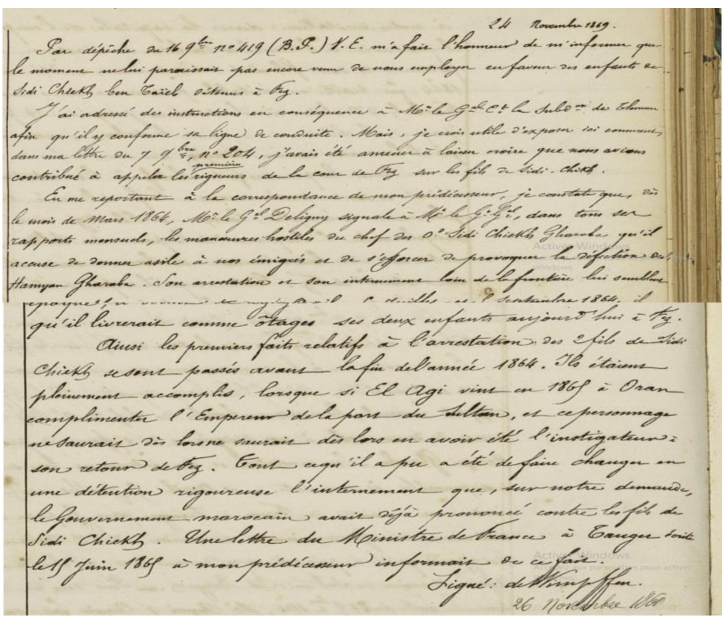
[352] الجنرال كولونيو (Victor Martin Colonieu 1826-1902) وصل إلى الجزائر برتبة ملازم سنة 1847، شارك في الحملات على الواحات الجنوبية، كان حاكما للبيض سنة 1859، وتعلم العربية، وكان من الضباط الأوائل في العمل على استطلاع الجنوب المغربي (توات وتديكلت وقورارة) شارك في الحرب الفرنسية الألمانية سنة 1870 وارتقى إلى رتبة جنرال سنة 1879 وقاد إخماد ثورة الشيخ بوعمامة التي اندلعت في 1881.
انظر: يوكيبيديا.(Et voir : DPSENOA, p. 416)

من المشاركة في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراڨة التي انطلقت في 1864، وعمت الجنوب الوهراني.

محاولات الشيخ بن الطيب فك أسر أبنائه المسجونين بفاس:

بعد إطلاق سراح الحاج العربي (الإبن البكر للشيخ بن الطيب) من سجن فاس، وتعيينه خليفة لعامل فجيج، احتفظت السلطة المغربية ـ تحت الضغوط الفرنسية ـ بإخوته ومرافقيهم كرهائن لإرغامه على الإلتزام بالوفاء بشروط إطلاق سراحه، ومن أولويات إلتزامه، صد القبائل المغربية عن المشاركة في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراڨة.

في موقع أنوم(ANOM) للوثائق الرقمية المتعلقة بالجنوب الوهراني ما بين 1864-1870 تقارير كثيرة حول الضغوط الفرنسية التي مورست على المخزن من أجل التضييق على الشيخ بن الطيب، وإبقاء أبناءه في السجن حتى يرضخ لمطالب السلطات الفرنسية



24 Novembre 1869.

Par dépêche du 16 9bre n° 419 (B.P.) V.E. m'a fait l'honneur de m'informer que le moment ne lui paraissait pas encore venu de nous employer en faveur des enfants de Sidi Cheikh ben Taïeb détenus à Fez.

J'ai adressé des instructions en conséquence à Mr le Gal Ct la Subdon de Tlemcen afin qu'il y conforme sa ligne de conduite. Mais, je crois utile d'exposer ici comment, dans ma lettre du 7 9bre, n° 204, j'avais été amené à laisser croire que nous avions contribué à appeler les premières rigueurs de la cour de Fez sur les fils de Sidi Cheikh.

En me reportant à la correspondance de mon prédécesseur, je constate que, dès le mois de Mars 1864, Mr le Gal Deligny signale à Mr le G. Gal, dans tous ses rapports mensuels, les manœuvres hostiles du chef des Od Sidi Cheikh Gharaba qu'il accuse de donner asile à nos émigrés et de s'efforcer de provoquer la défection des Hamyan Gharaba. Son arrestation et son internement loin de la frontière lui semblaient [illegible] [illegible] septembre 1864, il qu'il livrerait comme ôtages ses deux enfants aujourd'hui à Fez.

Ainsi les premiers faits relatifs à l'arrestation des 2 fils de Sidi Cheikh se sont passés avant la fin de l'année 1864. Ils étaient pleinement accomplis, lorsque si El Agi vint en 1865 à Oran complimenter l'Empereur de la part du Sultan, et ce personnage ne saurait dès lors ne saurait dès lors en avoir été l'instigateur à son retour de Fez. Tout ce qu'il a pu a été de faire changer en une détention rigoureuse l'internement que, sur notre demande, le Gouvernement marocain avait déjà prononcé contre les fils de Sidi Cheikh. Une lettre du Ministre de France à Tanger écrite le 15 Juin 1865 à mon prédécesseur informait de ce fait.

Signé : de Wimpffen.

26 Novembre 1869

أحد تقارير الجنرال ويمفن حول الشيخ بن الطيب وابناءه السجناء

بعد يأس الشيخ بن الطيب من إطلاق سراح أبناءه بمبادرة من المخزن، راسل الجنرالَ ويمنفن حاكم وهران، من أجل التدخل لصالح أبناءه، مع علمه أن سجن أبناءه كان نتيجة الضغوط الفرنسية.

في التقرير أعلاه المؤرخ في 24 نوفمبر 1869 يقول الجنرال ويمنفن:

"لا يمكننا التدخل لصالح الشيخ بن الطيب، لأنه حسب التقارير التي بعث بها الجنرال دلينيي إلى الحاكم العام، أن هذا الشخص لايزال يناصبنا العداء، ولا يزال يحث قبائل حميان الغرابة على الخروج عن طاعتنا. ويرى الحاكم العام أن الأمر الضروري هو سجن الشيخ بن الطيب نفسه، أو إجلاؤه عن الحدود إلى داخل المغرب، وقد راسل الحاكم العام، في هذا الوضوع، سفير فرنسا بطنجة، لإبلاغ السلطات المغربية بالمطالب الفرنسية تجاه الشيخ بن الطيب.

وبناء على ذلك ذهب السفير الفرنسي للقاء السلطان سيدي محمد، وعرض عليه هذا الطلب، فاستجاب له السلطان، وأعطى أوامره في هذا الشأن".[353]

---

[353] http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328ihgd
Résumée, par Wimpffen sur la base de documents authentiques en sa possession, de l'épopée de SCB Tayeb.

حملة الجنرال ويمفن (Le Général Wimpffen) 1870[354]



الجنرال ويمفن الذي قاد حملته العسكرية إلى أعالي وادي ڤير بالجنوب المغربي لضرب القواعد الخلفية لأولاد سيدي الشيخ الغرابة.
(www.wikipedia.org)

تقلد الجنرال ويمفن قيادة إقليم وهران بين فاتح يونيو1869 و 23 غشت 1870، وفي أوائل شهر يناير 1870 هاجم أولادُ سيدي الشيخ مجتمعين ناحية سبدو، وكبدوا القبائل الموالية للاحتلال خسائر

[354] الجنرال إيمانويل فليكس ويمفن(Le Général Emmanuel Felix Wimpffen) : من مواليد 1811 وتوفي في 1884، شارك في معارك إيطاليا (1859) ثم عين حاكما لمنطقة وهران بالجزائر، وفي إبان حكمه على هذه الولاية قاد في مارس 1870 حملته إلى وادي ڤير، لضرب قواعد أولاد سيدي الشيخ وأتباعهم، ومباشرة بعد عودته من هذه الحملة استدْعِيَ في غشت 1870 للمشاركة في الحرب الفرنسية الألمانية حيث شهد معركة سودان (Sedan) الشهيرة في شتنبر 1870 وعندما سقط الجنرال ماكماهون قائد الجيش الفرنسي جريحا عين الملك نابليون الثالث - الذي حضر المعركة - الجنرال ويمفن قائدا، إلا أن هزيمة نكراء لحقت بفرنسا وأمر نابليون الجنرال ويمفن بالاستسلام فاقتيد أسيرا إلى ألمانيا من بين 92000 أسير.

فادحة[355]، شارك فيها الغرابة بقيادة الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب، والشراقة بقيادة قدور بن حمزة، مما جعل القوات الفرنسية تظهر بمظهر العاجز عن حماية قبائل الجنوب، وأصبحت هذه القبائل أكثر ميلا الى تبني أطروحة المقاومة، فاقترح الجنرال وينفن على مسؤوليه تنظيم حملة رادعة لأولاد سيدي الشيخ في مواقعهم الخلفية للقضاء عليهم نهائيا، وبعث الجنرال ماكماهون الحاكم العام للجزائر بهذا الاقتراح الى السلطات العليا، وتردد الملك نابوليون الثالث في بداية الأمر نظرا لإرهاصات الحرب التي كانت تلوح بين فرنسا وألمانيا، ونظرا لوجود هذه المناطق المستهدفة داخل التراب المغربي.

في رسالته بيَّن الجنرال ويمفن خطورة الوضع بعد الاتفاق الذي حصل بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة وأتباعهم، وبين البدو الرحل وسكان الواحات على مقاومة المحتل، كما أوضح أن هذا التوافق يعتبر ضياعا للمجهودات التي بذلت للتفريق بينهم، والعودة من جديد إلى الحرب بكل تبعاتها.[356]

وافق الملك نابوليون الثالث في النهاية على القيام بالحملة، وذلك بشرط أخذ موافقة سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي كلف القائد بوبكر بن ميمون المهياوي قائد قبيلة المهاية بمرافقة الحملة.

انطلقت حملة ويمفن[357] في 19 مارس 1870م من وهران لتصل عين بن خليل[358] حيث التحقت بها قوات الجنرال شانزي قائد ناحية سيدي بلعباس، وقوات العقيد دو كولومب قائد ناحية معسكر، وقوات العقيد دو لاجاي قائد ناحية تلمسان، فقدرت القوات بالعدد التالي:

- 138 ضابطا
- 2735 ضابط صف وجنديا

---

[355]Achille Fillias, L’expédition de l’oued-guir 1870, p.3.

[356] Ibid, p. 4.

[357] Ibid, p. 15-19

[358] تقع عين بن خليل غرب المشرية في اتجاه الحدود المغربية الجزائرية تبعد عن المشرية بستين كلم.

- 1656 فارسا
- 2000 جمل تحمل المؤونة والعتاد الحربي.

تتكون هذه الحملة من الجيش الأساسي والفرق الداعمة له كفرقة التموين والمواصلات والحراسة، وكالفرقة الخفيفة للاستطلاع وفرقة المدفعية والفرقة الطبية، وثلاث فرق خيالة لفرسان العرب الداعمة للجيش الفرنسي، إحداها بقيادة سليمان بن قدور، والثانية بقيادة بلحضري ولد أحمد، والثالثة بقيادة الصحراوي ولد قدور. وكان من بين الضباط الفرنسيين ذوي الأصول الجزائرية القبطان محمد بن داوود[359].

من عين بن خليل انطلقت الحملة في 29 مارس 1870 في اتجاه وادي ڤير (جنوب بوعنان/بوذنيب) حيث تتمركز قبائل ذوي منيع التي كانت تمثل الموقع الخلفي الداعم للشيخ بن الطيب وأتباعه، وكان على هذه الحملة أن تقطع أكثر من 1500 كلم بين ذهاب وإياب في مدة شهرين. وفي بداية انطلاق الحملة أمر الجنرال ويمفن العقيد دولاجاي (De la jaille) بحماية مقدمة الحملة ومؤخرتها وذلك بالاتجاه بقواته نحو عين بني مطهر ثم العودة في اتجاه سوفكسر شرق بوعرفة حيث سيلتقي بالحملة في 2 أبريل1870م.

معركة معذر المصارين (استشهاد أول أولاد الشيخ بن الطيب)

وصل دولا جاي بقواته إلى السلسلة الجبلية التي تفصل سهل تيڤري عن سهل تامللت، ونفذ من ممر ثنية الدفلى غرب جبل الكلخ، فظهر أمامه معذر المصارين الواقع بسفح جبل غلس، ورأى على بعد 15 كلم مخيم الشيخ بن الطيب ومعه فرقة أولاد إبراهيم من قبيلة

---

359 العقيد محمد بن داوود ويشتهر باسم "الكولونيل بن داوود" أول ضابط جزائري تخرج من الكلية العسكرية سان سير، عمل حاكما لعدة مناطق بالجنوب الوهراني، من عائلة بن داود ثم من قبيلة الدواير بناحية وهران، وقد أعلنت هذه القبيلة ولاءها للسلطة الفرنسية منذ بداية الاحتلال، وكانت في خلاف دائم مع الأمير عبد القادر. تصاهر العقيد بن داوود مع زعيميْ أولاد سيدي الشيخ الشراڨة والغرابة، فتزوج الدين بن حمزة ابنته خديجة، وتزوج علال بن الشيخ بن الطيب ابنته الزهرة. (وبه يضرب المثل الشعبي: "عربي عربي لو كان الكولونيل بنداود")

بني ڭيل، فاقترب منهم ليشرح لهم سبب قدوم الفرنسيين إلى ناحيتهم بواسطة القائد بوبكر بن ميمون قائد قبيلة المهاية المغربية الذي رافق الحملة بأمر من السلطان، كان وَلَدَا الشيخ بن الطيب (معمر وأخوه مول الفرعة) على رأس 300 فارس من أولاد إبراهيم يقفون لحماية مخيمهم، تقدم القائد بوبكر بأمر من قائد القوات الفرنسية الملازم ماني (Magne) ليكلمهم، وما أن اقترب حتى خرج للقائه معمر بن الشيخ بن الطيب، وعندما عرفه بدأ في اتهامه بالعمالة للفرنسين لمرافقته لهم، ثم شتمه وشتم القوات الفرنسية الغازية، وانطلق الرصاص من الجانب المغربي فرد الفرنسيون، واندلعت المعركة وذلك يوم 1870/3/31، فسقط خمسون شهيدا من المغاربة وعدد من الجرحى من بينهم مول الفرعة بن الشيخ بن الطيب الذي ما لبث أن توفي، وهو أول الشهداء من أبنائه، وقتل جندييْن من القوات الفرنسية وجرح أربعة.[360]

عندما وصل الجنرال ويمفن سوفكسر وجد العقيد دولاجاي في انتظاره وأطلعه على أسباب وأطوار ونتائج معركة معذر المصارين، فبعث الجنرال بتقرير عن المعركة إلى الحاكم العام، الذي تذمر كثيرا عندما علم بمقتل ابن الشيخ بن الطيب خوفا من إثارة المشاكل مع المخزن، واعتراض بريطانيا وغيرها على ما تعتبره احتلالا للمغرب واستفراد فرنسا به دون موافقتهم.

واصلت الحملة مسيرها في اتجاهها المعروف، وبلغتها أخبار الشيخ بن الطيب بأنه تموقع بجبل كروز ومعه قبيلة بني ڭيل وأولاد سيدي علي بوشنافة[361]، وفي 8 أبريل 1870 كانت الحملة تقف على أبواب قصر بوكايس الذي أخلاه سكانه هربا من الجيش الفرنسي، فأبقى الجنرال ويمفن فرقة من 160 جنديا تحت إمرة القبطان

---

[360]- DPSENOA, p. 658-661

- Achille Fillias, L'éxpédition de l'oued guir, 1870, p.16.

- Revue Britannique, sous la direction de M. Amedée Pichot, 4eme tome, Année 1875, Paris 1873, pp. 384-393.

[361] -Ibid, p.392.

انظر: وجود أولاد سيدي علي بوشنافة بنواحي فجيج في: فجيج والمخزن (م-س) ص 58.

بامار(Pamard) لحماية القصر ووصل إلى زاوية القنادسة[362] التي استقبل شيخُها الجنرالَ وانفن طالبا منه عدم المساس بسكان الزاوية لطابعها الديني فلبى طلبه وانصرف عنها.

معركة التوميات بوادي ڤير

في 13 أبريل 1870 وصل جيش ويمفن إلى ضفاف وادي ڤير وبدأت تلوح له بعض خيام ذوي منيع وبجوارهم خيام أولاد سيدي الشيخ الغرابة وأولاد جرير، ثم خيام بني كُيل والعمور والمتطوعين من سكان الواحات وقبائل آيت عطا وآيت يزدك والقبائل المجاورة، وتقدر هذه الساكنة ما بين 15 إلى 19 ألف نسمة.

كان وادي ڤير القادم من جبال الأطلس يخترق عدة تضاريس، ولكن عندما يصل إلى "البحارية" يتسع مجاله، فتتدفق مياهه في سهل شاسع، وقد وضع ذوي منيع حواجز وقنوات لصرف هذه المياه لاستغلالها في مزارعهم، وقد نبتت من جراء اتساع مجال المياه غابات من شجيرات القْطف[363] والڤزمير[364]، وكان اجتياز هذه الممرات صعبا على الفارس و الراجل معا. وقد صادف قدوم حملة ويمفن فترة فيضان وادي ڤير الذي كان لا يفيض إلا في مواسم هطول الأمطار.

بعث الجنرال ويمفن - إلى ذوي منيع - شيخَ الزاوية القندوسية الذي اصطحبه معه أثناء مروره بالقنادسة لشرح أهداف الحملة،

---

362 أسس الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان القندوسي طريقته الشاذلية بالقنادسة (ناحية بشار- الجزائر)عام 1098هـ/1686م، أخذ عن سيدي امبارك العنبري السجلماسي (الناصري الطريقة) وعن غيره من شيوخ فاس، وعن القندوسي أخذ الكثير من العلماء والمريدين، توفي سنة 1733/1145. وتسلسلت وراثة مشيخة الزاوية القندوسية في ذريته إلى الآن، وعرفت انتشارا واسعا في الجنوب الشرقي المغربي. كان سيدي مبارك بن محمد 'المدعو سيدي محمد **بن عبد الله'** شيخا للزاوية بين 1855- 1900 وهو الذي صحبه معه الجنرال ويمفن في حملته إلى ڤير.

363 القْطف: جنس من النبات من فصيلة الرمرامية تعلفه الماشية ينمو في الأرض الملحة.

364 الڤزمير: لم أعثر على إسمه العربي، ولكنه يُعرف بهذا الإسم في الجنوب الشرقي المغربي، وهو قريب في شكله من الحلفاء، ينبت في مجاري الوديان الموسمية، يحافظ على التربة، وترعاه الماشية.

والتي تتلخص في التعهد بعدم تقديم الدعم أو المشاركة في مقاومة الشيخ بن الطيب، وإعطاء ضمانات على ذلك، إلا أن شيخ القنادسة عاد من اجتماعه بذوي منيع خائفا يرتعش يحمل هذا الجواب:
" إرجع إلى الجنرال وقل له بأننا أحصينا جنوده عددا، وبما أنه ارتكب الحماقة بمجيئه إلينا، فليتحلَّ على الأقل بشيء من الحكمة ويسرع بالرجوع من حيث أتى، فإن كانت لديه أجنحة الطير فليطر، أو كانت لديه سيقان الغزال فلينط، وليأخذ طريق العودة في الحين، فإذا بقي هنا فلن يرى، ولن يرى جنودُه أبدا الأرضَ التي يحتلها المسيحيون".
فأجاب الجنرال:" نِعْمَ الرجال هؤلاء، وسوف تكون المعركة حامية الوطيس!"[365]

في يوم 14 أبريل كان الجنرال يهئ جيشه فبعث باستطلاعيْن لتحديد مواقع ذوي منيع، والتعرف على مسالك الطرق، فعادت فرقتا الاستطلاع بعد مقتل جندييْن منهما.

في 15 أبريل اجتاز جيش ويمفن وادي ڨير عبر ممرات حددت سابقا ووجد نفسه وجها لوجه مع المقاومين على الضفة الغربية لوادي ڨير بالمكان المعروف بالتوميات، وعلى الساعة الحادية عشرة بدأت المعركة التي أبان المقاومون فيها عن شجاعة نادرة اعترف الجنرال وضباطه بها في مراسلاتهم وتقاريرهم، إلا أن تدخل المدفعية شل حركة المقاومين واندفاعهم، وأحدث خسائر فادحة في صفوفهم، وبعد كر وفر انتهت المعركة على الساعة السادسة مساء.

كانت حصيلة المعركة مقتل ضابط سام واحد و 23 بين ضابط صف وجندي وجرح 27 جنديا بينهم ضابطان اثنان.

استشهد في المعركة بين 400 و 500 مقاوم و 60 من أعيان القبائل المشاركة في المعركة من بينهم العربي بن بوحفص من أولاد

---

365 - Michel Lihoreau, L'éxpédition Wimpffen à l'oued guir, p. 36.
- Achille Fillias, l'éxpédition de l'oued guir 1870, p.19.

سيدي بن عيسى (فرقة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة) الذي كان يقود المعركة، كما استشهد ابنه الذي كان يقود الميسرة[366].

اضطر ذوي منيع الى الاستسلام والتفاوض مع الجنرال ويمفن والتعهد باحترام الجوار الفرنسي وعدم مهاجمة القبائل الخاضعة للحكم الفرنسي، ومنع استقبال أو إيواء أولاد سيدي الشيخ.[367] وتعويض خسائر الجيش الفرنسي من الخيل والإبل، وعودة المقاومين من أصول وهرانية إلى أرضهم. كما سلم ذوي منيع رهائن لضمان سريان المعاهدة التي وقعها ستة من أعيانهم بوهران في 17 يونيو 1870.

معركة بوكايس

في هذه الأثناء وصلت إلى الجنرال رسالة من القبطان بامارد (Pamard) قائد حامية بوكايس تخبره بمهاجمة مركزهم من طرف المقاومين بزعامة الشيخ بن الطيب ومقتل جندي فرنسي، ومقتل ثلاثين مقاوما.

وذلك أنه بعد انتهاء معركة التوميات بوادي كير، توجهت الفرق التي رفضت الاستسلام بقيادة الشيخ بن الطيب وولده معمر إلى مركز بوكايس فهاجمته عدة مرات طيلة ثلاثة أيام من 19 إلى 21 أبريل.[368]

في صباح يوم 19 أبريل 1870 تحرك الجيش الفرنسي في طريق عودته فوصل بوكايس في 22 أبريل ولما اطلع الجنرال على ما تعرضت له حاميته قرر تغيير طريق عودته والتوجه الى عين الشعير لملاحقة المهاجمين.

---

[366] - DPSENOA, p. 666.

- Michel Lihoreau, L'éxpédition Wimpffen, p. 41-46.

[367] بولنوار العربي، معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845، (م-س) ص 142.

[368]DPSENOA, p. 394 et 403.

معركة عين الشعير[369]

وصلت القوات الفرنسية الى واحة عين الشعير يوم 24 أبريل حيث تمركز المقاومون من أهل عين الشعير وأولاد سيدي الشيخ بقيادة الشيخ بن الطيب وابنه معمر بن الشيخ وبني ڤيل وكل المنسحبين من معركة وادي ڤير من القبائل المجاورة.

كان قصر عين الشعير يقع وسط غابة كثيفة من النخيل والأشجار المثمرة وحقول الزرع. ويحيط بالقصر سور من الطين المركوز تعلوه عدة بروج للمراقبة.

رفض السكان أي حديث مع مبعوث الجنرال طالبين انسحاب القوات الفرنسية من محيطهم، وردوا بإطلاق النار على كل من يقترب من سورهم.

" كانت نيران الدفاع تنبعث من سور عين الشعير على ثلاث طبقات، فهناك طبقة كانت تطلق الرصاص من أعلى السور، وطبقة من منافذ في وسطه، وطبقة من أسفله، مما اضطر ويمفن إلى إعطاء الأمر بالانسحاب"[370]

في صباح 25 أبريل 1870 هاجم الفرنسيون عين الشعير وبعد تخطي غابة النخيل وجدوا انفسهم أمام سور القصر، ووجدوا مقاومة شرسة من أهله ومن القبائل المتخندقة معهم فيه. وانطلقت مدافع القوات الفرنسية التي نُصبت على المرتفعات فقصفت بمائتي قذيفة[371] جانبا كبيرا من السور الذي كانت غالبا ما تخترقه القذيفة فتحدث فيه ثقبا دون أن تسقطه. ولكنها أحدثت خسائر في الأرواح والممتلكات.

في 26 أبريل اضطر الأهالي الى التفاوض تحت قوة القصف. وتعهدوا بعدم تقديم العون لأولاد سيدي الشيخ والعيش في سلام مع القبائل التابعة للحكم الفرنسي.

كانت الخسائر كبيرة بالنسبة لجيش نظامي معتد بعدده وعتاده وسلاحه الثقيل المتطور مقابل مقاتلين متطوعين بسلاح خفيف بدائي

---

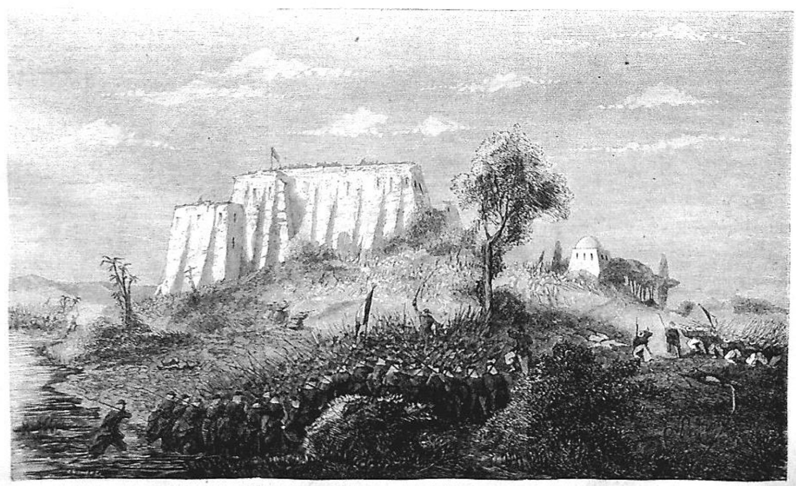
369 Michel Lihoreau, L'éxpédition Wimpffen, p. 49.

370 DPSENOA, p.396.

371 Colonel Niox, géographie militaire, p.28.

يواجهون لأول مرة جيشا بهذا الحجم، فقدْ فَقَدَ الجيش الفرنسي 14 قتيلا بينهم ضابط وجُرح 118 عنصرا، بينهم 9 ضباط و 31 في حالة خطيرة.

في 27 أبريل كانت القوات العسكرية الفرنسية بقيادة الجنرال ويمفن في طريق عودتها الى عين بن خليل - نقطة انطلاقها - فوصلته في 16 ماي 1870.


ALGERIE. — LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DU GENERAL DE WIMPFFEN ATTAQUE L'OASIS D'AIN-CHAIR. — Voir le Bulletin.

La colonne Expéditionnaire du général De Wimpffen attaque l’oasis d’Ain-chair (L’univers illustré, treizieme anné, Nº 803 du 4juin 1870)

القوات العسكرية الفرنسية برئاسة الجنرال ويمفن تهجم على قصر عين الشعير وواحته، كما صورها أحد الضباط أو الجنود، الذين رافقوا الحملة، وقد يكون مراسلا للصحيفة المذكورة أعلاه.

وفاة الشيخ بن الطيب

بعد حضوره معركة معذر المصارين يوم 1870/3/31 التي سقط فيها ولده مولى الفرعة شهيدا، ضد قوات العقيد دو لاجاي، قاد الشيخ بن الطيب معركة بوكايس يوم 1870/4/22 ضد حامية القبطان بامارد، ومنها توجه على رأس المقاومين إلى عين الشعير حيث واجهوا القوات الفرنسية مجتمعة بقيادة الجنرال ويمفن بين 24 و 1870/4/27.

كان في التسعين عاما من عمره عندما قاد هذه المعارك التي استمرت طيلة شهر أبريل، هذا الشهر الذي قضى الجنرال ويمفن أيامه ولياليه متنقلا بجيشه في هاته المناطق التي كانت تمثل قاعدة يستند إليها الشيخ بن الطيب في مقاومته، وكانت تمده بالمال والرجال، وتمثل العمق الاستراتيجي للمقاومة، ومكان استراحته وإعادة استعداده لمواصلة الجهاد.

بعد مرور شهرين ونصف على آخر معاركه توفي الشيخ بن الطيب في 1870/7/15م. بوزدات الواقعة جنوب عقلة السدرة التي تبعد عن عين بني مطهرب 60 كلم جنوبا. وأوصى بدفنه بضريح جده الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي شرق قصر الحمام الفوقاني، بالمكان المسمى آجدل بفجيج، حيث قبره داخل الضريح في الركن الأيسر.

تم نقل جثمانه من وزدات إلى فجيج، في قمة فصول الحرارة وهو منتصف شهر يوليوز، وفي منطقة صحراوية معروفة بحرارتها المفرطة، واستغرق نقله ثلاثة أيام بلياليها لم يتغير فيها جثمانه، ودفن داخل الضريح وبقي بعد ذلك ثمان وعشرين سنة في قبره، وعندما أراد الشيخ بوعمامة البوشيخي تجديد ضريح الشيخ السماحي سنة 1898، هدم البناء القديم، وحفر أسسه وأرضه، ولما وصل إلى قبر الشيخ بن الطيب وجد جثمانه كيوم دفنه، لم يتغير منه شيء، فأعاد الجثة إلى قبرها، وبنى الضريح الحالي[372].

بعد وفاته ببعض السنين استشهد أبناؤه الثلاثة: الحاج العربي، وسليمان، ومعمر.

كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عنه عندما سمع بوفاته في رسالة ملكية إلى الوزير محمد بركاش:

---

[372] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ (م-س) الطبعة الثالثة، ص 261.

" خديمنا الأرضى محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك.

وبعد، فإن أولاد سيدي الشيخ (أي أولاد سيدي الشيخ بن الطيب) المسجونين بفاس لم نقبضهم إلا مساعدة للفرنصيص من غير أن يرتكبوا ما يستوجب القبض عليهم، وقد عزمنا على تسريحهم إن شاء الله تعالى، وعليه فاعلم باشادور الفرنصيص بطنجة بذلك ليكون على بال، وأبوهم الذي كان **معتبراً** توفي وبقي أولاده، أعزمنا على تسريحهم لمقابلة إخوانهم الصغار إن شاء الله والسلام.

في رجب عام 1287هـ[373]

(الموافق 3 اكتوبر1870)

كما أن تقرير السلطات الفرنسية عن وفاته جاء كالتالي:

" توفي هذا الشيخ الكبير، زعيم الغرابة، بعد أن عاش حياة غير مستقرة، فهو الذي لم يكن يقدم لنا التزامه بالاستسلام إلا رغبة في وساطتنا لدى السلطان لإطلاق سراح أبنائه وذويه الرهائن والسجناء لدى المخزن. قضى معظم حياته على التراب المغربي، وكان يقف وراء ضروب المكائد التي حيكت ضدنا.

كان ملجأ للمتمردين علينا يجدون لديه الدعامة والعون، كما كان يدفع بقبائل الجنوب للوقيعة بالقبائل الموالية لنا، وباختصار كان كله حرصا دائما على خلق المتاعب لنا في هذه الناحية من الصحراء"[374]

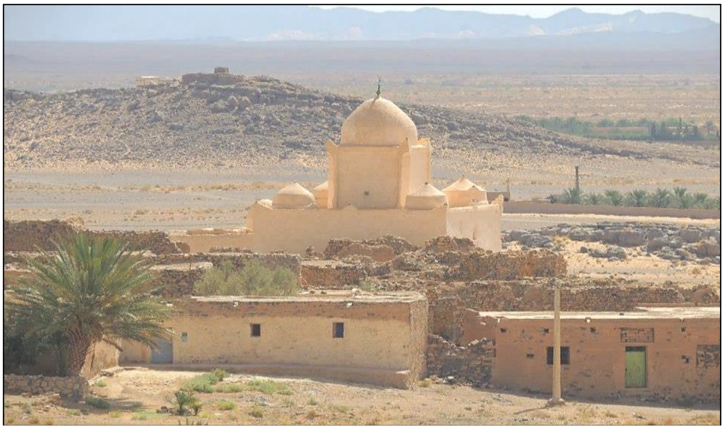
[373] جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات ميكروفلم رقم 1975/3(الخزانة العامة الرباط).

[374] DPSENOA, p. 884.

المعارك التي واجه فيها المغاربة بداية الغزو الفرنسي في الجهة الشرقية

التاريخ	المكان	المقاومون	الزعامة	الجيش الفرنسي بقيادة
1843 /3/3	ناحية سبدو	المخزن/ الأهالي	مخزن وجدة	الجنرال بيدو
1843/5/30	مغنية	جيش مغربي	مولاي المامون	جنرال لامورسيار
1844/6/15	ضريح الواسيني	جيش مغربي	العامل الكناوي	الجنرال بيجو
1844/8/14	وادي إسلي	جيش مغربي	ولي العهد	الجنرال بيجو
1845/5/02	الشريعة	أولاد سيد الشيخ حميان،أولاد زياد رزاينة، زقدو.	الشيخ بن الطيب	العقيد جيري
1847/4/27	أم قرار	أولاد سيد الشيخ	الشيخ بن الطيب	الجنرال كافينياك
1849/1/10	تيوت	أولاد سيد الشيخ	الشيخ بن الطيب	الجنرال بليسيه
1870/3/31	معذر المصارين ناحية بوعرفة	أولاد سيد الشيخ بني كيل	الشيخ بن الطيب	الجنرال ويمفن
1870/4/22	بوكايس	أولاد سيد الشيخ بني كيل ذوي منيع أولاد جرير	الشيخ بن الطيب	الجنرال ويمفن
1870/4/24	عين الشعير	أولاد سيد الشيخ بني كيل أهل عين الشعير	الشيخ بن الطيب	الجنرال ويمفن

وانظر: العربي الهلالي، ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن (م-س) ص60.



فجيج: ضريح الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي
حيث يوجد قبر الشيخ بن الطيب
داخل الضريح في الجانب الأمامي الأيسر.
(صورة في ملك المؤلف)

مقاومة الشيخ بن الطيب، بأقلام المؤرخين المغاربة والجزائريين

مرت مقاومة أولاد سيدي الشيخ بمراحل ثلاث :
1- مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة (المغاربة) بزعامة الشيخ بن الطيب انطلقت في 2 ماي 1845م.
2- مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة (الجزائريين) بزعامة سليمان بن حمزة انطلقت في8 أبريل 1864م
3- مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة (المغاربة) بزعامة الشيخ بوعمامة بن العربي انطلقت في 22 أبريل1881م.

بلغت المراحل الثلاث مجتمعة 58 سنة، واستغرقت كل مرحلة ـ تقريبا ـ عشرين سنة، وبهذه المدة كانت مقاومة أولاد سيدي الشيخ أطول مقاومة للغزو الفرنسي في شمال إفريقيا، وتظهر خطورتها وطول نفسها من وفرة الكتب الفرنسية التي خصصها مؤلفوها لها ولزعمائها وللطريقة الشيخية، وقد فاقت 19 مؤلفا ما بين 1830و1930 زيادة على مئات المقالات المتفرقة في كتب أخرى، وفي

المجلات والجرائد.[375] ولم يزل بعد 1930 هذا الموضوع مطروقا إلى اليوم.

تجنب المؤرخ الجزائري ذكر مقاومة الشيخ بن الطيب حتى لا يُثْبِتَ وجود سلطة مغربية كانت إذاك تؤطر مغاربة كانوا يعيشون على أرض مغربية، قبل أن يُهَجَّرُوا منها، فلم يتعرض بتاتا لهذه المقاومة رغم سبقها في مقاومات أولاد سيدي الشيخ، وتردد ذكرها كثيرا في كتابات الفرنسيين، وهي الكتابات المعتمدة كمصادر ومراجع أساسية لدى كل من يؤرخ لتاريخ الجزائر عندما يتناول أحداث الثورات الشعبية التي واجهت الاحتلال الفرنسي.

أغفل المؤرخ الجزائري بداية مقاومة أولاد سيدي الشيخ (1845) التي تزعمها الشيخ بن الطيب لأنه مغربي، ونسب البداية لأولاد سيدي الشيخ الشراقة بزعامة سليمان بن حمزة(1864) لأنه جزائري بحكم معاهدة لالة مغنية التي قسمت أولاد سيدي الشيخ إلى مغاربة وجزائريين رغم كونهم جميعا مغاربة قبل احتلال الجزائر.

قد يُعذر المؤرخ الجزائري نظرا لواقع الأشياء بعد استقلال بلدان المغرب العربي، واهتمام كل قطر بكتابة تاريخه الوطني، انسجاما مع تصوره الخاص، ولا يُعذر المؤرخ المغربي أن يغفل تاريخ مقاومة أولاد سيدي الشيخ المغاربة في الجنوب الشرقي، أو أن يتبنى عنها أفكارا خاطئة دون مراجعة لخلفيتها أو تمحيص لمرجعيتها، وقد انْجَرَّت موسوعة "معلمة المغرب"[376] وغيرها من الكتب التاريخية، كما انجرَّ الكتاب المدرسي[377] إلى ترديد هذا الخطأ، ووقع تجاهل ذكر مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة المغاربة بزعامة الشيخ بن الطيب، الذي كان له فضل افتتاح جهاد أولاد سيدي الشيخ عامة سنة 1845 بصفته مغربيا يتقلد بيعة سلطان المغرب، ويقلده السلطان قيادة القبائل المغربية في التخوم الشرقية.

---

[375] Jacques Guibert, les Ouleds sidi cheikh, p. 4 et 5.

[376] عبد الله نجمي، معلمة المغرب (م-س) ص 5444.

[377] مجموعة أساتذة، منار الإجتماعيات، ص 18.

الشيخ بوعمامة مغربي الهوية والمقاومة.

على الوتيرة نفسها ـ السابقة الذكر ـ انتهج بعض المؤرخين الجزائرين الكتابة عن الشيخ بوعمامة بن العربي البوشيخي المغربي[378] أصلاً ونسباً ومولداً وسَكَناً ووفاةً ومدفناً، ولا يمت بأي صلة إلى غير المغرب، فالشيخ بوعمامة ينتمي إلى فرقة أولاد سيدي التاج، التي هي فرع من أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين صنفتهم معاهدة مغنية **مغاربة،** وكانت مستقراتهم ومنتجعاتهم على الأراضي المغربية بفجيج وما جاورها، ثم على الأراضي المغربية سابقا بالعين الصفراء ونواحيها كأم قرار الفوقانية والتحتانية، وبوسمغون وتيوت، وهذا ما تؤكده بلا لبس أغلب الكتابات الفرنسية[379].

هذا ما يؤكده الجنرال دوماس أوجين **(Eugene Daumas)** في أول كتاب يتناول جغرافية وتاريخ الصحراء، صدر هذا الكتاب بعنوان **"الصحراء الجزائرية، دراسات جغرافية، إحصائية، وتاريخية للمنطقة الواقعة جنوب المؤسسات (الممتلكات) الفرنسية "** طبع الكتاب ونشر سنة 1845 وهي السنة التي وُقِّعت فيها معاهدة لالة مغنية(1845) التي اقتطعت من المغرب أراضيه الجنوبية الشرقية.

هذه المعاهدة التي كانت نتيجة لهزيمة معركة وادي إيسلي (1844).

نعرف أن الاحتلال الفرنسي في هذه السنة بالذات، لم يكن له وجود في الجنوب الجزائري الحالي، بل كان منحصرا في المنطقة الشمالية من الجزائر، وهذا ما يوضحه عنوان الكتاب، إذ يصف الصحراء بأنها **المنطقة الواقعة جنوب الممتلكات الفرنسية،** وكان الفرنسيون إذاك مترددون بين التوسع في اتجاه الصحراء، أو الاكتفاء بالمناطق الشمالية الصالحة للزراعة.

[378] - Eugène Graulle, Insuréction de Bouamama, p.7-17.
- DPSENOA, p.107.

[379] - F.Gourgeot, situation politique de l’Algerie, p.19.
- Daumas Eugène, Le sahara Algerien, p.229.

حدد الجنرال دوماس بوضوح ـ في كتابه المذكور ـ أسماء القبائل **المغربية**[380] والقصور والواحات والأراضي التي كانت تابعة لهذه القبائل، وحدد فروع أولاد سيدي الشيخ الغرابة **المغاربة**، ومن بينها أولاد سيدي التاج أجداد الشيخ بوعمامة، كما صنفتهم معاهدة لالة مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا (1845/3/18).
كما يظهر أولاد سيدي التاج ضمن أولاد سيدي الشيخ الغرابة في الخريطة التي وضعها أوكيست فارنية Auguste Warnier سنة 1846.[381]

مر الشيخ بوعمامة بعدة مراحل تجلت في خاتمه الذي كان يحمل في بداية حركته الجهادية: خديم أهل الله أبو عمامة بن العربي أمنه الله، ثم أصبح : الحقير الذليل أبو عمامة خلق الله، وفي آخر سنواته صار خاتمه يحمل خديم المقام العالي بالله أبوعمامة بن العربي البوشيخي وفقه الله، مما يؤكد أن بيعة السلطان المغربي كانت في عنقه كبقية أولاد سيدي الشيخ الغرابة **المغاربة**.
عندما التحق الشيخ بوعمامة بالروݣي الزرهوني (المدعو بوحمارة) إنما كان التحاقه به على أساس أنه مولاي امحمد بن السلطان مولاي الحسن، الذي كان وليا للعهد في حياة أبيه[382]، وإذا كان الروݣي قد انتحل هذه الصفة غير صادق، فقد صدَّقه الكثير من زعماء قبائل الشرق والريف، ومن بينهم الشيخ بوعمامة، لانعدام وسائل التحقيق كما هي الحالة عليه اليوم، وبناء على ذلك عيَّن الروݣي قواده ومستشاريه، وأعطاهم أختاما سلطانية يمهرون بها مراسلاتهم، وفي هذا المنحى، وفي هذه الفترة، كانت رسائل الشيخ بوعمامة ممهورة بخاتم رسمي يحمل: خادم المقام العالي بالله بوعمامة بن العربي البوشيخي وفقه الله، كباقي الأختام التي توصل بها المنعم عليهم

[380] Eugène Daumas, le sahara algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algerie.p.229/230.

[381] أنظر ص 151 في الكتاب.

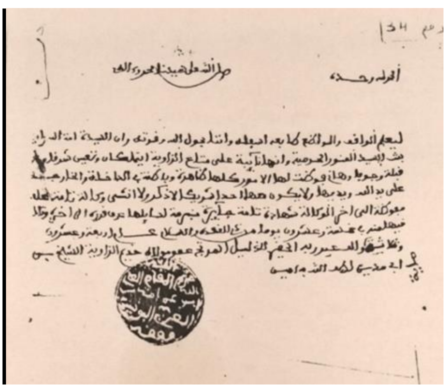
[382] عبد الحميد الإسماعيلي، تاريخ وجدة وأنكاد، ج 1 الطبعة الثانية، ص 230 (رسالة الشيخ بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة مغنية، يبلغه أن مولاي امحمد أحق بالملك من أخيه، وأن على السلطات الفرنسية ملازمة الحياد إزاء الصراع الدائر بينهما).

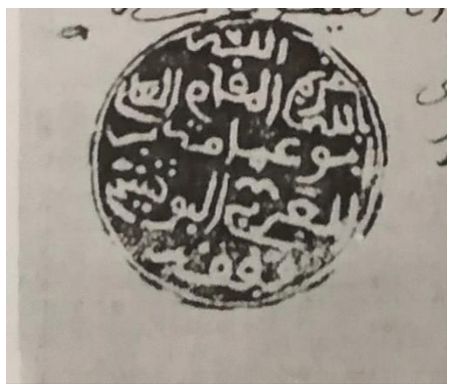
بظهائر القيادة في قبائلهم، ولكثرتهم نذكر منهم على سبيل المثال قواد القبائل القريبة من وجدة[383]:

محمد وعبد السلام الهبيل قائدان لبني عتيق (بني يزناسن)، بوسوار ولد عيسى قائدا للمهاية، الدخيسي ولد علي قائدا لهوارة(تريفة)، قويدر بوعرفة وبوزيان ولد بنزيان، قائدان لأولاد بنطلحة (أنڃاد) محمد ولد رمضان قائدا للزكارة، ثلاث قواد ببني بوزڴو، ثلاثة عشر قائدا بقبائل بني يزناسن، دون ذكر المناطق الأخرى.

لم يخرج هؤلاء عن الولاء للدولة العلوية، وإن اختلفت وجهة نظرهم في من هو الأحق بالملك من أبناء السلطان مولاي الحسن الأول.

وكفى بهذا حجة على مغربية الشيخ بوعمامة وبيعته وولائه للسلطان المغربي، كباقي أفراد عائلته وقبيلته قبل هذه الأحداث وبعدها.





إحدى رسائل الشيخ بوعمامة، وهي وصيته لزوجته لالة ربيعة بنت المنور
تحمل الرسالة خاتمه :
"خديم المقام العالي بالله بوعمامة بن العربي البوشيخي وفقه الله"
بتاريخ: 25 ذي القعدة عام 1324هـ (1907/1/9)

[383] م.س. ص219



ضريح الشيخ بوعمامة بن العربي، بعيون سيدي ملوك (المغرب)
أحد شيوخ الطريقة الشيخية، وزعيم مقاومة الغزو الفرنسي(1881)
ألتقطت هذه الصورة بعد تجديد الضريح والمسجد الملحق به
بأمر من جلالة الملك محمد السادس
وتم افتتاحه يوم الجمعة 11 ماي 2011م
(Origine de la photo:www.elaioun24.com)

يرتبط أولاد سيدي التاج (فرقة الشيخ بوعمامة) بالمغرب ارتباطا وثيقا منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري، منذ حياة جدهم سيدي التاج، المولود بفجيج من أبيه الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي مؤسس الطريقة الشيخية، وأمه لالة فاطمة تمقرانت الفجيجية الودغيرية، حفيدة سيدي عبد الجبار البرزوزي الغني عن التعريف، وقبرها معروف داخل ضريح الشيخ عبد القادر السماحي بآجدل (السهلي) بفجيج.

بعد ذلك كان لإبراهيم بن التاج (حفيد الشيخ السماحي) وهو الجد الرابع للشيخ بوعمامة بن العربي، مكانة لدى السلطان مولاي رشيد العلوي لِمَا كان يتمتع به من سمعة طيبة وجاه عريض لدى قبائل المنطقة[384].

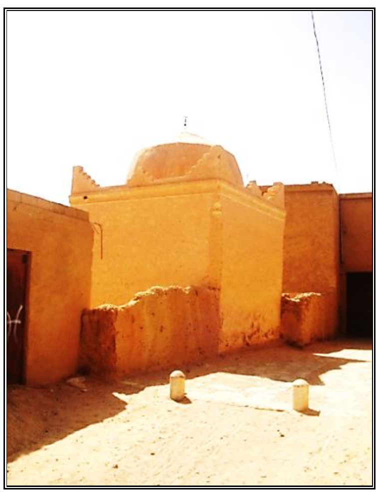
ثم إن أراضي أجداد الشيخ بوعمامة وأجنتهم معروفة بالحمام الفوقاني وغيره من قصور فجيج السبعة، كما توجد بالحمام الفوقاني زاويتهم وأضرحة شيوخهم ومدافن ذويهم، ومنها ضريح جده لأبيه

384 عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص3.

الشيخ بن الحرمة، الذي كان مريدا للشيخ مولاي العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية، وعينه هذا الأخير مقدما له بفجيج، وبالقرب من هذا الضريح، يوجد ضريح المنور بن الشيخ بلحرمة، وهو عم الشيخ بوعمامة وصهره(والد لالة ربيعة زوجة الشيخ بوعمامة).



ضريح الشيخ بالحرمة، مقدم الطريقة الدرقاوية، وهو جد الشيخ بوعمامة وبهذا الضريح يرقد أيضا العربي بن الشيخ بالحرمة، والد الشيخ بوعمامة (الضريح بالحمام الفوقاني بفجيج)



ضريح المنور بن الشيخ بالحرمة، وهو عم الشيخ بوعمامة ووالد لالة ربيعة زوجة الشيخ بوعمامة.
(الضريح بالحمام الفوقاني بفجيج)

قاد الشيخ بوعمامة مقاومته للغزو الفرنسي على أرض مغربية ـ قبل أن تُلْحِق السلطةُ الفرنسية معظمَها بالأرض الجزائرية ـ ما عدا الاختراق الجهادي الذي أوصله إلى فرندة، والذي لم يستغرق إلا 9 أيام (من 1881/6/10 إلى 1881/6/18)[385].

كانت عناصر جيشه كلها أو جلها مغربية كحميان والعمور والشرفاء العلويين، وبني كّيل، وأولاد جرير، وأولاد سيدي الشيخ الغرابة[386].

أسس زاويته الأولى بأم ڤرارسنة 1875، وأسس الثانية بڤورارة سنة 1882، وفي هذه السنة التي استقر فيها الشيخ بوعمامة بڤورارة كان إقليم توات (توات، ڤورارة، تيديكلت) إقليما مغربيا مؤطرا بعمَّاله وقواده، وقضاته، ومحتسبيه، ونقباء شرفائه، والعاملين على جمع زكاته وأعشاره يُعَيَّنُون بظهائر سلطانية، ويتشرفون بحضور أعيانهم وممثليهم في الأعياد الرسمية لتجديد الولاء للسلطان المغربي، الذي كان يُخطب له على منابر مساجد الإقليم، وتُجرى المعاملات المالية فيه بالعملة المغربية.[387]

تنقَّل الشيخ بوعمامة في آخر أيامه بين بني ونيف، وفجيج، وعيون سيدي ملوك، وكلها أرض مغربية، أو كانت حينئذ مغربية.

تؤكد مراسلاتُه للسلطة المغربية ـ سلطاناً وقادةً جهويين ومحليين ـ تشبعَه بمغربيته وولائه لسلطان البلاد.

ففي بداية مقاومته بعث إلى السلطان مولاي الحسن الأول عن طريق نائبه محمد بركاش رسالة مؤرخة في 5 رجب 1300 هـ الموافق لـ 12 ماي 1883.

---

[385] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ ط3 ص 227 أنظر:
https://archive.org/details/20190904_20190904_2337

[386] Kiva, en algerie, (souvenirs) Geryville, p.17.

[387] أحمد العمري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902 ص 37.

شرح في رسالته بداية مقاومته وأسبابها، وأنها كانت دفاعا عن النفس ضد استفزازات القوات الفرنسية، ويكرر فيها مشيرا إلى السلطان عبارة **سيدنا نصره الله وأيده**.[388]



رسالة الشيخ بوعمامة ـ في بداية مقاومته ـ إلى السلطان الحسن الأول مؤرخة في 5 رجب 1300 هـ الموافق لـ 12 ماي 1883.

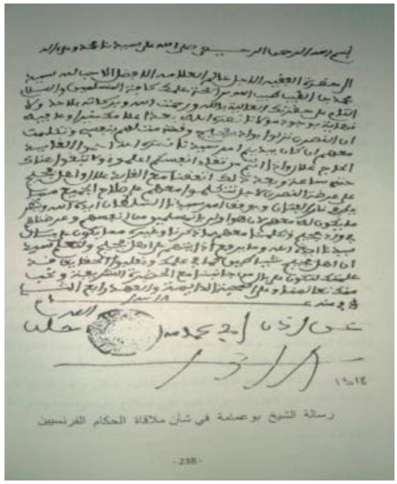
في الفترة التي قضاها بين توات وفجيج، كان الشيخ بوعمامة يمد السلطة المغربية، بأخبار تحركات القوات الفرنسية، والمعارك التي كان يواجه بها السكانُ الغزوَ الفرنسي، كتوات وعين صالح وإكلي وغيرها، كما كان يسهر على تبادل الرسائل والمعلومات بين هذه المناطق والسلطة المغربية، ويُعَيِّنُ حملةً لهذه الرسائل.[389]

---

[388] عكاشة برحاب، السلطان والزعامات المحلية في مناطق الحدود، حالة الشيخ بوعمامة في مطلع القرن العشرين، ص 23.

[389] عكاشة برحاب، من ذاكرة واحة فجيج، ص 101/92/89.

وهذا خطابه لقاضي وجدة - في آخر سنوات مقاومته - يشعره بنزول قوات عسكرية بالقرب من فجيج، وتعامله مع الحدث بمعية القائد علال الشرادي خليفة عامل وجدة على فجيج ونواحيها:


رسالة الشيخ بوعمامة في شأن ملاقاة الحكام الفرنسيين

-238-

رسالة الشيخ بوعمامة إلى القاضي محمد بن الطيب،
قاضي وجدة مؤرخة في رابع الثاني 28 منه عام 1318.
(الموافق لــ 25 غشت 1900)

إلى حضرة الفقيه الأجل عالم العلامة الأفضل الأحب لله سيدي محمد بن الطيب طيب الله برائحته كافة المسلمين، والسلام التام على حضرتك العالية بالله ورحمة الله وبركاته بلا حد ولا نهاية **بوجود مولانا نصره الله،** بعد إعلامك خيرا وعافية أن النصارى نزلوا بوادي فجيج، وقدمت لهم بنفسي، وتكلمت معهم إن كان بيدهم أمر **سيدنا نصره الله** اعلموا القائد الحاج علال[390]، وإذا أنتم من تلقاء أنفسكم اعلموني، ولا تبقوا هناك حتى ساعة، وبعد ذلك اتفقنا مع القائد علال وأهل فجيج على عرضة النصارى، لأجل نتكلموا معهم على صلاح الجميع مما يطفي نار الفتان **ويوفق أمر سيدنا السلطان**

[390] القائد علال الشرادي، خليفة عامل وجدة على فجيج وما جاورها، "ولي خطة قيادة القصور العليا والعمور وبني كيل عام 1315هـ وبقي على خطته إلى عام 1317هـ" (1897-1899) أنظر: بدر المقري، خطط المغرب الشرقي، ص 424، وأحمد مزيان، فجيج، ص 412.

أيده الله وينظرما يكون لهم معه لأنه أولى بالمسلمين من أنفسهم، وعرضناهم في وادي فجيج، وتكلمنا معم بما ذكرنا وغيره مما يكون على **بال سيدنا أيده الله** وما يرفع إذايتهم على أهل فجيج، ولتعلم سيد أن أهل فجيج شياطين كما في علمك ويقلبوا الحقائق، قد علمتك لتكون على بال من جانبنا مع **الحضرة الشريفة**، ونحب منك تعالمنا وعلى المحبة الدائمة والعهد، رابع الثاني 28 منه عام 1318.
(الموافق لــ 25 غشت 1900)
عن إذن أبي عمامة خلق الله.



أفراد من عائلة الشيخ بوعمامة بفجيج
في أقصى اليمين أحمد بن المنور، ابن عم الشيخ بوعمامة،
وهو صهره ورفيقه في المقاومة وخليفته.
عينه السلطان مولاي عبد العزيز قائدا لأولاد سيدي الشيخ بفجيج
في 2 فبراير 1904.

سار الشيخ الحاج الطيب، إبن الشيخ بوعمامة وخليفته، على نهج أبيه في تسيير الزاوية الشيخية البوعمامية، وبرهن عن مغربيته وولاءه للسلطان المغربي، خلال أحداث الروگي، وبعد وفاة أبيه (1908)، وطيلة حياته التي قضاها بعيون سيدي ملوك، ونواحيها، قبل أن يستقر بناحية عين بني مطهر، التي أسس بالقرب منها زاويته، وتوالى على تسييرها بعده ابنه الشيخ عبد الحكم بن الطيب، ثم حفيده الشيخ الحاج حمزة بن عبد الحكم بن الطيب بن بوعمامة.
توفي الحاج الطيب سنة 1935 بعد ثلاثة أشهر من عودته من الحج.

عُيِّنَ ابن عم الشيخ بوعمامة وصهره وخليفته ورفيقه في المقاومة، أحمد بن المنور[391] بن الشيخ بلحرمة، قائدا لأولاد سيد الشيخ بفجيج، من طرف السلطان مولاي عبد العزيز، في 15 ذي القعدة عام 1321 هـ الموافق لـ 2 فبراير 1904.

يظهر من تاريخ تعيين أحمد بن المنور في قيادة أولاد سيدي الشيخ بفجيج، أنه بقي بها، ينوب عن الشيخ بوعمامة ـ للسهر على مصالح ذويهم ـ عندما انتقل هذا الأخير إلى نواحي وجدة، أو كان لأحمد بن المنور موقف من الثائر الروگي بوحمارة، مخالف لموقف الشيخ بوعمامة، وهو ما جعل السلطان مولاي عبد العزيز يستقطبه، لفصل جزء من أولاد سيدي الشيخ عن الشيخ بوعمامة، إبان الفتن التي عصفت بشرق المغرب، أو لأسباب أخرى لا نعرفها.

عُزِلَ أحمد بن المنور من منصبه بعد اندلاع حرب الريف (1920-1927)، لأنه أطلق اسم عبد الكريم على أحد أبنائه المزداد في هذه الفترة، فَوُشِيَ به إلى الحاكم الفرنسي، فاتهمه بولاءه للزعيم عبد الكريم الخطابي، وتحريضه على الثورة على الاحتلال الفرنسي، اقتداء بثورة الريف على الاحتلال الإسباني.[392]

---

[391] أحمد بن المنور، ابن عم الشيخ بوعمامة، وأحد أركان مجلس حربه، ورفيقه في الجهاد ومكان ثقته، هو أخو ربيعة بنت المنور، زوجة الشيخ بوعمامة، وأم ولده البكر الطيب بن بوعمامة، كان أحمد بن المنور ينوب عن الشيخ بوعمامة في عدة مناسبات، وهو الذي اجتمعت به إليزابيت إيبيرهاردت (Elisabeth Eberhardt) الصحافية والكاتبة الشهيرة، عندما زارت فجيج في أوج الأحداث التي كانت تعصف بالمنطقة، وكتبت عنه.

[392] رواية شفوية تلقيتها من ولده المنور بن أحمد بن المنور، سنة 2000، اثناء زيارتي له بوجدة، حيث عمل مديرا لعدة مدارس في مساره التعليمي، وآخرها مديرا لمدرسة سيدي زيان (أول مدرسة عصرية بنيت في المغرب بوجدة سنة 1907). والتي تخرج منها الكثير من الأطر العليا التي احتلت مناصب سامية في المغرب والجزائر.



ظهير شريف للسلطان مولاي عبد العزيز يعين بموجبه أحمد بن المنور قائدا لأولاد سيدي الشيخ بفجيج.(2 فبراير 1904.)

عُيِّنَ حفيد الشيخ بوعمامة، الأخضر[393] بن الطيب بن بوعمامة، قائدا لأولاد سيدي الشيخ بعيون سيدي ملوك، بالمغرب الشرقي، خلفا لابن عمه القائد أحمد بن المنور السالف الذكر، من طرف السلطان مولاي يوسف بن الحسن، في 4 محرم عام 1343/ الموافق لـ 5 غشت 1924.

---

[393] الحاج الاخضر بن الطيب بن بوعمامة، ولد حوالي سنة 1896، من أبيه الطيب بن بوعمامة، شهد آخر سنوات جده الشيخ بوعمامة، قلده السلطان مولاي يوسف بن الحسن، في 11 غشت 1924 قيادة أولاد سيدي الشيخ، ثم أضيفت إلى سلطته سنة 1944 قبيلتيْ بني وكيل والسجع، بعيون سيدي ملوك، بالشرق المغربي، بقي في منصبه إلى سنة 1957، توفي في 2006/2/21 بتاوريرت، ودفن داخل ضريح جده الشيخ بوعمامة بالعيون الشرقية، كان رحمه الله فقيها ورعا، عارفا بالقبائل وأنسابها وأعيانها، أديبا لبقا كريما، محبا لآل البيت وأهل العلم والفضل، ومما سمعت منه، أنه أقام في بدايات ثلاثينات القرن الماضي، حفلا دينيا كبيرا، بالعيون الشرقية، للشيخ المؤسس للطريقة العلاوية المستغانمية، العارف بالله الشيخ سيدي أحمد العلاوي، عندما قدم من مستغانم مع أتباعه ومريديه متوجها إلى فاس.

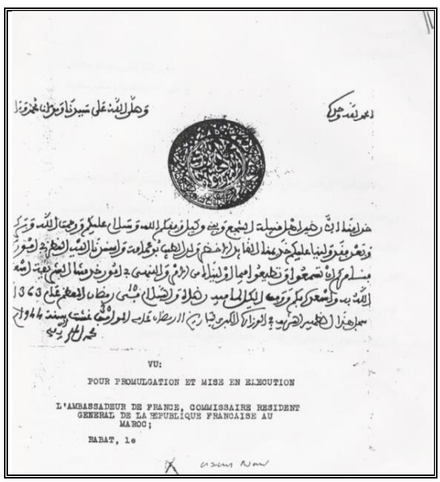
لما جاء دور القائد لخضر، في إحدى حفلات الولاء بالقصر الملكي، لتجديد الولاء للسلطان محمد الخامس، حياه السلطان، قائلا له: لا يصلنا عنك إلا ما يسر، فزد في هذا العمل. (رواية عن ابنته ربيعة بنت الاخضر بوعمامة، يوم 9/1/ 2022)

كان الحاج الاخضر من فرسان المنطقة، محبا للخيل و"التبوريدة" وكان الصيد هوايته المفضلة، عندما كانت النجود العليا المعروفة بالظهرة، وجبال الصحراء الجنوبية الشرقية تعج بأنواع الوحيش كالغزلان والأروى والأرانب والحبارى والحجل والقطا وغير ذلك.



ظهير شريف للسلطان مولاي يوسف بن الحسن يعين بموجبه الأخضر بن الطيب بن بوعمامة، قائدا لأولاد سيدي الشيخ، خلفا لابن عمه أحمد بن المنور.

ثم أضاف الملك محمد الخامس إلى قيادة الاخضر بن الطيب بن بوعمامة، قبيلتيْ الشجع وبني وكيل، وهما بالعيون ونواحيها في 10 رمضان 1363/ 30 غشت 1944.



VU:

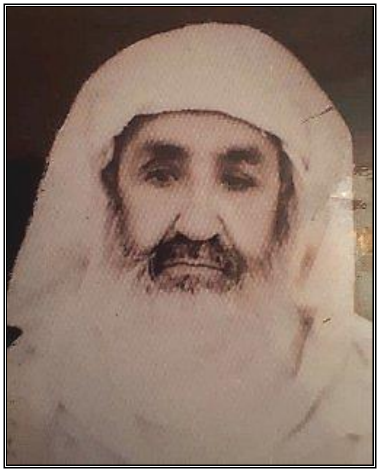
POUR PROMULGATION ET MISE EN EXECUTION

L'AMBASSADEUR DE FRANCE, COMMISSAIRE RESIDENT GENERAL DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE AU MAROC;

RABAT, le

ظهير شريف للسلطان محمد الخامس يعين بموجبه الأخضر بن الطيب بن بوعمامة قائدا على قبيلتي الشجع وبني وكيل

بتاريخ 10 رمضان 1363/ 30 غشت 1944.



القائد الحاج الاخضر بن الطيب بن بوعمامة
قائدا بين 1924-1957.

بعد استقلال المغرب، برزت في عائلة الشيخ بوعمامة عدة أطر في المجال الاجتماعي والسياسي والعسكري، نذكر منهم على سبيل المثال المرحوم العقيد الطيب بوعمامة الذي كان قائدا للناحية العسكرية بمراكش، وأخاه العقيد الطبيب بوعمامة لخضر، الذي كان رئيسا لقسم الإشعاع بالمستشفى العسكري بالرباط، وأستاذا بكلية الطب بها، وكثير غيرهما ممن يحتلون المناصب العليا والمهمة. شغل الشيخ حمزة بن عبد الحكم بن الطيب بن الشيخ بوعمامة رئيسا للجماعة القروية بعين بني مطهر منذ سنة 1963، ثم رئيسا لها بعد أن أصبحت بلدية، وعضوا في المجلس الإقليمي لولاية وجدة، ثم نائبا برلمانيا عن النجود العليا سنة 1970، ثم استمر رئيسا للبلدية إلى سنة 1992 وبعد هذه السنة اعتزل السياسة، وتفرغ لتسيير الزاوية الشيخية البوعمامية التي ورث مشيختها بعد وفاة والده سنة 1966.

عرف سكانُ المنطقة عن الشيخ حمزة الصدق في العمل، والتواضع في القول والفعل، ولم يكن يتقاضى أجرا عن عمله، وشحه الملك الحسن الثاني بوسام الرضا بعد حصول بلديته على المرتبة الأولى في الجماعات النموذجية، وذلك على الصعيد الوطني.



الشيخ الحاج حمزة بن عبد الحكم بن الطيب بن بوعمامة
الشيخ الحالي للطريقة الشيخية البوعمامية



الزاوية الشيخية البوعمامية في إحدى مناسبات عيد المولد النبوي الشريف.
تقع الزاوية الشيخية البوعمامية في الشمال الغربي من عين بني مطهر، إقليم جرادة في شرق المملكة المغربية.
تبعد عن عين بني مطهر بـ 16 كلم

إن محاولات رد نسب الشيخ بوعمامة إلى غير المغرب تهافتٌ وانتحالٌ لا أصل لهما عند النسَّابة من أولاد سيدي الشيخ.[394]

[394] - أحمد العماري، توات، (م-س) ص 82.
- محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، ص 75. (يؤكد المؤلف مغربية الشيخ بوعمامة، ولكن ينسب نشاطه الدعوي والجهادي إلى غير المغرب في تناقض واضح)

كان الاقتطاع الجغرافي السابق لأراضي المغرب وإلحاقها بأراضي الجوار يتطلب اقتطاعا تاريخيا لاحقا يضفي الشرعية التاريخية على الاقتطاع الجغرافي، فوقع الاختيار على الشيخ بوعمامة كرمز لمقاومة هاته المناطق، فاستُعمِلت شهرة شخصيته البارزة لأهداف معروفة.[395]

وتثبت الوثائق التي ظهرت مؤخرا حرص الشيخ بوعمامة على مغربية الصحراء الشرقية (منها أراضي أولاد سيدي الشيخ الغرابة وحميان والعمور) وتوات وڤورارة وتديكلت من خلال رسائله ومواقفه ووقوفه ضد التوسع الفرنسي في الأراضي المغربية.[396]

من الباحثين الجزائريين[397] من حاول ربط ماضي توات وڤرارة وتدكلت بمنطقة الأزواد، والأزواد هذه تابعة لجمهورية مالي، محاذية للواحات المذكورة، ولا تُنكَرُ الروابط الموجودة بينهما بحكم الجوار الذي تترتب عنه علاقات كثيرة، ولكنه ربط مبالغٌ فيه على حساب العلاقة العريقة والكبيرة التي كانت لهذه الواحات بجوارها الغربي، وأصلها المغربي، والذي لم يُذكر إلا لماما، كما أن هذه المبالغة تتعارض مع الحقائق التاريخية التي لا يختلف عليها اثنان.

فالواحات الجنوبية التي نحن بصدد الحديث عنها (ڤرارة،توات، تديكلت)كانت ترتبط سلاليا وثقافيا وعلميا وتاريخيا وسياسيا وتجاريا بالمغرب وبحواضره التاريخية كسجلماسة وفجيج وفاس ومراكش،

---

[395]- Gourgeot F., Situation pilitique de l'Algérie, p. 16-22.
- Antar Michel, Chevauchées d'un futur Saint-cyrien, p. 29 et 226.
- Le temps, journal du 26/2/1892, N°11238, p.3.
- DPSENOA, p. 150 et p.342.
- عكاشة برحاب، المغرب والجزائر تاريخ جوار صعب، ص 23-26.
- الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، ص 56.

[396]عكاشة برحاب، من الذاكرة المحلية المغربية، نموذج الجهة الشرقية، الجزء 2 ص 209 و236.
- Quéstions diplomatiques et coloniales, Revue de politique éxterieure, tome III janvier/avril 1898.p. 146.

[397] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد.

أي أنها كانت امتدادا طبيعيا للمغرب[398]، بل صلة وصل بين المغرب وتيمبكتو المعروفة بعلاقتها التاريخية بالمغرب[399]، ولم تكن هذه الواحات تعرف في غالب شؤونها إلا وجهتها الغربية أخذا وعطاء، وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا أن الأزواد نفسها وما وراءها كانت لها هذه الوجهة أيضا[400]، إلى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي حين نجحت فرنسا في تحييد القوات الغربية المنافسة لها واستفردت بحق احتلال الإمبراطورية المغربية[401]، وأثناء عملية الاحتلال وبعد الإنتهاء منها، عمدت إلى بتر أجزائها جزءا جزءا، حتى التهمتها كليا، ثم عمدت إلى بعض أجزائها المقتطعة منها فألحقتها بأراضي الجوار، أو صنعت من بعضها كيانات جديدة.

كما أن الواقع الحالي لا يُنكر، فإن المراحل التاريخية التي مرت بها هذه المنطقة يجب أن لا تُنكر أو تُزيف أو تخضع للزيادة أو النقصان، حفاظا على التسلسل الموضوعي لمراحل تاريخ مشترك يجمع دول المغرب العربي.

لو تحقق حلم المغرب العربي في اتحادٍ فعليٍّ لدوله، لَانْتَسَبَ أعلامه وزعماءه وأعيانه إلى كيان واحد، ولَوَجَدْنا ـ مثلا في الكتاب المدرسي ـ الأمير عبد القادر جنبا إلى جنب مع عبد الكريم الخطابي والشيخ ماء العينين والدغباجي وعمر المختار، يجمعهم وطن واحد، ولانتهى بين الأطراف تجاذب التاريخ والجغرافية، ومضينا إلى ما هو أهم وأنجع.

---

398 ما ينسحب على منطقة (ڤورارة، توات، وتديكلت) ينسحب على منطقة الساورة، وبشار والقنادسة وتندوف. (محمد بنعلي بوزيان والعربي الهلالي، ديوان القندوسيين، فيما يتعلق خصوصا بالقنادسة وعلاقتها العريقة بالمغرب سياسيا وفكريا واقتصاديا..).

399 كمثال قريب على العلاقة المتجذرة والمتعددة الأبعاد بين المغرب وعمقه الجنوبي الشرقي: "... في سنة 1953م، عندما رفض قاضي تمبكتو إلقاء خطبة الصلاة باسم ابن عرفة، السلطان غير الشرعي المُنَصَّب من قبل فرنسا، بعد نفي محمد الخامس، عاقبت السلطات الفرنسية قاضي تمبكتو بتوقيفه وإبعاده إلى تاوديني". (من مقال لأحمد الأزمي بعنوان : شهادات تاريخية على مغربية الصحراء، ودعم السلاطين العلويين لرعاياهم بها، ضد الأطماع الأوربية. مجلة دعوة الحق العدد 418، يوليوز 2016، ص 97.)

400 Mohamed Lakhssassi, Le Maroc face à la France, Tome II, p.69-76.

401 عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ص 221.

آثار ومخلفات مقاومة
الشيخ بن الطيب

عندما بلغه نبأُ وفاةَ الشيخ بن الطيب، بعث السلطانُ سيدي محمد بن عبد الرحمان رسالةً إلى ممثله بطنجة يخبره بذلك، ونستشف من رسالته – التي سبق ذكرها ـ أنه تأثر لوفاته، فقد عَرَفَ في المتوفى صدق الوطنية، والالتزام بالتوجيهات السلطانية، والانضباط في تطبيقها تماشيا مع المصلحة العليا للبلاد التي يفرضها الوضع الداخلي والخارجي، وكان يمثل السلطة المركزية في المناطق الشرقية، فيقدم حيث يجب الإقدام، ويحجم حيث يجب الإحجام، فكان السلطان سيدي محمد مطمئنا على سيرته وسريرته وتسييره للمهمة التي أناطه بها، كما سبق أن أناطه بها قبله والده السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام.

كانت سياسة المخزن ترمي إلى الحفاظ على مغربية الأرض وساكنتها في التخوم الشرقية، وذلك بتعيين ممثل للمخزن يخاطب السلطانُ رعاياه من خلاله، فيأمرهم وينهاهم، ويسمع منهم ويراعي مصالحهم، ويحافظ على رابطة البيعة بينه وبينهم، كباقي الولايات والأقاليم، مع مراعاة الظروف الخاصة التي كانت تمر بها هذه المنطقة، والخطر الذي كان يتهدد المغرب من جانبه الشرقي والجنوب الشرقي.

أبناء الشيخ بن الطيب ومواصلة المقاومة

1- الحاج العربي بن الشيخ
(استشهاد الثاني والثالث من أولاد الشيخ بن الطيب)

بعد وفاة الشيخ بن الطيب، اتفق رأي عائلته وأتباعه على تولية ابنه معمر بن الشيخ، زعيما لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، في غياب ابنه البكر الحاج العربي الذي كان يشغل خليفة عامل وجدة على فجيج وما جاورها منذ 1867/10/10م بعدما أُطلق سراحه من السجن، وقُلِدَ هذا المنصب بشرط أن يُلزم اتباعَه بالحياد، وعدم المشاركة في المقاومة، إلا أن حالة الغليان التي كانت تكتسح الجنوب جرفه

تيارُها، فوجد نفسه في خط المقاومة، وشارك بأتباعه في معركة القارة الغشوة يوم 1869/2/10م، كما سبقت إليه الإشارة[402].

في 1871/4/17م اشترك زعيما أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة في معركة ماقورة[403] ضد القوات الفرنسية ومن والاها بقيادة العقيد رونو دي ملواز(Le colonel Renaud d'avène Des Méloise).

بعد هذه المعركة تبودلت الاتهامات بالخيانة بين زعيمي الشراقة والغرابة، مما أدى إلى هجوم قدور بن حمزة زعيم الشراقة على مخيم الحاج العربي بن الشيخ، وسقوط هذا الأخير وأخيه سليمان قتيليْن دفاعا عن مخيمهما في مواجهة لم تكن الأيدي الفرنسية بعيدة عن حبك مؤامرتها وذلك يوم 1871/8/3 بعقلة السدرة جنوب عين بني مطهر.

2- معمر بن الشيخ بن الطيب

شهد معمر بن الشيخ - كما سبق قوله - عدة معارك إلى جانب والده الشيخ بن الطيب، منها معركة معذر المصارين شرق بوعرفة التي استشهد فيها أخوه محمد مولى الفرعة، ثم شهد معركة بوكايس، ومعركة عين الشعير آخر معارك أبيه.

اضطرت فرنسا إلى حشد أكبر عدد ممكن من قواتها لمواجهة ألمانيا على الحدود بينهما، في حرب استمرت من 19 يوليوز1870 إلى 10 مايو 1871، واقتصرت فرنسا على الحد الأدنى من قواتها لحماية مستعمراتها بالجزائر، ولكنها انهزمت هزيمة نكراء أمام ألمانيا، وانتشر هذا النبأ كالنار في الهشيم، مما جعل دعاة المقاومة في شرق الجزائر وغربها يتململون لاغتنام الفرصة السانحة

---

402 العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي، فجيج والمخزن، ص 61.

403 ماقورة (Magoura) موضع على الحدود المغربية الجزائرية يقع بين عين بني مطهر وسبدو، بولاية تلمسان.

فينقلبون على الاحتلال، فثار المقراني في الوسط، وثارت جيجل بنواحي قسنطينة[404].
وفي 17مارس 1871 أغار الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب صحبة أخيه معمر على قبيلة بني واسين وبني بوسعيد المحميتيْن من طرف القوات الفرنسية المرابطة بمغنية.
ثم اتجهت الأنظار إلى لقاءات تتم بين الشراقة والغرابة لتوحيد مقاومتهم، اغتناما لهذا الظرف بالذات الذي يعرف الانكسار المادي والمعنوي للقوات الفرنسية، ونزل قدور بن حمزة زعيم الشراقة بخناق الحْدَا على الحدود المغربية الجزائرية بين عين بني مطهر ومقورة، وكان الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة ينزل بنواحي عين بني مطهر، واتفق الزعيمان على مهاجمة مركز سبدو في جنوب تلمسان، حيث ترابط قوات العقيد(Le colonel des Meloises) دي ملواز المكلف بحماية قبيلة أولاد نهار الموالية لهم.

كان العقيد دي ملواز يتابع تحرك جيش أولاد سيدي الشيخ، فاعترض غارتهم في مقورة، والتحم الجيشان صباح يوم 17 أبريل1871، وكان الجيش الفرنسي مكونا من 700 جندي و 644 فارس، وفرقة مدفعية، وفرق دعم من فرسان احميان بقيادة سليمان بن قدور، وبلغ تعداد جيش أولاد سيدي الشيخ 500 فارس، وكانت الغلبة في البداية لهؤلاء، إلى أن تدخلت المدفعية التي شقت صفوفهم، والتحم الجيشان في مواجهات فردية، وأسفرت المعركة عن سقوط 200 شهيد حسب الرواية الفرنسية، وقُتل من جيش الاحتلال ضابطان، و23 جندي، و جُرح 12 وفُقد إثنان.[405]

[404] Revue Africaine, publiée par la societé historique algérienne, N°302-303, anciènne maison Bastide-jourdan, Alger, 1920, p.64
[405] - ibid, pp. 71-74.
- Questions diplomatiques et coloniales, revue de politique éxterieure, tome III, 2eme année, Paris, 1898, pp.161-163.

بعد هذه المعركة التي اشترك فيها الغرابة والشراقة، نشبت بينهما خلافات، لم تكن الأيدي الفرنسية بعيدة عنها، وانتهت بمواجهة دامية، سقط خلالها الحاج العربي زعيم الغرابة وأخوه سليمان قتيليْن على يد زعيم الشراقة قدور بن حمزة وأتباعه يوم 1871/8/3 بعقْلة السدرة، في معركة جانبية لم تستفد منها إلا السلطة الفرنسية.
أقسم معمر بن الشيخ أن يثأر لمقتل أخوْيه، وبدأ في الاستعداد لمعركة قادمة لتصفية الحساب، معركة يصب انتصارها وهزيمتها معاً في مصلحة الاحتلال الفرنسي، والغالب فيها أضيع من المغلوب.
بعد أربعة أشهر جمع معمر بن الشيخ أتباعه، واتجه نحو المكان المسمى بالمنقوب حيث حدد جواسيسُه مخيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وطلب دعم ابن عمه سليمان بن قدور الذي كان في إقامته الجبرية بملاتة ناحية وهران، فسمحت السلطات الفرنسية لهذا الأخير بدعم ابن عمه ضد زعيم الشراقة، حرصا منها على استئصال شأفتهما معا، وتصادم الإخوة الأعداء في المنقوب بالحمادة جنوب البنود يوم 25 دجنبر 1871م، وأسفرت المعركة عن 150 قتيلا في صفوف الشراقة، وفرار زعيمهم قدور بن حمزة في شرذمة من أتباعه، واستولى الغرابة على مخيم الشراقة وأموالهم ومواشيهم[406].
بهذه المعركة بدأ العد التنازلي لمقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة التي ستنتهي باستشهاد بعضهم واغتيال البعض الآخر واستسلام الباقين.

من ركام هذه المقاومة سينهض الشيخ بوعمامة ليعيد مقاومة أولاد سيد الشيخ ضد الاحتلال الفرنسي إلى مربعها الأول سنة 1881.
عندما عاد معمر بن الشيخ من معركة المنقوب ضد الشراقة وجد أن السلطات الفرنسية رحَّلت مخيمه وعائلته وعائلات أتباعه

---

406 -Trumelet, Histoire de l’insurection des o.s.cheikh, p. 456.
-Le monde illustré du 20/1/1872, p.36 (Gallica.bnf.fr).
-Boubakeur Hamza, Un soufi sidi Cheikh, p.232.

ووَزَّعَتْهُمْ داخل الجزائر بين ناحية وهران وامعسكر وسعيدة واسطيف، وصارت السلطات الفرنسية تساوم معمر بن الشيخ على إعلان استسلامه للدولة الفرنسية، مقابل إرجاع قبيلته وذويه إليه، وعرضوا عليه مكافأته بتقليده منصبا ساميا، وتحقيق كل ما يصبو إليه من جاه ومجد. وكان رد فعل معمر بن الشيخ أن رفض بكل إصرار عروض الفرنسيين وبعث برسالة الى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يخبره بمجريات الأحداث ويستشيره في كيفية التصرف فأجابه السلطان بالرسالة التالية:

"خديمنا الأرضى الحاج معمر ولد السيد الشيخ وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد وصلنا كتابك مخبرا بأنكم لما رجعتم من قتال الفتان ولد حمزة أنتم ورعية الفرنسيس بعد قضاء الغرض فيه من رد ما كان نهبه لكم وزيادة ورجع فارا بنفسه لناحية القليعة خائبا ألقيتم النصارى حملوا أولادك وأخاك وأولاده وأناسا من بني عمك وأنزلوهم في ناحية أمعسكر وصاروا يخاطبونك بالقدوم عليهم والانتظام في سلكهم وزعموا أنك من إيالتهم ووعدوك بفعل الخير معك والامتياز عن غيرك إن أنت ساعدتهم ، وإن امتنعت من ذلك منعوك من أولادك ومن معهم فتركتهم بيدهم وفررت بنفسك وأجبتهم بأنك من إيالتنا المحمية بالله ولا ترضى بالدخول في حزبهم وتحت حكمهم وطلبت الكلام معهم في شأن خلاص أولادك وشيعتك ذاكرا أن ما وقع بينكم وبينهم في العام الماضي إنما هو على وجه الإكراه من القبائل وولد حمزة وكانو قبل ذلك غدروكم وقتلوا أخاك وأبناء عمك ونهبوا أولادكم فإنا أمرنا عامل

وجدة بالكلام معهم على رد من ذكرت من أولادك وأولاد أخيك والوقوف عند الشروط المجعولة مع جنسهم وإنا لا نسلمكم بحول الله وقوته والسلام.

في 14 من المحرم 1289هـ(24مارس1872)[407]

روَّج الشراقة أن معمر بن الشيخ استعان عليهم بالنصارى، ولولا دعم الجيش الفرنسي لما انتصر عليهم، فبعث معمر بن الشيخ برسالة إلى السلطان يوضح له مجريات الأمور، وأنه لم يجد دعما من القبائل المغربية التي كانت تتحرج من الدخول إلى الأراضي المحتلة من طرف الفرنسيين حتى لا تجلب على نفسها غضب السلطان، وأنه استعان ببعض القبائل التي هي تحت الحكم الفرنسي والتي كان لها ولاء لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وطلب من السلطان التدخل لارجاع عائلته وأتباعه إلى أرض الوطن، فرد عليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بالرسالة التالية.

تقول رسالة السلطان:

محبنا المرابط الأرضى السيد معمر بن الشيخ بن الطيب وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ،

وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما لم تجد من قبائل المغرب من يعينك على الأخذ بالثأر من ولد حمزة حيث فعل في جانبكم ما فعل من القتل وغيره ، اتفقت مع رعية النصارى على الأخذ بالثأر وحركوا معك إليه ولم يحضر معكم نصراني واحد وحيث سمعوا ما حل به نقلوا أولادكم الذين كانوا نازلين بالحدود وأخذوا مالهم وأسروهم وأنزلوهم بناحية وهران والقبيلة في ناحية سعيدة وتكرر طلبهم لقدومك عليهم والكون من رعيتهم وإنزالك منزلة العز والحرمة عندهم

---

[407] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، (م-س) الجزء 3 ص608.

فأبيت إلا البقاء على ما أنت وأسلافك عليه من الكون من رعيتنا المحمية بالله وطلبت السعي في خلاص أولادك وفكهم من الأسر لأنك اليوم نازل إزاء فجيج تنتظر أمرنا الشريف بما يكون عليه عملك فقد أمرنا بالكلام معهم في قضيتك ولازال جوابهم لم يرد والسلام

8 صفر عام 1289 هـ(17 ابريل 1872)[408]

ثم توصل معمر بن الشيخ برسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ردا على رسالة أطلع فيها حضرة السلطان على مكان إقامته مع قبيلة العمور، وأن أهله وأتباعه لا يزالون في قبضة الفرنسيين، وعن وضعية قدور بن حمزة زعيم الشراقة، ثم طلب من السلطان توجيهاته فيما يفعل ويذر، وفي رسالة السلطان أمرٌ له بالتزام السكينة وتلميحٌ بتقليده قيادة أولاد سيدي الشيخ الغرابة جريا على عادة أسلافه في الخدمة، إلا أن السلطان - حسب فحوى الرسالة - لا يريد أن يستعجل أمر توليته لمنصب ما، نظرا لاختلاط الحابل بالنابل في المنطقة.

تقول الرسالة:

"خديمنا الأرضى الحاج معمر بن السيد الشيخ وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد ،

وصلنا كتابك مخبرا بنزولك مع قبيلة العمور قرب فجيج منتظرا صدور أمرنا الشريف لدولة الفرنصيص في شأن خلاص ما أسروه لك من العيال غدرا لما حل بولد حمزة ما حل، مع أنك لا تسعى إلا في الصلاح بين الدولتين.

---

408 المرجع نفسه الجزء الثالث، ص *608.*

وذكرت أن الفتان المذكور فر لناحية توات ولم يبق معه أحد من شيعته وصار يخاطب قبائل الصحراء بالرجوع إلى ناحية الصحراء ويكاتب من كان مشتغلا معه بالفساد بالعود الى قبيح حالهم الأول وطلبت أن نأمر جميع قبائل الصحراء بطرده وإبعاده ليستريح المسلمون من شره ومكره كما طلبت تعيين طريق تسلك فيها عين الصواب مع جانبنا العالي بالله حيث لا تعرف الصواب في ذلك.

فأما أمر ولد حمزة فإنا أكدنا على تلك القبائل أن لا يقبلوه بل يطردوه من ناحية بلادهم ويبعدوه من هذه الإيالة السعيدة.

وأما الطريق التي تسلكها والسير الذي تسير به هو أن تلزم الاشتغال بما يعني والإقبال على ما هو من شأن المرابطين من الركون الى السكينة والسعي فيما يحبه الله وعباده وأن تقوموا على الساق فيما عسى أن نأمركم به من أمور الخدمة الشريفة والصلاح جريا على عادة أسلافكم رحمهم الله والسلام

في 29صفر عام1289هـ(8 ماي 1872)[409]

---

[409] المرجع نفسه الجزء الثالث ص 609.



السلطان مولاي الحسن بن محمد بن عبد الرحمان.
تولى الملك بين 1873- 1894.
(ar.m.wikipedia.org)

في يوليوز 1872 كان معمر بن الشيخ يستقر بمخيمه في سيدي موسى غرب وجدة، والتقى عدة مرات بعامل وجدة، وبعد ذلك راوح تنقلاته بين أولاد الحاج ناحية كَرسيف وبين السجع ناحية العيون، كما التقى بمحمد ولد البشير أومسعود زعيم بني يزناسن[410]، وحاول استقطابه للقيام بحملة ضد الفرنسيين إلا أن ولد البشير رفض

[410] محمد ولد البشير أومسعود، من فرقة بني وريمش، تولى زعامة بني يزناسن بعد مقتل أخيه ميمون من طرف المهاية في الصراعات القبلية التي كانت المنطقة الشرقية مسرحا لها بعد معركة إيسلي، واستمرت حتى احتلال وجدة من طرف الفرنسيين في 1907، في بعض الفترات فرض محمد ولد البشير سلطته على عامل وجدة حتى أصبح يأتمر بأمره، ولما رأى السلطان مولاي الحسن نفوذه عينه 1874عاملا على عمالة وجدة ليحسم به الفتن المستشرية، إلا أن الفتن ازدادت استفحالا، فأوقفه السلطان1876 وأمر بسجنه وبقي بالسجن إلى حين وفاته سنة 1889 عن عمر يناهز 65 سنة.

المبادرة، واتصل بالحاكم الفرنسي لمنطقة الغزوات لتحذيره مما يدبره معمر بن الشيخ[411] الذي أغار في 6 أبريل 1873 على نواحي سبدو حيث كانت تتجمع قبيلة أولاد نهار، فأثار الرعب في سكان الحدود وفي السلطات الفرنسية التي كانت تحرص على الهدوء في هذا الوقت بالذات.

عندما هرب ابن عمه سليمان بن قدور من الجزائر بعد خلافه مع السلطات الفرنسية في 1873/4/11م اصطحب معه عائلات معمر بن الشيخ التي كانت محتجزة وموزعة على عدة مدن جزائرية، وقد سبق ذكر هذه العائلات التي كانت موضوع رسائل تبودلت بينه وبين السلطان.

وفاة السلطان محمد الرابع وبيعة مولاي الحسن الأول.

في 18 رجب 1290 هـ الموافق 11سبتمبر1873م توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وتمت حينئذ بيعة السطان مولاي الحسن بن محمد.

استشهاد رابع أولاد الشيخ بن الطيب.

وفي 1874/3/11م أغار سليمان بن قدور صحبة ابن عمه معمر بن الشيخ على القبائل الموالية للاحتلال بالمكان المسمى الشْريعة جنوب البيَّض وألحقوا بهم خسائر معتبرة، ثم بعد ثلاثة أشهر مضت على هذه الإغارة عادا فهجما على قبيلة الطرافي بالشط الشرقي في 1874/6/13 فسلبوهم غنمهم وإبلهم فجندت السلطات الفرنسية جيشا للحاق بهم فاصطدموا بهم في المكان المسمى المالحة جنوب المشرية حيث وقعة المعركة المسماة "النفيش" التي استشهد فيها عدد من المجاهدين، من بينهم معمر بن الشيخ وجرح سليمان بن قدور، وقتل العديد من الجيش الفرنسي، ومن قبيلة الطرافي قتل قائدهم الجديد بن زيان، وقائد فرقة دَرَّاقة العربي بن قدور.[412]

---

[411] Revue Africaine, p. 85.

[412] DPSENOA, p. 895.

دفن معمر بن الشيخ بالصفيصفة حيث قبره معروف.

3- سليمان بن قدور بن الطيب (ابن أخي الشيخ بن الطيب)



صورة سليمان بن قدور كما رسمه عن معاينة الضابط أميل (Ameil)
الذي كان في الجيش الفرنسي المرابط بالبنود يوم 1871/12/25.
وقد التبس عليه الاسم فكتب سليمان بن حمزة بدل سليمان بن قدور
(سليمان بن حمزة استشهد قبل هذه المعركة بسبع سنوات أي في 1864/4/8)
Le monde illustré du 20/1/1872,p.36.
(Gallica.bnf.fr)

ازداد سليمان بن قدور سنة 1840، توفي أبوه حوالي 1855 فعاش في كنف عمه الشيخ بن الطيب، وظهرت عليه منذ نشأته

ملامح الذكاء الحاد، وحب المغامرة، والتشوف إلى الزعامة، فكان عمه يجد صعوبة في كبح جماح ابن أخيه وتطلعاته.

كانت بداية مشاركته في مقاومة عمه بحضوره في مهاجمة القبائل الموالية للاحتلال في 1864/4/12[413].

ثم نعَتَهُ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بالفتَّان وحذَّر منه قبائل المنطقة، عندما كوَّن في 1866/6/25م جيشا منفصلا عن عمه الشيخ بن الطيب، وهاجم به القبائل الموالية للاحتلال الفرنسي[414].

انضم سليمان بن قدور إلى مقاومة الشراقة عندما تولى زعامتها أحمد بن حمزة البالغ من العمر15 سنة طمعا في الأخذ بزمام المقاومة منه وقيادتها، إلا أن خلافا نشب بينهما فافترقا، ولا شك أن سلطة الاحتلال كانت تترصد مَنْفَذاً للوصول إلى هؤلاء الزعماء لدق إسفين بينهم لتشتيتهم، فاغتنمت فرصة عزلة سليمان بن قدور فأغرته برد الاعتبار الذي فقده عند عمه وعند الشراقة، فدفعه طموحه إلى أن يعلن استسلامه للفرنسيين الذين كانوا بالمرصاد لإفساد التحالف بين الغرابة والشراقة، فذهب في وفد من أتباعه، واستقبله الجنرال شانزي[415] قائد منطقة تلمسان الذي اقترح على رؤسائه تنصيب سليمان بن قدور آغا لقبائل البيَّض التي كانت قيادتها

---

[413] Noël, DHTAE, p.125.

[414] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، (م-س) ص 315.

[415] الجنرال شانزي (Le général Alfred Chanzy) 1823-1883، تخرج من سان سير سنة1843، التحق بالجزائر منذ 1847، أرْسِلَ إلى سوريا ثم إطاليا، وعاد سنة 1864 إلى الجزائر ليرابط بقواته على الحدود المغربية الجزائرية لقمع مقاومة أولاد سيدي الشيخ، في 1868 ترقى إلى رتبة جنرال وكان حاكما لمنطقة سيدي بلعباس ثم لمنطقة تلمسان، سنة 1870 شارك في حملة الجنرال ويمفن إلى وادي ڤير ضد أولاد سيدي الشيخ، ثم التحق بفرنسا ليشارك في الحرب الفرنسية الألمانية في السنة نفسها، عُيِّن حاكما عاما للجزائر من 1873 الى 1879. وفي هذه الفترة اقترح على السلطات الفرنسية والمخزن المغربي التنسيق بينهما لترحيل أولاد سيدي الشيخ الغرابة من المناطق الشرقية إلى فاس.
في سنة 1879 عين سفيرا لبلاده بروسيا، ثم عين بعدها عضوا في المجلس الأعلى للحرب إلى حين وفاته 1883.

حكرا على زعماء الشراقة، وبقي المنصب شاغرا بعد إعلان ثورتهم.
إن تعيينه في هذا المنصب هو محاولة واضحة لإحياء الصراع القديم بين الشراقة والغرابة[416]. كما أن تعيين الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب خليفة لعامل وجدة بفجيج يصب في الهدف نفسه، وذلك بوضع ثورة الشراقة بين زعيمين من أولاد سيدي الشيخ الغرابة إمعانا في إذكاء الضغائن القديمة التي ستذيق بعضهم بأس بعض، وسوف تنجح خطة الاحتلال، وتجهض الثورة بعامل الصراعات الداخلية بين الإخوة الأعداء.

ولاختبار ولائه لهم طلب الفرنسيون من سليمان بن قدور مهاجمة مخيم الشراقة أثناء غيابهم في معركة القارة الغشوة، وكان مخيمهم بالمكان المسمى المُرَّة (جنوب غرب بشار) على بعد ست مراحل من البيَّض، وبعد نجاحه في هذه المهمة كافأته السلطات الفرنسية بترقيته في 1870/7/28 إلى درجة باشآغا، ووضعت تحت أمره كل قبائل الجنوب الشرقي، ولعب سليمان بن قدور دورا محوريا في استتباب الأمن في المنطقة، شهد به الفرنسيون، خصوصا في سنة 1870 أثناء الحرب الفرنسية الألمانية التي اضطرت فرنسا إلى استنفار قسم كبير من جيوشها المرابطة بالجزائر، وحشد كل طاقاتها لمواجهة الألمان[417].

عرض سليمان بن قدورعلى الجنرال ويمفن فكرة القيام بحملة ضد معاقل أولاد سيدي الشيخ بوادي قير، وشارك فيها بقيادته لكتيبة من فرسان قبيلة حميان[418].

لم تخل ممارساتُه للسلطة من الشطط، إذ كان رؤساؤه ومرؤوسوه على حد السواء يشتكون من تجاوزاته، واستبداده

---

[416] وهذا ما تؤكده برقية شارل دي بوزي Charles du Bouzet (أنظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية، ص2936 بتاريخ 23 ابريل 1875.)
[417] Girault Arture, Principes de colonisation et de législation, tome II, p.360.
[418] أحمد العماري، توات، (م-س) ص 80.

بالرأي، واستفراده بالقرار[419]. ومن بين التقارير الفرنسية التي وصفته قولهم :

" رجل ذو طاقة كبيرة، ولكن ينقصه الحس السياسي، سريع التقلب، لا يتحكم في انفعالاته، عنيف في تصرفه، غير منضبط مع تعليمات رؤسائه، كأنه حصان جموح لم يوجد بعدُ الفارس الذي يستطيع ترويضَه..."[420]
(في الصفحات القادمة سنجد السلطان مولاي الحسن الأول يصف سليمانَ بن قدور بالأوصاف نفسها بعد فرار هذا الأخير من فاس سنة 1881، بعدما قضى خمس سنوات في حاشية الملك).

في هذا السياق كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1871 لأهل اتيوت الذين كانوا ضمن سكان الواحات التابعة لسلطة سليمان بن قدور يقول:

خدامنا الأنجاد أهل اتيوت كافة، وفقكم الله وأرشدكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم مذكرين لما كان لكم مع أسلافنا الكرام قدسهم الله من الخدمة والانتماء، وما كان لكم منهم من المراعاة والاعتناء، فنحن على إثرهم في ذلك إن شاء الله لا نسلمكم ولا نفوتكم ونراعي لكم خدمتكم ومحبتكم أصلحكم الله ورضي عنكم، وعلمنا ما لحقكم من الأضرار والإذاية من النصارى وسليمان بن قدور، فها نحن

---

[419] - Le temps, journal, vendredi 25 fevrier 1892, N°11238, Paris.p. 3.
- DPSENOA, p. 83, et Trumelet, Histoire de l’insurection des O.S.Cheikh, p. 454.
[420] Gourgeot François, situation politique de l’algerie, p. 63.

كتبنا لعامل وجدة بالكلام مع المتولي هناك يكفون إذايتهم عنكم والسلام.

19جمادى الأولى عام 1288هـ(6 غشت 1871م)[421]

عندما فشلت أهداف مقاومة الشراقة، وخمدت سورتُها، استغنت سلطة الاحتلال عن خدمات سليمان بن قدور، فقرر الحاكم العام الفرنسي الأميرال دو ڤيدون(L'Amiral De Gueydon)[422] عزله. واختلقت له السلطات الفرنسية الأسباب الملائمة لإعفائه من منصبه مع احتفاظه بمرتبه الشهري، كما أوجدت الذرائع لسجن ابن عمه وخليفته بوبكر بن بحوص واثنين من أعيان الغرابة، وتم نقلهم إلى سجن كالفي بجزيرة كورسيكا، حيث قضوا ثلاث سنوات سجنا.

فكان رد فعله على كل ذلك أن هرب من إقامته الإجبارية بملاتة ناحية تموشنت غرب وهران ليلة 1873/4/11 وعاد إلى المغرب ليعلن استئناف المقاومة من جديد، مسببا حرجا كبيرا للحاكم العام الفرنسي الجنرال ألْفريد شانزي.

استنفرت السلطات الفرنسية قواتها المرابطة على الحدود، لاعتراض طريقه والقبض عليه ليلة هروبه، ولكنها فشلت، وتأكد لديها أنه مر برأس عين بني مطهر، قبل عبوره القْعدة القرعة، وبعد أربعة أيام وصل إلى مخيم ابن عمه معمر بن الشيخ النازل

421عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، (م-س) الجزء الثالث ص607.
وانظر(DPSENOA, p. 417) حيث يشير الكاتب أن القبطان محمد بن داود حاكم العريشة، توصل بطريقته الخاصة إلى الحصول على رسالة السلطان المذكورة أعلاه ورسالة قائد (عامل) وجدة موجهتيْن في غشت 1871 إلى الشرفاء العلويين القاطنين بتيوت.

422 ولد الأميرال دو ڤيدون سنة 1809، دخل المدرسة البحرية سنة 1825، وعمل في البحرية الفرنسية إلى أن وصل رتبة أميرال، عين في منصب حاكم عام للجزائر من 1871/3/29 إلى 1873/6/10، ينحدر من سلالة نبلاء إيطاليا، شارك في الحياة السياسية بعد إنهاء عمله بالجزائر، وتوفي في 1886، تاركا عدة مؤلفات في عدة أغراض.

بتافراطة، بنواحي كُرسيف، وقد حظي هروب سليمان بن قدور باهتمام الصحافة الفرنسية الصادرة بباريس، التي تناقلت الحدث.

في طريق هروبه ليلا تعرضت قافلته للسرقة، من طرف أهل أنچاد، فضاعت منه بعض الجمال المحملة بأثاث ثمين وحاجات خاصة، مما جعله يطالب عامل وجدة بإعادتها إليه، ولما رأى عجز العامل راسل السلطانَ سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي أمر العامل بالبحث في الأمر وإعادة المسروقات إلى صاحبها.[423]

كانت وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في 11سبتمبر1873 فدفن بمراكش، وبويع ولي العهد مولاي الحسن سلطانا مكان أبيه.

كوَّن سليمان بن قدور جيشا، انخرطت فيه عدة قبائل من الجنوب الشرقي، ومنها من كانت طرفا في حلف زقدو، فوضع الفرنسيين في حيص بيص بعد هجومه الكاسح على قواعدهم في جنوب البيَّض في 1874/3/11م، ثم أوقع هزيمة بقبيلة الطرافي يوم 1874/6/13م وعضده في معاركه ابن عمه معمر بن الشيخ بن الطيب الذي استشهد في معركة الطرافي بالمكان المسمى النفيش.

في آخر هذه السنة سعى المرابط مولاي السهول أحد شيوخ زاوية آل سيدي بن عبد الرحمان السهلي في الصلح بين الغرابة والشراقة، فاجتمعوا على توحيد المقاومة وطي صفحة الماضي[424].

أثارت هذه الأحداث حنق المخزن الذي أصبح يرتاب في أهداف هذه الزعامات وكثرتها وعدم انضباطها.

دخل السفير البريطاني على الخط ليدعم مطالب السلطات الفرنسية لدى المغرب، فبعث بهاته المطالب إلى السلطان مولاي الحسن بعد أشهر من وفاة والده سيدي محمد بن عبد الرحمان وتوليته على العرش.

" ومن بين مطالب سفير الإنجليز :

---

[423]Revue Africaine, pp. 85-89.

[424] Muchaux Bellaires, archives Marocaines, p.337.

وأولها ما كان واعد به السلطان المقدس(يعني سيدي محمد بن عبد الرحمان) من قبض وعقوبة السيد مسمى[425] وأولاد سيدي الشيخ وطردهم من محادة (حدود) الفرنصيص فلا بد من وفاء ما ذكر أو تصدر منه مشقة.[426]

في 22 أكتوبر 1873م.

إمضاء: John Hay Drummond Hay

(جان هي درمنض هي)" [427]

خوفا من اتساع دائرة مقاومة سليمان بن قدور سعى الفرنسيون إلى السلطان مولاي الحسن باقتراح لوقف نشاطه، فاتفق الطرفان على الاستعانة بالحاج عبد السلام الوزاني شيخ الطريقة الوزانية التي كان ينتمي إليها زعماء الغرابة، فانتقل الحاج عبد السلام في حاشيته وخدمه إلى رأس العين (عين بني مطهر حاليا) صحبة زوجته إميلي كوين الإنجليزية الأصل، حيث وجد في انتظاره سليمان بن قدور، الذي خصه باستقبال رائع[428] على ضفاف الوادي الشارف، وتسلم هذا الأخير من شيخ وزان رسالة السلطان مولاي

---

[425] المقصود بالمسمى هو سليمان بن قدور الذي هرب من الجزائر في آخر أيام السلطان سيدي محمد الرابع، وواعد السلطان الفرنسيين بإلقاء القبض عليه وعقوبته، ولم يطالبوا بتسليمه إليهم لأنه مغربي بحكم معاهدة لالة مغنية، وبعد وفاة السلطان وبواسطة سفير إنجلترا طالبوا السلطان الجديد مولاي الحسن بالوفاء بتعهدات والده.

[426] عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، (م-س) الجزء الثالث، ص628.

[427] السير جون درومند هاي (Sir John Drummond Hay) ولد في 1816/1/1، عين مساعدا في االسفارة البريطانية سنة 1844 ثم أصبح سفيرا لبلاده بطنجة في 1845، خلف أباه الذي شغل هذا المنصب قبله، كان يتقن الدارجة المغربية، وبقي في مهامه الى سنة 1886م كما لعب دورا مهما أثناء الاحداث التي خلفها احتلال فرنسا للجزائر وعايش المشاكل التي ترتبت عن دعم المغرب للمقاومة الجزائرية. وتوفي في 1893/11/27م .

[428]- Emily Keen, Histoire de ma vie, 2ème édition, p. 89.

- DPSENOA, p.222-225.

- سيرة إميلي كوين " الشريفة الوزانية" كما حكتها باللغة الانجيليزية، ترجمها إلى العربية عبد الرحيم حزل مسلسلة على صفحات جريدة العلم ابتداء من يوليوز 2000.(وقد أوردت فيها باسهاب مراحل وساطة زوجها لاستسلام سليمان بن قدور، وحسن استقبال هذا الأخير له، وللوفد المرافق له، ووصفته بدقة، كما وصفت المناطق التي قطعوها للقائه).

الحسن، ورسالة الحاكم العام الفرنسي[429]، اللذيْن أعطياه الأمان على حياته وحياة أتباعه، وضمنا لهم جميعا الإقامة والعيش الكريم في كنف السلطان بنواحي فاس، إن هو قَبِلَ الرحيل إلى داخل المغرب، والتزم بعدم العودة إلى المنطقة الشرقية.

كان سليمان بن قدور صعب المراس، إلا أنه استسلم وانقاد لمراد شيخه مولاي عبد السلام، ومعلوم أن زعماء الغرابة والكثير من أتباعهم كانوا من مريدي الطريقة الوزانية[430]، منذ أن أنتسب زعيمهم الشيخ بن الطيب إلى هذه الطريقة زمن تولي شيخها مولاي العربي بن علي بن أحمد أمر الزاوية بين 1811-1850.

مما يؤكد العلاقة المتينة التي كانت تجمع بين سليمان بن قدور وشيخه مولاي عبد السلام، ما ذكره صاحب "الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف" في قوله:

" ولنذكر بعض من لقيناه من فقهائهم من أهل العلم والمعرفة(أي من أعيان مريدي الطريقة الوزانية) ... ومنهم الفقيه البركة الخيِّر الديِّن سيدي سليمان بن قدور من أولاد سيدي الشيخ..."[431]

قَدِمَ سليمان بن قدور تحت رعاية شيخه مولاي عبد السلام للمثول أمام السلطان، والامتثال لأمره.

بعث أعيان قبائل الحدود برسائل مع شيخ الزاوية الوزانية يطلبون فيها من السلطان تعيين سليمان بن قدور عاملا على وجدة وعلى قبائل الحدود الشرقية الجنوبية، مكان محمد ولد البشير أومسعود زعيم بني يزناسن، الذي عرفت عمالة وجدة شغبا متزايدا

---

[429] كان الجنرال شانزي يشغل منصب الحاكم العام بالجزائر، كان له معرفة سابقة بسليمان بن قدور، فهو الذي اقترحه لمنصب آغا بالبيض، وعملا سويا عدة سنوات، إذ كان الجنرال شانزي حاكما لمنطقة تلمسان ثم شاركا معا في حملة الجنرال وينفن سنة 1870 التي قادتهم إلى وادي ڤير.

[430] لا يزال أثر هذا الانتساب باقيا إلى الآن في محافظة بعض المسنين على الورد الوزاني، وزيارة وازان في عيد المولد النبوي الشريف، خصوصا لدى فرقة المڤان والرزاينة من قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم بإقليم جرادة.

[431] عبد الله بن الطيب الوازاني، الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف، ص 445.(وهذا ما يؤكد اجتماع المؤلف بسليمان بن قدور في الزاوية الأم بوازان، أو بفرعها في طنجة أو بهما معا)

مدة ولايته عليها[432]، فاعترض- تيسو(Tissot) - سفير فرنسا على هذا الاقتراح، ورآه يتعارض مع مصالح فرنسا.

ثم همَّ السلطان مولاي الحسن بتعيينه قائدا لجيش المخزن المغربي الذي كان يسهر على الأمن وتأديب القبائل المتمردة، فاعترض السفير الفرنسي كذلك[433].

وصل سليمان بن قدور إلى طنجة[434] يوم 1876/4/19 وانتظر وصول مولاي عبد السلام شيخ وزان الذي شغلته عدة زيارات لمريديه بالجزائر.

بعد ذلك ذهبا معا إلى حضرة السلطان الذي أكرم وفادة سليمان بن قدور، وأسكنه دارا بفاس، وزوجه من إحدى بنات أعيان البلاط الملكي، وأجرى له ولأتباعه ما وعدهم به.

اهتم سفراء فرنسا وألمانيا وبريطانيا بمقدم سليمان بن قدور فاستضافه سفير ألمانيا تيودور وبير (Thedor Weber) وسفير بريطانيا جون درموند هاي (John Drummond Hay).

إلا أن سليمان بن قدور رفض زيارة (Tissot) سفير فرنسا لاعتراضه على تعيينه عاملا بوجدة، فاعتبرها تيسو إهانة لشخصه وللدولة التي يمثلها.

وهذا تقرير جون درموند هاي، سفير بريطانيا، بعثه إلى السلطان بعد محادثته مع سليمان بن قدور:

---

432 ولاه السلطان مولاي الحسن عمالة وجدة في 1874/11/13 وعزله في 1876/9/5.

433 Muchaux bellaires, archives Marocaines,vol XI, N°1 ; p.340.

434 بقي سليمان في طنجة إلى أن أذن له السلطان بالمثول أمامه صحبة الشيخ مولاي عبد السلام، ثم كان يأتي بين الفينة والأخرى إلى طنجة التي ارتبط فيها بعدة علاقات مع سفراء وأعيان وغيرهما، كما افتتح بها زاوية شيخية كان يجتمع بها مريدو الطريقة الشيخية المقيمين بطنجة. ولما لم يعد لهم حضور مهم بها سلمها ناظر الأحباس إلى مريدي الطريقة التجانية، ولما عاد أولاد سيدي الشيخ بعد مدة للمطالبة بها، أجابهم ناظر الأحباس بأن إرجاعها لهم يتطلب أمرا سلطانيا، فتوقفوا عن المطالبة بها.

(Ibid, p.14)

" وزير السلطان أيده الله وكاتب الأوامر الشريفة ، الفقيه الأجل المحب السيد موسى بن أحمد. فبعد السلام التام ، نسأل عنك كثيرا ونطلب الله أن تكون بخير وعافية.

وبعد، فنرجو منك أن تنوب عنا في إبلاغ السلام للسلطان أيده الله، وتهنئة سيادته على وصول السيد سليمان بن قدور ولد سيدي الشيخ، تحت ظل الشريف البركة سيدي الحاج عبد السلام، الذي التزم نيابة عن الجانب الشريف بالأمان والإحسان. والغرض الكثير لدولة أكريت ابرطن (بريطانيا) في إجلاب الخير للسلطان أيده الله ولرعيته ولما لها من المراد التام في دوام المحبة بين فرنسا والمغرب كي لا تقع بينهما غيَرٌ، وتحتم علينا أكثر من مرة أن نطلب من السلطان أيده الله وقوف سيادته على ساق الجد ليبعد من الحدود - قهرا أو بالإحسان – كبيري العرب سي سليمان ولد سيدي الشيخ والسيد قدور بن حمزة ، اللذان - هم ورفقاؤهم - منذ سنين يهددان الاستقرار بين الفرنسيين، وتترتب عن ذلك أمور لا تليق بالعلاقة المغربية الفرنسية.

وبما أن السلطان يجد مشقة كبيرة في توجيه المحلات(الجيوش) الكثيرة لتهدئة قبائل الحدود، فقد أظهر الفرنسيون صبرا كبيرا، ولكن لا يُرجى منهم دائما أن يديموا النظر والسكوت على الجسارة الكبيرة الصادرة - من غير خوف- على رعايا فرنسا من لدن قبائل العرب المستقرين بإيالة السلطان.

وسيكون حضور السيد سليمان (بن قدور) مناسبة لفصال هذه الأمور المهمة. وقد قدم علينا هذا الرجل سريا وبإشعار السفير الفرنسي الذي له ثقة في جانبنا بسبب دخولنا في هذا الأمر.

وقد بينا للسيد سليمان المذكور بأن سبب بحثنا عن ملاقاتنا معه هو ما لدولتنا من الغرض في دوام المحبة بين دولة السلطان والدولة الفرنسية فقط، التي كانت على وشك الانهيار بسبب سيرته وسيرة السيد قدور بن حمزة على الحدود. وذكرت له أننا فرحون غاية الفرح حين رأيناه هنا بطنجة تحت ظل الشريف البركة سيدي الحاج عبد السلام، راجين كف قبيلته وقبيلة السيد قدور بن حمزة ودخولهم لإيالة السلطان.

وحين حكى لنا السيد سليمان سيرته الماضية، ذكر لنا الثقة التي له في الرسالة (السلطانية) التي بلغها له الشريف (الوزاني) وبضمانة هذا الشريف أمن على نفسه وقدم إلى طنجة، و مستعد للاستقرار في المحل الذي يُعين له في الإيالة.

كما ذكر لنا أيضا، أن مراده من السلطان أيده الله، أن يتدخل لدى السلطات الفرنسية لترحيل أولاده وأصحابه وأهلهم المستقرين في 311 خيمة في (عقلة السدرة) وفي غيرها من نواحي الجزائر، ويسمح لهم بالترحال إلى المغرب براً بمواشيهم مرورا بجهة الريف وبني يسناسن، ويُعطى لهم ما يكفيهم من الأراضي الصالحة (للرعي والفلاحة). ويعطى لأصحابه ما يوفر لهم العيش الكريم وأن يكونوا في حمى من ظلم وتعدي ولاة الإيالة.

كما أخبر بأن أسلافه (زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة) كانوا في خدمة المخزن مع سلاطين المغرب، وهو على أثرهم في خدمة السلطان مولاي الحسن ويضع ولده رهينة عند الشريف الوزاني، أو في الحضرة الشريفة، (عربونا) على حسن نيته. كما ذكر أيضا أن ولده يتكلم الفرنسية ويضعه رهن إشارة خدمة السلطان ودولته.

ولما سألته عن السيد قدور بن حمزة هل يمكن أن يُعطى له الأمان في الاستقرار مع أصحابه في هذه الايالة، إذا تعين له مكان إقامة من جانب السلطان، فأجاب بأنه لا يمكن له أن يلتزم بشيء مكان المعني بالأمر، ولكن إذا سمع بأن السلطان أيده الله أصدر الأمان والإحسان له ولأصحابه يمكن أن يفعل ما فعلناه نحن.

وذكر أيضا أنه في حالة ما إذا استمر(أي السيد قدور بن حمزة) في غيه، فهو موجود في خدمة الجانب الشريف (أي السلطان) ويستطيع مع أصحابه ومع من يكون تحت حكمه من الناس أن يلتزم بطرد قدور بن حمزة، وبذلك يستقر الهناء في المستقبل على الحدود وفي الصحراء وغيرها، ويضع أولاده رهينة تعبيرا عن نصحه في خدمة السلطان.

أرجو من الجانب الشريف التأمل كثيرا فيما أشار به السيد سليمان ولد سيدي الشيخ. فالظاهر لنا أنه لا يليق الآن استخدام السيد سليمان المذكور - على أي وجه كان - في حرب الحدود، إلى أن تمضي عدة سنين، وبعد ثبوت حسن سيرته والثقة به. وعلى كل حال فخدمته الآن على الحدود مصدر مشاحنة، لا ترتاح لها الدولة الفرنسية. كما

نؤكد لك ما سمعناه من مصدر ثقة أن السيد سليمان مراده أن يطلب من السلطان ولاية على قبائل الحدود.

وقد سمعنا أن مراد السلطان أيده الله، كان ترحيل قبيلة من دكالة و إسكانها بأرض خصبة بين فاس ومكناس، وعِوَضَ ذلك ارتأى ترحيل السيد سليمان وأصحابه إلى المحل المذكور ويجعلهم مثل الجيش، وبما أن السيد سليمان كان زعيما حربيا وسبقت له الخدمة مع الفرنسيين، فيستطيع بواسطته تطويع القبائل المخالفة في الغرب والشرق، وبهذا الوجه تظهر فائدة هذا الرجل وأصحابه ونياتهم.

وقد أخبرنا السيد سليمان بتضرره من قلة الدراهيم، وطلب منا سلفا بقيمة مائتي ريال فعليه، نشير على السلطان أيده الله، أن يأمر أمناء طنجة بإعانته بالمال والبهائم لسفره مع الشريف الوزاني للحضرة الشريفة، وسيدي الحاج عبد السلام صدرت له المصاريف الكثيرة، بسبب نزول السيد سليمان وأ صحابه عنده. ويتحقق لدينا أن السلطان لا يرضى أن ينفق الشريف (الوزاني) من ماله الخاص على الخدمة التي هي لجانب المخزن(أي واجبة على المخزن). وإعطاء الأمر للأمناء في هذا الاتجاه يطمئن السفير الفرنسي والسيد سليمان على أن مراد الجانب الشريف هو فصل هذا الأمر على أحسن وجه.[435]

ثم زار سليمان بن قدور بعد ذلك سفيرَ ألمانيا تييدور ويبير(Théodor Weber) فثارت ثائرة سفير فرنسا وطالب المخزنَ باستفسار في الموضوع بواسطة سفير بريطانيا، فكان رد الوزير الأعظم المغربي كاتالي:

---

[435] خالد بن الصغير، المغرب في الأرشيف البريطاني، ص 296.

الحمد لله وحده   ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

المحب الناصح الساعي في الخير بين الدولتين والصلاح بين الإيالتين منيسطر سلطانة كريت بريطن الفخيمة (سفير ملكة بريطانيا) وباشادرها (سفيرها) العاقل بهذه الإيالة السعيدة الكبير المعتبر جان هي....

أما بعد مزيد السؤال عنك، ومحبة أن تكون بخير دائما، فإنك كنت كتبت لنا بما بلغك من أن المرابط السيد سليمان بن قدور تلاقى بدارنا مع باشادور البروسية (ألمانيا) فأجبناك بحقيقة الواقع من أنه لم يكن شيء من ما بلغك وهو كذلك،لأنا لا نحب ذلك ولا نرتكبه ولا نرضاه ولا نوافق على ما فيه تكدير الخواطر، واستبعدنا أن يكون تلاقى معه في محل آخر.

ثم بعد ذلك كتب لنا نائب مولانا الأرضى السيد محمد بركاش في شأنه، بمثل ما كتبت لنا به، فوجهنا حينئذ إلى المرابط (السيد سليمان) وسألناه، فاعترف ولم ينكر بأنه كان توجه من عنديته لمحل نزوله (أي دار سفير ألمانيا) وتلاقى معه هناك من غير علمنا، وزعم أنه إنما تلاقى في أمر كتاب مشتمل على اللغة الفرنسية كان أوصاه عليه ليتعلم ولده منه اللغة لا غير، فوعده بتوجيهه إليه من طنجة حين يصل إليها، ثم إنه وجده هنا. وأعلمناك بحقيقة الواقع في النازلة لتكون على بصيرة.

وختم في 27جمادىالاولى عام 1294 \ 9 يونيو 1877م.

موسى بن أحمد لطف الله به[436]

---

[436] المرجع نفسه، ص 426.

كان سفير فرنسا يحث المخزن على إنزال أولاد سيدي الشيخ الغرابة في العمق المغربي حتى يضمن عدم تسللهم ورجوعهم إلى بؤر التوتر على الحدود الشرقية. فكان استقرار أولاد سيدي الشيخ - الذين التحقوا بزعيمهم سليمان بن قدور عن طريق البر - في منطقة سايس ناحية فاس، واستقر الذين رحلوا عن طريق البحر بالسويهلة ناحية مراكش، بعد قدومهم بالباخرة من وهران إلى طنجة ومنها إلى الصويرة ومن هذه الأخيرة إلى السويهلة برّاً[437].

راوح سليمان بن قدور الإقامة بين سايس (ناحية فاس) والسويهلة (ناحية مراكش)، إلا أن العيون الفرنسية كانت تترصد حركاته وسكناته، ولاحظ السفير الفرنسي مراسلات كثيرة بين سليمان بن قدور وذويه الباقين على الحدود في المنطقة الشرقية، فنبه السفيرُ المخزنَ عليها في حينها.

في شهر فبراير 1880 وردت على سليمان رسالة من قبيلته تستغيث به بعدما أغارت عليها قبيلة حميان شافع (الموالية للاحتلال الفرنسي) وقتلت عددا منهم ونهبتهم كل مواشيهم. وكان هذا الهجوم موضوع رسالة السلطان مولاي الحسن التي جاء فيها:

خديمنا الأرضى الطالب محمد برگاش

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد وصلنا كتابك جوابا عما كان أخبر به الحاج بوبكر المهياوي من أن أولاد المبخوت من الإيالة الشرقية ومن انضاف إليهم من حميان شافع هجموا على السيد علال ابن الطيب وإخوانه (أولاد) السيد عبد الحاكم وأولاد السيد محمد، ونهبوا لهم ما يزيد على عشرة آلاف من الغنم وثلاثين جملا واثنتي عشرة خيمة وبهائم إخوانه ومال مطلوق فنهب أيضا من جملة ذلك.

---

[437]. Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.9

أخبرت أنك تكلمت مع باشدور الفرنصيص بذلك طبق ما أمرناك به، فأجابك بأن دولتهم تتشكى من إذاية أولاد السيد الشيخ وخوضهم وتشويشهم، وحيث صرنا نتكلم عليهم يكتب لدولته بذلك والحق يعطى، وأنه كتب لدولته بما ذُكر، فالمقصود بذلك هو إعلامهم بما يصدر من إيالتهم، وأيضا فلكون النهب لم يقصر على أولاد السيد الشيخ، بل شمل المهايا وغيرهم، وقد عارضنا بذلك دعاويهم عليهم ليعلموا أنه لا يخفى علينا ما يصدر من إيالتهم لإيالتنا، وبأن إيالتهم ليست جالسة عند الحد، وأنهم لا يتركون من جهدهم إلا ما لم يقدروا عليه، إلا ربما تكون هذه المعارضة سببا لهم في تسهيل فصل قضاياهم لأجل مقابلة دعوى بأخرى، وليس المراد ما فهموه من الدفع عن أولاد السيد الشيخ والذب عنهم والتكلم لهم على حقهم، لأنهم رأس الخطايا وهذه البلايا وأصل هذا الداء والحرج.

والسلام.

في فاتح ربيع الثاني عام 1297(الموافق 13 مارس 1880)[438]

لم تفتأ السلطات الفرنسية من توجيه التهم إلى سليمان بن قدور وابنه الشيخ الذي بقي في المنطقة الشرقية، وتحرض المخزن على إلقاء القبض على الابن، وتشديد المراقبة على الأب كما في رسالة السفير الفرنسي التالية:

أسعد الله الوزير المحترم الأجل المعظم المحب الفقيه السيد العربي بن المختار

[438] مديرية الوثائق الملكية، الوثائق، المجموعة السابعة، 1989، الرباط، ص 17.

أعانك الله وأمنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، وصلنا كتابك بتاريخ 5 ربيع الثاني، وذكرتم لنا فيه بأن الحضرة الشريفة سمعت بظالم نفسه قدور بن حمزة أنه اجتمع بنواحي الصحراء هو وأولاد سيدي الشيخ وذوو منيع وبنو كيل وأولاد جرير والعمور بنية الفساد وإثارة الفتنة بتلك النواحي، وبنفس ما سمعت ذلك قام قياما وأصدر الأمر الشريف في الحين لتلك القبائل في ذلك.

اعلم أن هذا كله لا يصفي خاطر دولتنا ... وقد تكلفت الحضرة الشريفة بأن تأتي بولد سليمان بن قدور من الحدادة ويسجن بفاس، إذ هو السبب في الفتنة كلها التي وقعت عندنا ، وأبيه سيدي سليمان بن قدور لم تبق له كلمة في مخزن الغرب، وتكون عليه عسة شديدة ليلا يفر.

في 23مارس1880م[439]

نستخلص من الرسالة أعلاه والمكتوبة بعربية ركيكة، أن السفير يريد في الفقرة الأخيرة من رسالته التعبير عن عدم رضى السلطات الفرنسية إلا إذا أوتي بإبن سليمان بن قدور من الحدود وسُجن بفاس، ولن ترضى كذلك إلا إذا لم تبق لسليمان بن قدور أية قيمة عند الدولة المغربية، ويكون تحت حراسة مشددة حتى لا يفر ويعود إلى منطقة التوتر.

كما نفهم من خلال الرسالة أن الشيخ بن سليمان بن قدور كان يواصل المقاومة بعد ترحيل أبيه، وبتنسيق مع هذا الأخير، ونفهم كذلك أن سليمان كانت له مكانة مرموقة عند السلطان مولاي الحسن، وأن رضا السلطان عن هذا الشخص يعني رضاه عن مقاومة أولاد

[439] المرجع نفسه ص 120-121.

سيدي الشيخ للاحتلال الفرنسي، وهذا ما كان يقض مضجع السلطات الفرنسية.
كما تكاد توحي إلينا كثرة تحذيرهم في رسائلهم من إمكانية فرار بن قدور، أنهم هم من سوف يرتبه له، واستبقوا هذا الحدث بكثرة التحذير منه ليبعدوا الشبهة عن أنفسهم.

جاء جواب السلطان كالتالي:

خديمنا الارضى الطالب محمد بركاش

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد، فقد وصل كتابك أخبرت فيه أنه لما قدم بابور وهران قدم لعندك باشدور الفرنسيس، وبيده مكاتيب وهو مغتاظ غاية ذاكرا أن سبعة من الخيل الذين كنا وجهناهم لنواحي وجدة مشتغلون هناك بالخوض وإغراء أولائك الناس على الخروج عن حكم مخزنهم
وأنه تكلم على السيد سليمان بن قدور، بأنه يكاتب أبناء عمه وغيرهم بتلك النواحي، ويتحيل للفرار والرجوع لذلك المحل، مع ما يحصل في رجوعه من ضرر.
فأجبته بأن ابن قدور هذا إنما هو تحت يدنا، وإحساننا جار عليه، والسياسة في ذلك هي جلب أولائك المشوشين، وهم قدور بن حمزة وغيره، لكونهم إذا سمعوا بوقوع نكبة لمن ذكر لا يمكن ورود أحد ممن المقصود ورودهم، وأنه استحسن ذلك وقال لكن بشرط بقائه تحت يدنا ولا يتوجه لتلك النواحي أصلا...

فأما ما أجبت به عن بقاء ابن قدور تحت اليد وإجراء الإحسان عليه لجلب من بقي من إخوانه وأبناء عمه هنالك فذلك هو المقصود من تأليفه والإحسان إليه..

في 14 جمادى الاولى 1297هـ الموافق السبت 24 أبريل 1880م[440]

يتبين من قراءتنا لرسائل السلطان، ورسائل السفير الفرنسي أن سليمان بن قدور كان محل مراقبة شديدة، وقد استشعر مراقبوه حنينَه إلى ساحة الوغى، فشخصٌ يحمل تلك الطاقة المتوثبة لا يمكن أن يبقى سلبيا، خصوصا بعد إهانة أهله من طرف قبيلة حميان شافع التابعة للاحتلال الفرنسي، وقد كانت هذه القبيلة تحت حكمه سابقا، ويعرف حق المعرفة بطونها وأعيانها.

في يوم 1881/6/12 اغتنم ابن قدور فرصة غياب السلطان عن فاس، ليرتب هروبه مع ابنه الشيخ بن سليمان[441] وابن عمه الشيخ بن بحوص[442]، ويعود إلى المنطقة التي لا يريده الفرنسيون بها، أو يريدونه فيها، حيث كانت الصراعات محتدمة فيها بينهم وبين زعيمين من زعماء أولاد سيدي الشيخ، هما قدور بن حمزة زعيم

---

[440] المرجع نفسه ص 343.

[441] الشيخ بن سليمان بن قدور: ولده البكر، ازداد سنة 1863، درس في ثانوية بالجزائر العاصمة، كان يتقن اللغة الفرنسية، رافق أباه إلى فاس، ثم صحبه أثناء هروبه إلى الجهة الشرقية، وشاركه مقاومته للاحتلال الفرنسي، جُرح في إحدى المعارك بناحية أنوال، وبعد اغتيال والده حمله القائد ابوبكر المهياوي إلى وجدة قصد علاجه، لكنه توفي سنة1883 ودفن بضريح سيدي محمد بن زيان الكائن بجانب بلدية وجدة حاليا.

[442] الشيخ بن بحوص بن الطيب: ازداد سنة 1862، وكان ضمن المهجَّرين إلى فاس ومراكش، ورغم صغر سنه فقد اختاره سليمان بن قدور لصحبته في عودته من فاس إلى الجهة الشرقية، وشاركه كل معاركه ضد الاحتلال الفرنسي، وضد القبائل الموالية له، بعد اغتيال سليمان بن قدور نجا الشيخ بن بحوص من السجن الذي ألقيَ فيه أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة بأمر من السلطان مولاي الحسن الأول، بعد رجوعه إلى المنطقة الشرقية التقى بالشيخ بوعمامة زعيم مقاومة 1881 فبقي معه، ثم مع ابنه الشيخ الطيب بن بوعمامة إلى حين وفاة هذا الأخير في الثلاثينات من القرن العشرين. وقضى آخر أيامه في عشيرته بالظهراء.

الشراڤة، وبوعمامة بن العربي من أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذي أعلن بداية مقاومته للاحتلال في 22 أبريل 1881.

أجاب الوزير الأعظم عن تساؤلات السفير الفرنسي حول هروب سليمان بن قدور بالرسالة التالية:

" وقد زوجه سلطان المغرب ببنت من الأسر النبيلة التي تربت في بلاطه، ومنحه ولإخوانه أراض واسعة للزراعة... وكذلك ما يقرب من 10.000 بسيطة نصفها حبوب خلال سنوات المجاعة ... كل هذا الجميل لا فائدة منه وسي سليمان بن قدور أداها بالعقوق ونكران الجميل، واغتنم غياب السلطان عن فاس للفرار إلى الصحراء.[443]

وصل سليمان بن قدور إلى المنطقة الشرقية ليُكَوِّنَ في سرعة خاطفة جيشا من أولاد سيدي الشيخ الغرابة والقبائل الموالية لهم، والتي كانت تراسله وهو بفاس مستنجدة به من اعتداءات القبائل الموالية للاحتلال[444].

بعد شهرين من تاريخ فرار سليمان بن قدور من فاس أقدم العقيد دونيڤريي (François oscar de Negrier)[445] في15غشت 1881 على تفجير ضريح الشيخ السماحي (سيدي الشيخ) ونبش قبره، في سابقة تأباها كل الديانات والأعراف، وذلك بعد الهزائم المتكررة التي تعرضت لها القوات الفرنسية على أيدي أولاد سيدي الشيخ،

---

443 أحمد مزيان، فجيج (م-س) ص 491.

444 Le journal de fourmies, N°287 du jeudi 14 juillet 1881, 1ere page.

445 دو نيڤريي (1839-1913) خريج المدرسة العسكرية سان سير، شارك في الحرب الفرنسية الألمانية سنة 1870، انضم إلى فرقة اللفيف الأجنبي، أرْسِل إلى الجزائر لمجابهة مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي كان يتزعمها الشيخ بوعمامة منذ 1881، فجَّر ضريحَ الشيخ السماحي "سيدي الشيخ" انتقاما لهزائم الجيش الفرنسي، وقد جرَّ عليه ذلك استنكار زملائه الضباط، وحقد الأهالي، كما أثارت فعلته هاته ضجة إعلامية في الجزائر وفرنسا. في 1884 انتقل إلى قيادة الجيش الفرنسي في الحرب الفرنسية الصينية، ثم عاد إلى فرنسا، ليشغل عدة مناصب عسكرية إلى حين وفاته.

وخصوصا ما تكبدته في معركة بولاق (تازينة) على يد المجاهدين، بزعامة الشيخ بوعمامة، في 1818/5/19.

كانت سلطة الاحتلال ترى في ضريح سيدي الشيخ وزاويته رمزا للجهاد يستمد منه المجاهدون قوتهم واستماتتهم في المقاومة، لأن صاحب الضريح مات شهيدا متأثرا بجراحه في معركة ضد الإسبان على أبواب وهران، و سار أبناؤه وحفدته على نهجه الجهادي.

كان لهذا العمل الشنيع أثر بالغ ألهب الصدور حقدا على الفرنسيين الغزاة، كما انقسم الرأي الفرنسي حول الواقعة، فتعصب المعمِّرون دفاعا عن الضابط الذي فجر القبة، ورأوا فيه عملا شجاعا، وقاموا باكتتاب عام لجمع المال الكافي لشراء سيف فضي لإهدائه إليه، إلا أن غالبية الرأي الفرنسي رأوا في هذا الحدث عملا جبانا، وكان أكثر المنكرين له ضباط الجيش الذين خجلوا من هذا التهور والإسفاف اللذان لا يليقان بالأخلاق العسكرية. وكثر الحديث عن هذه الفعلة في أغلب الجرائد[446] والمنتديات وبين كبار الساسة، حتى تدخل الحاكم العام فأمر بتجديد بناء القبة، وفي النهاية رفض الضابط دو نيقريي تسلم السيف الذي اشتراه له المعمرون خجلا مما قام به.

---

[446] A titre d'exemple :
1-Courier de settif du 18/9/1881.
La justice du 29/8/1881.



تفجير قبة سيدي الشيخ (15 غشت على الساعة الواحدة صباحا)
صورة نشرتها الجريدة الأسبوعية (Le monde illustré)
الصادرة في 10 شتنبر 1881 عدد 1276، ص164.

في صباح 1881/11/17 سقط سليمان بن قدور كالصاعقة على قبيلة حميان شافع في جيش قوامه ثمانمائة فارس وألف راجل، في معركة " أمراق"[447] ويسميها الفرنسيون معركة "عنق الجمل"، فقتل منهم 19 شخصا وجرح عددا أكثر، وعاد بأسلاب وفيرة سببت مشكلا دبلوماسيا بين فرنسا المُطَالِبَة بالتعويض والمخزن المُحَاوِل التملص من ذلك، إذ كان ثمن المسلوبات باهظا جدا. وكان مقصود الفرنسيين من المطالبة بالتعويض إحراج المخزن لدفعه إلى التعاون من أجل التخلص من زعماء أولاد سيدي الشيخ عامة وسليمان بن قدورخاصة.

هذا ما عرضته السلطات الفرنسية على نظر السلطان حول محاولة ثانية يقوم بها مولاي عبد السلام شيخ الزاوية الوزانية

[447] Lanier Lucien, L'afrique, pp.134-135.

لاستسلام سليمان بن قدور زعيم الغرابة، وقدور بن حمزة زعيم الشراقة، وقام شيخ الوزانية بالمبادرة إلا أن تدخل بعض الأطراف حال دون نجاحها.[448] وفي رسالة السلطان مولاي الحسن لوزيره بركاش تفصيل للحدث:

" خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد : وصل كتابك مخبرا بأنه وصلك من شارل أكار كتاب في شأن سليمان بن قدور يخبرك فيه بأن دولته كلفته بعلاج داء المذكور، وأنه أخبرك بأنه كتب لحضرتنا العالية بالله في شأن من ذكر على وجه السر ووجه لك نسخة مما كتب به وأنه طلب منك أن تكتب لحضرتنا الشريفة إعانة له على ذلك الدواء، ووجهتَ كتابه لك مع النسخة المذكورة، وأشرتَ بأنه ظهر لك أنهم حيث عينوا الدواء وطلبوا المساعدة على درء ما يتولد منه الضرر فلا بأس بذلك، لأنه إذا لم تقع مساعدة وحصل من ذلك عيب لم يبق ما يدافعون به وصرنا من ذلك على بال.

فالدواء الذي طلبه أكار هو الكتْب لقدور بن حمزة وسليمان بن قدور مباشرة بأن يأتيا في الأمان ويواعدان بالبرور والإكرام ومزيد الإحسان، والكتْب لهما بذلك مباشرة لا يناسب لما فيه من خروجهما عن طورهما ومن حل عرى الترهيب، والذي يظهر في علاج ذلك الداء هو أن يكتب الظهيران الشريفان للشريف المذكور بالترغيب والترهيب

448 Emily Keen, Histoire de ma vie, p.78.

والوعد والوعظ والأمان ويتحمل لهما من قبلنا وبكون سليمان بن قدور يرجع لمكانته عندنا من غير زيادة ولا نقصان، بشرط الوقوف عند الشرط المشترط عليه قبل من كونه يسكن مع إخوانه بالحوز كما هم الآن به، ويترك التوجه للغرب قطع عدوتي الرباط ويشتغل بما يعنيه، وأنه إذا ظهرت مخايل الغدر والهروب والتهور وانطماس البصيرة، أو تلبس بما يناقض العهد فإنه يعامل بما يناسب بعد بحول الله وقوته، حتى يكون الإتيان به مبنيا على أساس صحيح، وأن قدور بن حمزة يأتي في الأمان ويواعد بالبرور والإكرام على نحو الشروط المذكورة، غير أن سليمان بن قدور لا عهد له ولا ميثاق، ولا عقل له، سفيه طائش، ومجيئه على يد الشريف المذكور قبل هو من جملة الأسباب المانعة من القبض عليه زيادة على ما كان يُخشى توقعه من تمرد أقاربه وتشيطنهم بالصحراء، فإذا ورد بهذا الاعتناء وهذه الأبهة يزداد في حمقه وطيشه أكثر من المرة الأولى التي كنا معه فيها كمربي الطفل الأبله.

وربما يتركنا حتى نكون عنه في شغل ويعلم الاستغراق فيه كهذه الحركة التي فر فيها، ويتحين خروج ضال من إخوانه هنالك لكونهم كالدجاجيل لا ينقطعون من تلك الصحاري، ويفر لكونه يتلون ويتقلب وينقض عهده في كل مرة وتكون له هذه ثالثة ثلاثة : الأولى في حياة سيدنا رحمه الله والثانية والثالثة في مدتنا، والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

وكل من سمع بأن ذلك السفيه يفعل ذلك مع جنابنا العالي بالله يظن بالجانب بحسب الظاهر الغفلة وعدم التيقظ وغير ذلك مما لا يناسب، مع أنه لو اطلع على باطن الأمر من كونه يؤتى به في الذمة والأمان والوساطة بالشفاعات ونحو ذلك مما يقضي بغض الطرف عنه مع تركه لحثالته أوباش قرابته للشيطنة بالصحراء ينظرون من يسمعون عنه، لم يظن ذلك الظن السيئ ويعرف الأمر بحقيقته.

والدولة اذا صدر منه شيء في هذه المرة الثالثة لا تعذر ويكون لها الحق علينا لكونها صبرت وقابلت بما يناسبها فهي مجازاة بما يجازى به أمثالها العظام فنحتاج إلى أن نسلك في إتيانه سبيلا لا تنبني عليه تلك المفاسد، ولا سيما وقد عرف حاله وغدره.

وقد بلغنا أنه أراد أن يتشيطن في الحدادة، فكتبنا لأولائك القبائل وبصرناهم في أمره، وأعلمناهم بأنه هرب من حضرتنا العالية بالله ولم يتوجه عن إذن كما يموِّه ويقول لهم، وعرفناهم بأنه فتان وبأن من تبعه تلحقه الدعوى وترهقه البلوى، وواعدناهم مع ذلك على تحصيله بالدراهم الكثيرة.

ولما بلغه ذلك وتحقق به انتقل إلى هذه الإيالة وأكثر المكاتبة مع البعض من قبائلها ويطمعهم بالكيل، فطفق كل من كتب له كتابا يوجهه لحضرتنا العالية بالله، ومضمن تلك المكاتب لا يصدر إلا من أحمق فتان.

فكتبنا لهم فيه بما يتعين حتى صاروا منه على بال، ولما ضاق عنه الفضاء، بلغنا أنه يريد التعلق بمن يأتي به لحضرتنا العالية بالله في

الأمان فغضضنا عنه الطرف قصدا حتى يذعن، ويكون بحيث إذا أتى يأتي تائبا مذعنا مطأطئ الرأس ملتزما الجلوس عند حده والاشتغال بما يعنيه، فإذا بك كتبت في شأنه بما كتب به أكار.

وعليه فإن كان الشريف المذكور يأتي به على الشروط المذكورة فتحمل به، وبما يكون له من البرور وكذا لابن عمه المرابط الطالب قدور بن حمزة على الشروط المذكورة التي فيها صلاح الدولتين، وكان قيدا لازما في مجيئهما حسبما بعضه مذكور في مكاتبهم في شأنه، ولا يريان بحول الله منا حينئذ إلا ما يسرهما.

والظهيران المشار إليهما يصلانك طي هذا مفتوحين لتطالعهما وتدفعهما لاكار يدفعهما للشريف المذكور لقضاء الغرض بهما على يد اكار وما ذكره في كتابه من أنه يتكلف لمن يأتي به من عند الدولة، فهم مجازون عليه بالخير غير أن مثل من ذكر لا يحتاج له إلى ذلك، ويكفي فيه نحو خمسمائة ريال والسلام.

15 قعدة عام 1298هـ(الموافق 9 أكتوبر 1881) [449]

عمل سليمان بن قدور في هذه الأثناء على محاولة توحيد زعامات أولاد سيدي الشيخ لتوجيه ضربة قاضية للمشروع الفرنسي في الجنوب الشرقي، هذا المشروع الذي كان يعرف أهدافه ووسائله بحكم عمله السابق فيه، ويعرف كذلك مواطن ضعفه ومنافذ إفشاله.

اجتمع زعماء أولاد سيدي الشيخ الثلاثة: سليمان بن قدور، وبوعمامة بن العربي، وقدور بن حمزة في 1881/10/18 بفجيج، وتدارسوا توحيد المقاومة، ولأهمية هذا الحدث وخطورته على

---

[449] عبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس، (م-س) الجزء الثاني ص473.

السلطات الفرنسية فقد رصدته ونقلته عدة جرائد تصدر في باريس.[450] وأحرج هذا اللقاء السلطات الفرنسية، وعلى رأسها الحاكم العام البير ڤريفي (Albert Grévy).[451]

في شهر يونيو 1882 شن ذوي منيع هجوما على مخيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة بالمكان المسمى زرزف، جنوب/شرق أرفود، وأسفرت المعركة عن خسائر في الجانبين.

ولرد الاعتبار والثأر لقتلى زرزف اجتمع مرة أخرى زعماء أولاد سيدي الشيخ الثلاثة واتفقوا على شن هجوم كاسح على ذوي منيع الذين تحالفوا مع السلطات الفرنسية ضد أولاد سيدي الشيخ، فكانت معركة يوليوز 1882 التي أتت على حلف زكدو الذي كان أقوى وأكبر حلف في الجنوب الشرقي.

عُين أورديڤا[452] (Ordega) في آخر سنة 1881 سفيرا لفرنسا بطنجة برتبة وزير مفوض، وعُرف في الوسط الدبلوماسي بالجرأة والتحدي.

فقد طلب من الصدر الأعظم المغربي أن يُعْفَى من خلع قبعته عند استقباله من طرف السلطان، وكانت هذه مراسيم البرتوكول الجاري بها العمل مع كل رؤساء البعثات الدبلوماسية، إذ يصل السلطان إلى

---

[450]- Le progrès (journal républicain radical) N°33, du jeudi 27/10/1881.1ère page.

-l'univers (journal) édition semi-quotidiènne, N°5119 du 12/11/1881, 1ère page.

- la presse du samedi, du 12 novembre 1881.p. 3.

- Le rappel, journal du 19 octobre 1881, p. 3.

- Le moniteur de la gendarmerie, journal non politique, N°58 du dimanche 9 octobre 1881, Paris, pp.89-90.

- انظر: الهلالي وبنعلي، فجيج والمخزن (م-س) ص164و 166.

[451] ألبير ڤريفي (Albert Grévy) عاش بين 1823-1899 رجل سياسة، زاول المحاماة، كان نائبا في مجلس الشيوخ من 1871-1880، ثم عين حاكما عاما للجزائر بين 1879-1881(Dezobry et Bachelet,suplément au dictionnaire géneral p.3064)

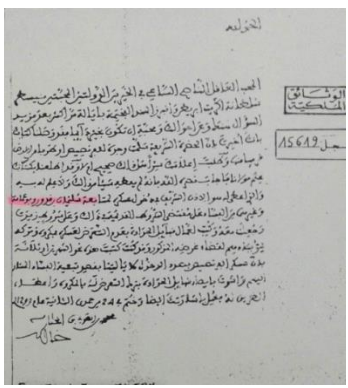
[452] أورديڤا Ladislas Ordega (1829-1896) خريج المدرسة الإدارية، دبلوماسي منذ 1855 حيث عين قنصلا بالبوسنة، ثم بعدة عواصم أوروبية أخرى، في 1881 عين وزيرا مفوضا بسفارة فرنسا بطنجة، خلفا لدو فرنويي (De Vernouillet) ومنذ 1884 انتقل أورديڤا إلى مهام أخرى، عرف بحدة الطبع التي وضعته - عدة مرات - في مواجهة زملائه سفراء الدول الأوروربية.

(Le radical (journal) du 19/7/1896)

المشور على صهوة جواده، ويقف السفير عاري الرأس أمامه ليلقي كلمته، ويقدم أوراق اعتماده ورسائل مَلِكِه أو رئيسه، وناور أورديڤا بكل عزم حتى نال مبتغاه، وأعْفِيَ بعد ذلك جميعُ السفراء من هذا الإجراء[453]. كان ذلك عندما زار هذا السفيرُ والوفدُ المرافق له مراكش في مهمة دبلوماسية لدى السلطان مولاي الحسن.

انطلقت هذه البعثة الفرنسية بحرا من طنجة يوم 23 مارس 1882 في اتجاه أسفي، لتنتقل برا إلى مراكش. وكانت قضية هروب سليمان بن قدور من فاس، وهجومه على قبيلة حميان شافع الموالية للاحتلال مثار المخاوف الفرنسية، وكانت هي صلب مهمة أورديڤا، بالإضافة إلى مسائل ثانوية أخري.

استطاع الوزير الفرنسي أن يقنع السلطان مولاي الحسن بالسماح للقوات الفرنسية بملاحقة المهاجمين لها داخل التراب المغربي، كما لبى السلطان طلب أورديڤا بمراسلة قبائل الحدود لنبذ سليمان بن قدور، وإلقاء القبض عليه إن تمكنوا من ذلك.[454]



رسالة الصدر الأعظم محمد بن العربي
يجيب فيها عن تساؤلات سفير الإنجليز.
(الوثائق الملكية رقم 15619)

---

[453] Dr A. Marcet, Le Maroc ; p 116.

[454] Ibid p.164. وانظر فجيج و المخزن (م- س) ص 127.

هذه رسالة الصدر الأعظم محمد بن العربي بن المختار يجيب فيها عن رسالة بعث بها إليه سفير بريطانيا يسأل فيها عمَّا يشاع بأن السلطان تنازل للفرنسيين عن إحدى نواحي وجدة (وهو يقصد بها الجنوب الشرقي) ولا شك أن أورديڤا - سفير فرنسا - كان وراء هذه الإشاعات، فرد الصدر الأعظم بأن السلطان لم يتنازل عن شيء مما ذكر، وأنه سمح للفرنسيين فقط بملاحقة سليمان بن قدور وبوعمامة وغيرهما ممن يثيرون الفتن، وقد راسل السلطان عمال قبائل هذه المناطق في هذا الشأن، وهذا يبين أثر الأهداف التي حققها أورديڤا في زيارته للسلطان، وكيف نفخ فيها ليخدم بها أغراضا أخرى.

من المحتمل كذلك أن تكون زيارة أورديڤا للسلطان محاولة منه للتغطية على كونه كان وراء هروب سليمان بن قدور من فاس، بعد أن خطط بمعية وزارة الخارجية الفرنسية لتسهيل هروبه ووصوله إلى المناطق الحدودية الشرقية في مهمتين هما:

1- التصدي لمقاومة الشيخ بوعمامة بكل الوسائل لإجهاضها، وقد سبق للسلطة الفرنسية توظيف صراع الزعامات بين أولاد سيدي الشيخ وإذكاء التنافس بينهم سنة 1864 بالسعي إلى تعيين الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب خليفة لعامل وجدة على فجيج لإجهاض ثورة الشراڨة، وللضباط الفرنسيين كتابات كثيرة تحث على إحياء الصراع المزمن بين أولاد سيدي الشيخ لتجنب اتحادهم على مقاومة الجيش الفرنسي.

2- الدخول في مشروع إنشاء منطقة واسعة في الجنوب الشرقي المغربي يكون الحكم فيها لسليمان بن قدور، تحت مظلة روحية يُختار لها مولاي عبد السلام شيخ الوزانية، أو مولاي العربي المدغري شيخ الدرقاوية، تحت إشراف فرنسي، وهو مخطط يهدف إلى التعجيل باحتلال الجنوب المغربي (الساورة، توات، تيدكلت، وڨورارة)[455].

[455] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، ص 344.

مما يبرر هذا التأويل أنه في فترة لاحقة، طلب أورديڤا في محاولة أخرى من سليمان بن قدور القدوم إلى طنجة تحت حمايته، للذهاب به إلى باريس للقاء الملك الفرنسي، وهذا ما يؤكد سعيه بجد لتحقيق مشروعه المذكور، وقد أشارت إلى هذا النبأ عدة جرائد فرنسية.[456]

لكن سليمان بن قدور بحكم معرفته بالسياسة الفرنسية وخداعها، تصرف في الاتجاه المعاكس لمشروع أورديڤا، فهاجم القوات الفرنسية والقبائل الموالية لهم، واجتمع مع الشيخ بوعمامة قصد توحيد المقاومة، وهذا ما جعل السفير الفرنسي يتميز غيظا ويخطط للانتقام منه وكان له ذلك.

فشل زعماء أولاد سيدي الشيخ الثلاثة في توحيد مقاومتهم، لأسباب كثيرة منها ما هو شخصي، ومنها ما يعود إلى التنافس القديم على الزعامة الروحية بين فروع أولاد سيدي الشيخ، ومنها العداوات المتوارثة بين القبائل التابعة لهم، ومنها الأيدي الخفية للسلطات الفرنسية التي كانت تعرف كيف تثير الأحقاد من مكامنها.

عندما فشلت محاولة الحاج عبد السلام الوزاني الثانية للإتيان بزعيمَيْ الغرابة والشراقة سليمان بن قدور وقدور بن حمزة إلى حضرة السلطان أصبح سليمان بن قدور- بالأخص - عبئا ثقيلا على الدولتيْن المغربية والفرنسية، ولم يبق من حل إلا التخلص منه، وأصبحت تصفيته هدفا للسلطتين.

كُلِّفَ عبد الملك السعيدي عامل وجدة بالإعداد لها وتنفيذها بواسطة عملاء وأعوان داخل المنطقة وخارجها[457]، ولم تكن يد أورديڤا بعيدة عن حبك المؤامرة، ويظهر دور السعيدي عامل وجدة من خلال فحوى رسالة السلطان مولاي الحسن إليه:

---

[456] - Le rappel, journal, du 16 juin 1883.N° 4845.
- L’univers, journal, du 15 juin 1883, N° 5687.
- La justice, journal, du 16 juin 1883, N° 1248.
- Le XIXe siécle, journal, du 16 juin 1883, N° 4183.

[457] الهلالي وبنعلي، فجيج والمخزن(م-س) ص 146.

"الطالب عبد الملك السعيدي

وصل كتابك معلما بما صارت إليه عاقبة الفتان سليمان بن قدور من وهمه وتبديد جمعه الفاسد، ولم يبق معه إلا النزر اليسير من إخوانه ومن الشراقة، وإنك بصدد الخروج لطرد المذكور من ناحية الظهرا... وصار بالبال، أما بصدد خروجك لطرد الفتان (أي سليمان بن قدور) فلتجعله نصب عينيك."[458]

اغتيال سليمان بن قدور

في 1883/8/19 استدعت قبيلة آيت بوشاون (في ناحية تالسينت) سليمان بن قدور لمأدبة غداء فجاء في اثني عشر نفر من أتباعه، وأثناء المأدبة نفذت خطة الاغتيال التي كانت معدة له، فقتل سليمان بن قدور وقتل معه ثلاثة من أصحابه وفر التسعة الباقون منهم[459].
عاش هذا الزعيم حياة مضطربة، وأنهاها نهاية مأساوية.

---

[458] أحمد مزيان، فجيج (م-س) ص 492.

[459] محمد ابن الطيب البوشيخي أولاد سيدي الشيخ (م-س)ص:350/349.

- Le XIX siecle, journal du vendredi 12 octobre 1883,N°4300.p. 2.

مواقف سليمان بن قدور وتناقضاتها

السنة	الموقف
1864-1860	**مقاوما إلى جانب عمه الشيخ بن الطيب.**
1867-1864	**مقاوما مستقلا.**
1868-1867	**مقاوما مع أحمد بن حمزة زعيم الشرافة.**
1867/12/16	**استسلامه لفرنسا وتعينه قائدا لقبائل و قصور دائرة البيض.**
1870/7/28	**ترقيته لمنصب آغا حميان و قبائل الجنوب.**
1871-1868	**العمل في خدمة السلطات الفرنسية.**
1871/12/19	**عزله من منصبه، و فرض الإقامة الجبرية عليه.**
1873/4/12	**فراره - من إقامته الجبرية - إلى المغرب*.**
1876-1873	**مقاوما للاحتلال الفرنسي في الجنوب الشرقي المغربي.**
مارس 1876	**وساطة مولاي عبد السلام من أجل استسلام بن قدور للسلطان.**
1881-1876	**دخوله في طاعة السلطان و استقراره بين فاس و مراكش.**
1881/6/12	**هروبه من فاس إلى المنطقة الشرقية*.**
1883-1881	**زعامته لأولاد سيدي الشيخ الغرابة في مقاومة الاحتلال.**
1883/8/19	**اغتياله من طرف آيت بوشاون شرق تالسينت.**

** يلاحظ عند المقارنة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري، أن بن قدور كان يترقب منتصف الشهر الهجري - عندما يكون القمر بدرا – فيقرر فراره، حتى يستطيع المشي ليلا والكمون نهارا، وبذلك يتجنب عيون الرقباء، وضمان النجاة.

فعل هذا عند فراره من الجزائر(12 صفر 1290هـ)، ثم كرر ذلك عند فراره من فاس (14 رجب 1298هـ)

4- علال بن الشيخ بن الطيب

أصغر أبناء الشيخ بن الطيب ورث مشيخة الزاوية الشيخية الغربية، والزعامة السياسية للغرابة منذ أن سقط أخوه معمر شهيدا في معركة النفيش في 1874/6/13 إلا أن حضور ابن عمه سليمان بن قدور كان يهيمن بقوة شخصيته عليه، فلم يباشر مسؤولياته إلا بعد أن تعرض ابن عمه المذكور لعملية الإغتيال، وترك له تبعات ثقيلة، ومواقف متناقضة مع المخزن، ومع أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ومع السلطات الفرنسية المجاورة والمتربصة بأهل الحدود، ومع العديد من قبائل المنطقة، ورغم ذلك فقد كان علال بن الشيخ مؤهلا لرأب الصدع مع الجميع، فقد عُرِفَ بالحكمة والمسالمة وبُعْدِ النظر، وبدأ فعلا بلملمة أطراف أتباعه الذين شتتتهم حادثة اغتيال سليمان بن قدور سنة 1883، وحاول الاتصال بعامل وجدة لاستدرار عطف السلطان الذي أغضبته الأحداث التي شهدتها المنطقة بفعل تعدد زعامات أولاد سيدي الشيخ، كما جاء في رسالة الملك أعلاه، إلا أن مولاي الحسن كان قد قرر الضرب على أيدي أولاد سيدي الشيخ، فاستدرج زعماء الغرابة وأعيانهم إلى أن ألقي عليهم القبض سنة 1885، وهم أربعة وأربعون فردا[460]، فأرسلوا مقيدين إلى سجن قارة بمكناس حيث قضوا تسع سنوات سجنا، مات أغلبهم فيه، ولم يبق منهم إلا أربعة أشخاص عفا عنهم السلطان مولاي عبد العزيز سنة 1894 عندما تولى الملك بعد وفاة أبيه مولاي الحسن.

نجا علال بن الشيخ وثلاثة من رفاقه من دخول السجن[461]، إذ نصحهم – وهم في طريقهم إلى فاس - أحدُ رجال المخزن الذين كانوا يسوقون أعيان أولاد سيد الشيخ إلى السجن، باللجوء إلى ضريح المولى إدريس، وأعانهم على ذلك، فاستجاروا بالضريح المذكور، وبقوا في حماه حتى وجدوا من ينقلهم سرا إلى وزان، مقر شيخ الزاوية الوزانية التي كان ينتمي إليها أعيان أولاد سيدي الشيخ

---

[460] Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, p. 10.
[461] ibid, p. 10.

الغرابة. بقي علال بن الشيخ بهذه الزاوية إلى حين صدور العفو الملكي في حقه سنة 1887، فعاد إلى المنطقة الشرقية، واستطاع بحكمة وروية جمع شتات القبيلة وإعادة بنائها من جديد.

بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، وتولي مولاي عبد العزيز، وبتدخل من الحاجب الملكي بَّا احماد، ومولاي العربي بن عبد السلام شيخ الزاوية الوزانية، وحمو الدراوي باشا مكناس[462]، أطلق سراح السجناء من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، كما استعاد علال بن الشيخ بن الطيب مكانته لدى المخزن، واستطاع هذا الزعيم أن يعود بقبيلته في شرق البلاد إلى سالف عهدها بين قبائل الجوار، ويجلب لها عطف السلطان، الذي قلده قيادتها، وأسبغ عليه ظهائر الرضى والاحترام والتوقير، كما أصبح علال بن الشيخ من بين القواد المرموقين في المنطقة الشرقية الذين اعتمد عليهم السلطان مولاي عبد العزيز في دحر الفتنة التي أحدثها الجيلالي الزرهوني المدعو "الروگي بوحمارة" وشارك علال بن الشيخ بأتباعه في الصراع الذي دار بين المخزن وبوحمارة على أبواب وجدة ونواحيها سنة 1903.

في 1903/4/26 عينه السلطان مولاي عبد العزيز قائدا لقبائل: أولاد سيدي الشيخ، وأولاد سيدي علي بوشنافة، وأولاد سيدي محمد بن أحمد، وبهذه الصفة كان ينسق المأموريات مع الحاجب والمفوض الملكي أحمد الركينة، والعامل الملحق عبد الرحمان بن عبد الصادق، وعامل وجدة أحمد بن كروم الجبوري، وله عدة مراسلات معهم.

بطلب من شيوخ بني مطهر[463] وصلت في 1904/2/28 بعثة عسكرية تحت قيادة القبطان تولا(Toulat) - نائبا عن القبطان دوجانشي (De Jonchay) حاكم المشرية - إلى عين بني مطهر، قصد إبرام عقد تستقر بموجبه حامية مختلطة من عناصر مغربية

---

[462] Ibid, p.10.

[463] سبق لأعيان بني مطهر والمهاية في جوان 1859 أن أعربوا للقبطان دو كولونيو حاكم البيِّض، عند مروره بماقورة قرب الحدود، عن رغبتهم في استقرار القوات الفرنسية برأس العين (بركنت) انظر:

Revue Africaine, N° 294, 1er trimestre, p.342

وجزائرية بعين بني مطهر تحت مسؤولية ضابط فرنسي قصد حماية السكان من أي اعتداء عليهم يقوم به أتباع الروگي.

وقَّع على هذا العقد القبطان تولا عن السلطات الفرنسية، والقائد علال بن الشيخ بن الطيب عن السلطات المغربية، وخمسة من شيوخ بني مطهر يمثلون القبيلة، واثنان من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وآغا قبيلة حميان (بالمشرية)[464].

في 1904/6/18 سلم شيوخ بني مطهر قصبة القائد الحاج بوبكر المهياوي التي كانت دار المخزن إلى الرائد هنريس (Henrys) فأتخذها مقرا للشرطة العسكرية، و في آخر هذا الشهر قَدِمَ الجنرال ليوطي[465] (Lyautey) لتفقد قواته بعين بني مطهر التي أصبحت منذئذ تسمى "بركَنت"، واعتُبِرَ هذا التمركز احتلالا تبعه مباشرة احتلالُ وجدة في 1907/3/29 ولم تلبث أن أعلنت الحماية الفرنسية على المغرب في 30 مارس 1912.

في 1908/3/21 تمت ترقية علال بن الشيخ إلى منصب آغا بركَنت، فكان بذلك مؤسسا لقرية بركَنت (عين بني مطهر حاليا) إلى جانب الجنرال ليوطي، وبقي في منصبه إلى حين وفاته بسايس بين فاس ومكناس سنة 1922 عندما كان في زيارة ابن أخيه القائد الشيخ بن النعيمي.[466]

يصف حاكمُ بركَنت - في 1908 - علال بن الشيخ قائلا:

" يتمتع (علال بن الشيخ) بنفوذ روحي، ولكنه غير مكترث بالسعي في توسعته وتقويته، ومنذ التحاقه بالعمل من أجل قضيتنا، لم

---

[464] Lieutenant Gaquière, Berguent (Ras-el-Ain), P. 44.

[465] إزداد المرشال ليوتي بنانسي سنة 1854 وتوفي سنة 1934 بالرباط، ودفن بوصية منه بباب زعير قبالة شالة، وفي ماي 1961 نقل جثمانه بأمر من الجنرال ديكول إلى مقبرة الخالدين بباريس ودفن بجوار ضريح نابليون، وقد نقشت على ضريحه كلمات طالما رددها **" كلما زدت في عِشْرة المغاربة، ومهما أطلت العيش بهذه البلاد، ازددت اقتناعا بعظمة هذه الأمة"**.(محطات في تاريخ المغرب، عبد الحق المريني، ص 94.)

[466] الشيخ بن النعيمي بن الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب، عينه السلطان مولاي يوسف سنة 1914 قائدا لأولاد سيدي الشيخ المستقرين بسايس، وهؤلاء هم الذين تم ترحيلهم سنة 1876 من المناطق الشرقية إلى نواحي فاس. كما كانت عدة قبائل مجاورة تابعة لقيادته منها أولاد سيدي علي بن يحيى، ودخيسة، والاغواط، والرزيقات، والمهاية وغيرهم.

يُظهر في عمله إلا الاهتمام بمصالحه الشخصية، ولم يَبدُ منه أي إخلاص يكون نتيجة التعاطف معنا أو الميل إلينا. فهو مكتف بنخوته إلى حد الغرور، يَعدُ كثيرا ولا يبالي بإنجاز ما يَعد، ورغم ذلك فهو وسيط مُفيد، وأحيانا شخص لا غنى لنا عنه عندما يتعلق الأمر بعلاقاتنا مع قبائل الغرب.

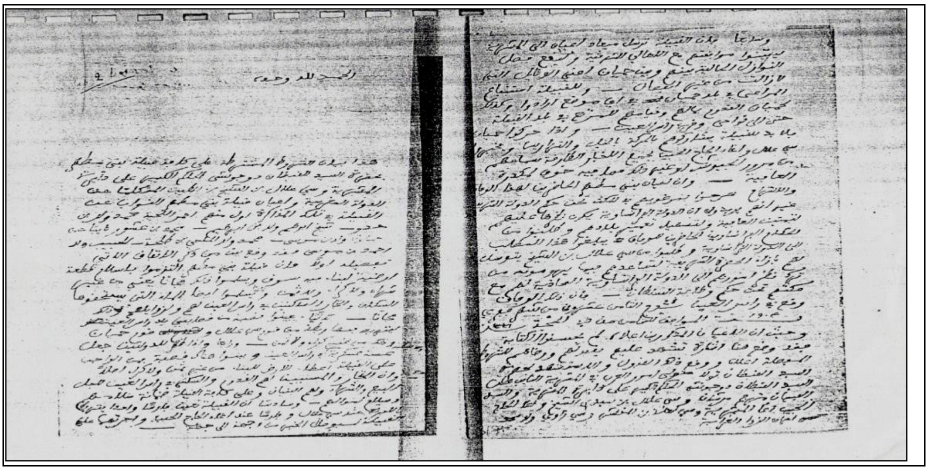
إن الاستعانة به لا تكون دائما فعّالة، ولا بالكيفية المرجوة منه والمستطاعة لديه، ولكن استفزازه واستثارة عداوته أمر- لا محالة - مزعج ومحرج **"**

بعد احتلال منطقة عين بني مطهر اسقطت السلطات الفرنسية اسم **أولاد سيدي الشيخ الغرابة،** وأطلقت رسميا عليهم مكانه اسم **أولاد سيدي عبد الحكم** بقرار من الحاكم العام للجزائر في 1907/10/14، وعيِّن محمد الطيب الابن البكر لعلال بن الشيخ بن الطيب قائدا للقبيلة.

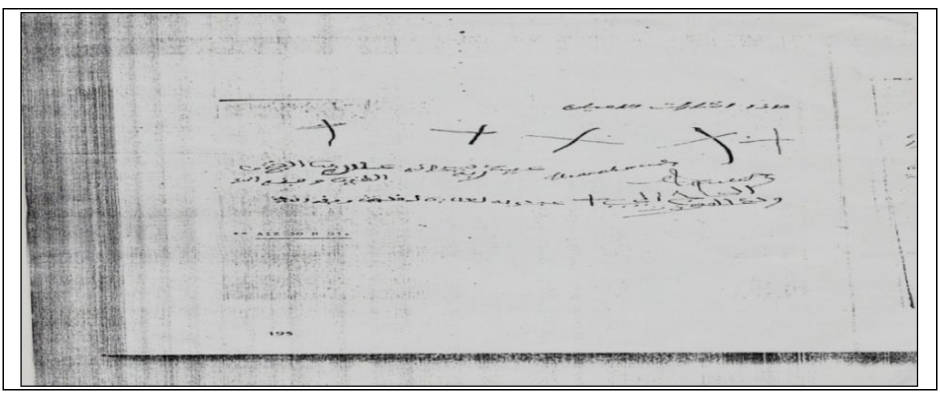
واستبدال اسم أولاد سيدي عبد الحكم بأولاد سيدي الشيخ الغرابة قرار سياسي كان يقصد منه محو الرمزية التاريخية التي صنعها هذا الإسم، وإفراغه من حمولته الجهادية حيث اقترن لديهم إسم أولاد سيدي الشيخ باسم المقاومة والتصدي للغزو الفرنسي والوقوف أمام أطماعه التوسعية.

ثلاث رسائل مختلفة المواضيع توثق دور علال بن الشيخ في المنطقة:

1- <u>الاتفاقية المبرمة بين أعيان بنى مطهر والسلطة الفرنسية</u>



الحمد لله وحده



ذُيلت المعاهدة بخمس إشارات هي توقيعات أعيان بني مطهر.
توقيع علال بن الشيخ: عبيد ربه سبحانه علال بن الشيخ بن الطيب وفقه الله.
محمد الزاوي وقع بالفرنسية: mohamed ezaoui.
الحاج الحبيب وقع: الحاج الحبيب ولد المبخوت.
لعلى بن المقلش وقع: عبد ربه لعلا بن لمقلش وفقه الله.
(اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، تاريخ وجدة وأنجاد، الجزء الثاني، ص 144)

نص الإتفاقية:

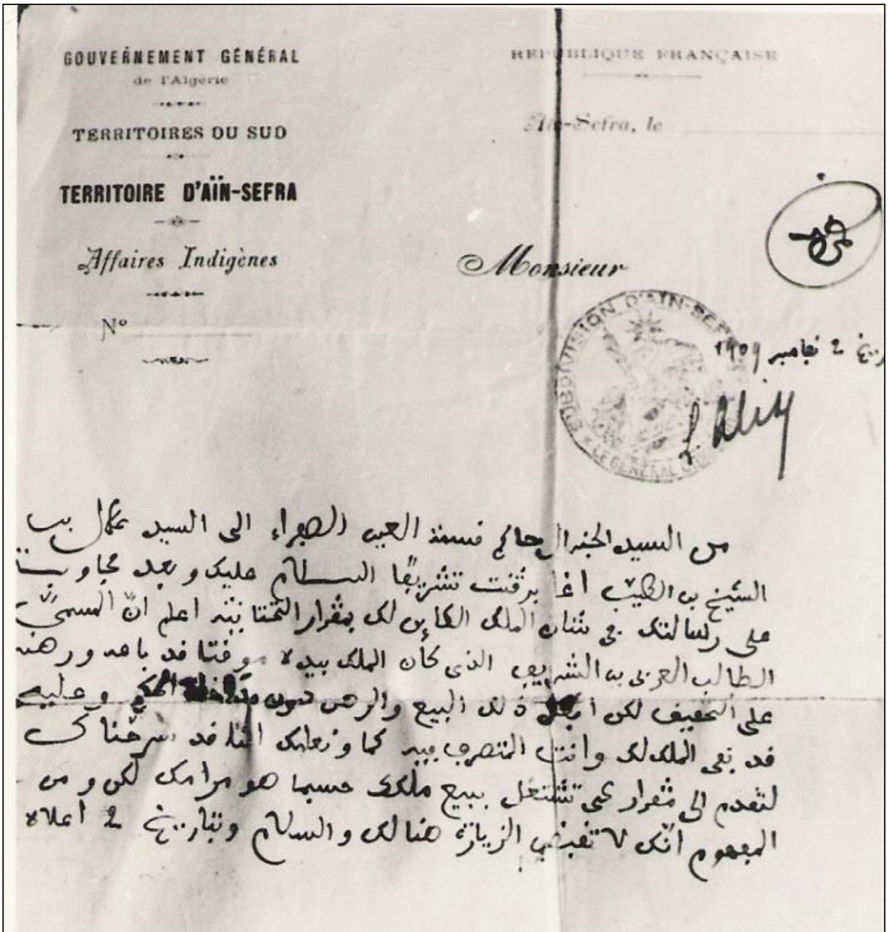
الحمد لله

هذا بيان الشروط المشترطة على كافة قبيلة بني مطهر، بحضرة السيد القبطان دوجونشي الحاكم الكبير على دائرة المشرية والسي علال بن الشيخ بن الطيب متكلما عن الدولة المغربية وأعيان قبيلة بني مطهر النواب عن القبيلة في تلك المذاكرة، أول منهم أحمر اللحية محمد ولد بن عدو- الشيخ ابراهيم ولد بن ابراهيم - محمد بن عاشور نائبا عن جلول ولد بن موسى – محمد ولد الماحي بن طلحة – الحبيب ولد أحمد بن موسى، فقد وقع بين من ذُكر الاتفاق الآتي تفصيله، أولا فإن قبيلة بني مطهر التزموا بإسلام قطعة أرضية لبناء فيه سوق ويسلموا ذلك مجانا يعني من غير شراء ولا كراء ولا ثمن، (ثانيا) ويسلموا أيضا الماء التي يستحقوها السكان والتجار الساكنين في رأس العين لهم ولزوايلهم وذلك مجانا- ثالثا يعينوا قصبة من قصابي بلاد رأس العين ليتربط فيها ربطة من قوم سي علال وقوم حميان وذلك من غير كراء ولا ثمن – ورابعا وإذا خطر للدولتين جعل عسة عسكرية في رأس العين وبنوا هناك قصبة فمن الواجب على القبيلة إعطاء الأرض للبناء من غير ثمن ولا كراء أصلا – (خامسا) 5 وأن التجار والمسببين لهم القدوم والسكنى في رأس العين لأجل البيع والشراء ولهم البنيان وعلى كافة القبيلة ضمانة سلامتهم وسلام أموالهم- وسادسا أن القبيلة تعين فارسا يتربط بالأجرة عند سي علال وفارسا عند أغاء الحاج الحبيب وأجرتهما على القبيلة ليوصلا الخبر من جهة إلى جهة –

وسابعا فإن القبيلة ترسل ميعاد أعيان إلى المشرية ليبينوا مرافعتهم مع الأهالي الشرقية وليقع فصل النوازل الحالية بينهم وبين حميان يعني الوتايل التي لا زالت من غير انفصال – وللقبيلة استنفاع المراعي في بلد حميان في أي موقع أرادوا وكذلك لحميان القدوم بمالهم وخيامهم للمرتع في بلد القبيلة حتى إلى نواحي وقرب رأس العين – وإذا حركوا حميان فلا بد للقبيلة يشاركوهم بالحركة بالخيل والتراريس ويخبروا سي علال وآغا الحاج الحبيب بجميع الأخبار الطارقة مسامعهم من مرور الجيوش أو غير ذلك مما فيه خوف لمكدرة العافية – وأن أعيان بني مطهر الحاضرين لهذا الوفاق والالتزام صرحوا بمرغوبهم في المكث تحت حكم الدولة الشريفة، غير أنهم يريدون أن الدولة الفرنساوية يكون نظرها عليهم لتمتين العافية ولتسهيل تعمير بلادهم وطلبــوا من الحكام الفرنساويين الحاضرين للوفاق يبلغوا هذا الطلب إلى الدولة الفرنساوية وطلبوا من سي علال بن الشيخ يتوسل لهم بإزاء الحضرة الشريفة لتساعدهم فيما يرومونه من ترك نظر أمورهم إلى الدولة المحاذية لهم مع مكثهم تحت حكم وطاعة السلطان – فإن ذلك الوفاق وقع في رأس العين يوم 28 الثامن عشرون من شهر فيفري سنة 1904 الموافق للثامن (11) من ذي الحجة سنة 1321هـ وحيث أن الأعيان المذكورين أعلاه لم يحسنوا الكتابة فقد وقع هنا إشارة تشهد عليهم بقبولهم ورضاهم للشروط المفصلة أعلاه ووقع ذلك القبول والاستشهد بحضرة السيد القبطان تولا متولي أمور العرب في المشرية النائب عن السيد القبطان دو

جونشي الحاكم الكبير على دائرة المشرية، والسيد الفسيان -مترجم مرشان (Marchand)، وسي علال بن سيدي الشيخ، وآغا الحاج الحبيب آغا المشرية، وسي لعلى بن المقلش، والسي زوي ولد محمد من أعيان الزوا الغرابة.

2- رسالة الجنرال حاكم العين الصفراء ردا على رسالة لعلال بن الشيخ بن الطيب يطلب فيها السماح له بزيارة أم قرار لمعاينة وتفقد ومراقبة أملاك أبيه الشيخ بن الطيب



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
de l'Algérie
TERRITOIRES DU SUD
TERRITOIRE D'AÏN-SEFRA
Affaires Indigènes
N°

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
Aïn-Sefra, le

Monsieur

في 2 نفامبر 1909

من السيد الجنرال حاكم قسمة العين الصفراء الى السيد علال بن
الشيخ بن الطيب اغا برقنت تشريفًا السلام عليك وبعد مجاوبة
على رسالتك في شأن الملك الكائن لك بقرار التحتاني اعلم ان المسمى
الطالب العربي بن الشريف الذي كان الملك بيده موقتا قد باعه ورهنه
على الضعيف لكن ابطل ذلك البيع والرهن دون مداخلة الحكم وعليه
قد بقي الملك لك وانت المتصرف فيه كما وعلمك ايضا قد سرحنا لك
لتقدم الى قرار كي تشتغل ببيع ملكك حسبما هو مرادك لكن ومن
المعلوم انك لا تغيب في الزيارة هنالك والسلام وتاريخ 2 اعلاه

(وثيقة في ملك المؤلف)

الجمهورية الفرنسية

منطقة الجنوب

منطقة العين الصفراء

شؤون الأهالي

تاريخ 2 نوفمبر 1909.

من السيد الجنرال حاكم قسمة العين الصفراء إلى السيد علال بن الشيخ بن الطيب آغا برڨنت تشريفا، السلام عليك، وبعد، مجاوبة على رسالتك في شأن الملك الكائن لك بمقرار التحتانية، اعلم أن المسمى الطالب العربي بن الشريف الذي كان الملك بيده مؤقتا قد باعه ورهنه على التحقيق، لكن أبطل ذلك البيع والرهن دون مداخلة الحكم، وعليه قد بقي الملك لك، وأنت المتصرف فيه كما ونعلمك أنا قد سرحناك لتقدم إلى مقرار كي تشتغل ببيع ملكك حسب ما هو مرامك، لكن ومن المفهوم أنك لا تقبض الزيارة هنالك. والسلام وبتاريخ في أعلاه.

نستخلص من هذه الرسالة أن قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة (المغاربة) هُجِّرُوا من أراضيهم وقراهم، فتعرضت ممتلكاتهم للإهمال، فاضطروا إلى ترك من ينوب عنهم في حراستها وتسيير شؤونها، وبعد وفاة الشيخ بن الطيب واستشهاد بقية أبنائه، بقي ابنه الأصغر علال بن الشيخ بن الطيب وكيلا عن عائلته في حفظ ممتلكاتها، ولما بلغه نبأ محاولة بيع أملاكه ورهنها بأم قرار التحتانية،

بعث بطلب إلى الجنرال حاكم العين الصفراء للسماح له بالقدوم إلى عين المكان للاطمئنان على ممتلكاته، فأجابه بالرسالة أعلاه مؤكدا له أن المسمى الطالب العربي بن الشريف الذي كان قيِّما على تلك الأملاك قد حاول - فعلا - بيعها ورهنها، ولكن المحاولة أبطلت دون تدخل من السلطة، ولبَّى الجنرال رغبة علال بن الشيخ بالسماح له بالقدوم إلى أم قرار للوقوف على شؤون ممتلكاته بشرط أن لا يقبض الزيارة (أي لا يأخذ الهدايا والمستحقات من أتباع ومريدي الزاوية الشيخية الغربية التي هو شيخها بالوراثة).

كانت السلطات الفرنسية تتحرج من العلاقات التي لا تزال تربط بين قبائل الجنوب الشرقي المغربي وأصولها، رغم الفصل الحدودي الذي فرقهم بموجب معاهدة لالة مغنية، وكانت ترى بعين الريبة إلى ذلك التواصل الوثيق الذي لا يُعِيرُ الحدود الرسمية اعتبارا، فحاول الجنرال منع شيخ الزاوية من قبول تبرعات مريديه التي هي احتفاء بمقدمه، ولكنها في نظر سلطات الاحتلال تعبير صادق عن هويتهم المغربية وانتمائهم للزاوية الغربية، وتشبثهم بشيخهم الذي هو في الوقت ذاته ممثل لسلطان المغرب الذي لا تزال بيعتهم له في أعناقهم.



علال بن الشيخ بن الطيب
(1922-1862)
صورة في ملك المؤلف)

3- رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى أولاد سيدي الشيخ إبان الأحداث التي أثارها الروقي "بوحمارة" في المغرب الشرقي



رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى أولاد سيدي الشيخ،
وهي نسخة من الرسالة الملكية التي بُعثت إلى جميع قبائل الحدود الشرقية
وقد بُعثت نسخة منها إلى قبيلة حميان بواسطة علال بن الشيخ بن الطيب
بصفتها قبيلة مغربية كما حددتها معاهدة لالة مغنية.
(رسالة السلطان إلى أولاد سيدي الشيبخ، ورسالته إلى حميان، وثيقتان في ملك المؤلف)

خدامنا الأرضين المرابطين الأخيار أولاد السيد الشيخ وأعيانهم وكبراءهم وفقهاءهم وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد علمتم أن أساس الإيمان والإسلام هو الانقياد لطاعة الله ورسوله، وطاعة الإمام الذي قلدكم الله تعالى عهد بيعته، وفرض عليكم إعانته، والإذعان لخدمته، لقوله صلى الله عليه وسلم من أطاع أميري فقد أطاعني، وأوجب عليكم سبحانه صيانة دينكم باتباعه وتعظيم حرمته، وإعانة أنصاره وأتباعه، وذلك في الحقيقة كله رحمة ولطف من الله سبحانه بعباده المؤمنين، حتى لا يبقوا فوضى،

ولا يظهر فيهم من البغي والمخالفة ما لا يرضى، وتبقى ديانتهم محفوظة، وحرماتهم بعين الرعاية ملحوظة، ويكونون ذاتا واحدة في التألف على الطاعة والنصيحة، والإتفاق على الصلاح والإستقامة بنية صحيحة، وشد عضد بعضهم بعضا على سر طاعة الإمام في إعلاء كلمة الله حتى لا يدخل في دينهم وإيمانهم خلل ولا اشتباه لأن اتفاق المؤمنين على ذلك هو عين اللطف من الله والرحمة، والمخالفة والتنافر هما موجب المؤاخذة من الله والنقمة، قال تعالى ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ونحن منذ قلدنا الله أمركم، وأودعنا ذمتكم، مستعينون بالله في حفظ مصالحكم، ورعايتكم، لقوله صلى الله عليه وسلم أيما عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بما يحوط به نفسه لم يرح رائحة الجنة، ونحتسب لله تعالى أمر اهتمامنا بكم وبغيركم من رعيتنا السعيدة في القيام بحفظ مصالحكم وضبط نظامكم، ورجاء الخير من الله لكم، في المعاش والمعاد، والاجتهاد في كل ما يرضي الله من صيانة الدين، وإعزاز كلمة الله، والتحفظ على سنة رسول الله، والحض على الاقتداء بكتاب الله على الوجه الذي لكم فيه الرفق والشفقة، وتكون نيات أهل الإيمان على محبته متفقة، لقوله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق اللهم به، وطالما بصرناكم في هذا كله اعتقادا منا فيكم أنكم لا تجهلون قدر هذه النعمة، ولا ترضون ارتكاب شيء يسود صحيفتكم مع الله ورسوله، لكونكم قطرا من أقطار المسلمين، وقبيلة معروفة

بصدق الطاعة والتمسك بالإيمان والدين، حتى أن الظن الذي عندنا فيكم هو أنكم لا تحتاجون في شد عضد المخزن لزيادة تنبيه، وعلى تقدير لو ظهر في تلك النواحي فساد لكفيتم الأمر فيه، عملا بما أوجبه الله عليكم سرا وجهرا، وتطهيرا لصحيفتكم مع الله دنيا وأخرى، واتباعا لأثر أسلافكم مع أسلافنا الكرام، في المحبة والتمسك بالصلاح والطاعة التي هي في الحقيقة طاعة الله وطاعة رسوله، حتى أنه صلى الله عليه وسلم قال من فارق الجماعة قيد شبر ثم مات مات ميتة جاهلية، وفي رواية لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، لكون بيعة الإمام كما تعلمون هي الأساس في قبول الديانات، وحفظ دعائم الإسلام وصيانة الأنكحة، وتصحيح العقود، وتحصين الشريعة، ومنع الحرمات من الانتهاك، وصون الأعراض والنفوس والأموال، والمحافظة على الحقوق، وتأمين الطرقات والقوافل وغير ذلك من أمور الديانات التي يتمسك المؤمنون بحبلها، ولا عذر لهم عند الله بتركها أو جهلها، لأنها صارت من ضروريات الدين، ومن الطرق الواضحة في اتباع سنة سيد المرسلين، وقبيلتكم عندنا وعند أسلافنا معمورة بأهل الصلاح والفقهاء وأهل الزوايا المحترمة، وذوي الأقدار المعظمة، فكيف تجهلون هذا القدر، ويحدث فيكم ما يخالف هذا الأمر، فمن العجب أن يكون منكم اتفاق على ما يرضاه الله ورسوله لقوله صلى الله عليه وسلم أمتي لا تجتمع على ضلالة، وحتى لو حدث شيء من هذا في بعض العامة الذين لا يسمعون رشدا، ولا يفهمون قولا، فأهل الصلاح والخير والدين من عقلائكم ينهونهم ويكفونهم إرشادا وقياما بواجب

النصيحة التي هي معظم الدين، فكيف يغفلون عنهم أو يساعدونهم على ما فيه قدح في الإيمان، وإحداث للفساد في الأرض والعدوان، وقد حكى الله تعالى في كتابه المبين أن هلاك الأمم السالفة إنما كان بسبب الإعراض وترك التحذير وعدم النهي عن المناكر، فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون، ولما حدث في تلك النواحي ما حدث من وسوسة الفتان الزرهوني وأشكاله، ظننا أنكم لا تحتاجون للتأكيد في مدافعته عنكم والسعي في حسم دائه، وتطهيركم من بلائه، ومع ذلك جددنا لكم أمرنا الشريف مرارا بما هو الواجب عليكم وعلى إخوانكم المؤمنين، ووجهنا من شريف حضرتنا من يخيم عندكم بمددنا السعيد مع حركتكم لتعلموا أنكم عندنا في مقام الإعتناء والإهتمام، وتعرفوا ما نريده بكم من السعادة والمحافظة وإعلاء كلمة الإسلام، لأن ذلك كله إنما مقصودنا به إبقاؤكم في جلباب الستر والهناء والأمن والعافية، والرفق والصيانة، حتى لا تصلكم يد جائر ولا يختل نظامكم بفتنة فتان ولا بسحر ساحر، وتبقى حرماتكم ومصالحكم مرعية، وعقائدكم على المحبة والصلاح منطوية، فمن الواجب عليكم أن تكونوا أحرص الناس على محبة المدد وإعانته، لأنه ما توجه إلا لحفظ جنابكم ممن يسعى في إذايته، وبعدما بلغنا عنكم كثرة القيل والقال لم نصدق بذلك لأن نيتنا فيكم كنية سلفنا الصالح الذين كانوا يعدونكم جيشا من جيوش الإسلام، وأعوانا على صدق الخدمة والطاعة في الضعن والمقام، لكن حيث كثر التشويش والتشكيك جددنا لكم هذا الكتاب تبصرة للغافل، وتنبيها لكل مؤمن

عاقل، وعينا مددا كافيا للتوجه إليكم بقصد التدارك لكم صحبة حاجبنا الطالب أحمد الركينة ومن معه ليخيم وسطكم ويصون حماكم، ويرعى ذمتكم ويذب عنكم، فنأمركم أن تراجعوا نفوسكم وتنظروا في عاقبة أمركم، وفي ما ينجيكم مع الله دنيا وأخرى وتجمعوا كلمتكم على الصلاح والرشاد و تكونوا يدا واحدة في قطع دابر الفساد وتستبشروا بالمدد الذي نعينكم به رعاية لكم وصيانة لمصالحكم وجبرا لأحوالكم وتقابلوه بالمحبة المعهودة والسيرة المحمودة وتقوموا بالواجب عليكم في تسكين الروعة وطرد الفساد وعدم الإصغاء لذوي الوسوسة والعناد واتباع سبيل المؤمنين في العض على عهد الطاعة بالنواجذ والتمسك بالصدق والمحبة التي يتوسل إلى الله بها كل راكع وساجد وإذا حصل لكم ضرر من أحد اعلموا شريف جنابنا نرفعه عنكم ولا نوافق إلا على من فيه صلاحنا وصلاحكم فإنا نحسبكم منا والينا وتحت لوائنا وظلنا لا نفوتكم ولا نترك أحدا يؤذيكم ولا نرضى حدوث فساد في نواحيكم ورجونا أن يلهمكم الله مسلك التوفيق ويرشدكم لأقوم طريق وها نحن في انتظار ما نسمعه عنكم من السبق إلى تحصيل مزية الامتثال التي تعود بركتها عليكم و على أولادكم في الحال والمآل ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم والسلام. في ثالث وعشر محرم الحرام عام 1321.

خلاصة

انطلقت المقاومة المغربية للغزو الفرنسي بإطلاق أول رصاصة في وجهه يوم 1843/3/30 بسبدو (ناحية وجدة) على الحدود المتوارثة بين الإيالة المغربية والإيالة التركية، ثم استمرت بالجنوب الشرقي بعد معركة إيسلي ومعاهدة لالة مغنية، مع مقاومة أولاد سيدي الشيخ بزعامة الشيخ بن الطيب في أول معركة لهم ضد القوات الفرنسية يوم 1845/5/2 بالمكان المسمى الشْريعة، وانتهت يوم 1934/4/23 في غرب المغرب[467] بآخر معارك آيت خباش وآيت حمو وآيت باعمران على شاطيء المحيط الأطلسي، وكان على أكبر قوة عسكرية عالمية إذاك أن تقضي 91 سنة (ما يناهز القرن) لقطع مسافة تقارب 800 كلم، أي بنسبة 8 كيلومترات في السنة! وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على شجاعة المغاربة، ووقوفهم سدا منيعا أمام الغزو الفرنسي الذي بدأ هجومه سنة 1843 بالسلاح التقليدي، وانتهى سنة 1934 باستعمال الدبابات والطائرات والغازات السامة.

تُعتبر مقاومة الشيخ بن الطيب أول تعبير مغربي عن رفض بنود معاهدة لالة مغنية التي فرضتها فرنسا على المغرب بالقوة بعد انتصارها في معركة وادي إيسلي فاقتطعت بموجبها الأراضي المغربية وألحقتها بالأراضي الجزائرية وأطلقت - مباشرة - بعد ذلك حملات عسكرية متعددة[468] لاحتلالها وتطويع أهلها أو تهجيرهم منها، وفرض الأمر الواقع عليها.

إن ما دأب عليه المؤرخون المغاربة من جعل احتلال فجيج سنة 1903 وعين بني مطهر(بركْنت) سنة 1904 هو بداية احتلال المغرب إجحافٌ بحق المقاومين المغاربة الذين تصدوا للغزو الفرنسي قبل

---

[467] ربيعة سحنون، المجاهد الصوفي أبو الشهداء، مجلة قوت القلوب، العدد 6/5، غشت 2015، ص207.

[468] بلغ تعداد الحملات العسكرية التي شنت على أولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم أكثر من عشر حملات، وهي مفصلة أعلاه كما وجدناها موثقة، والحملة العسكرية كما هو معلوم خاضعة لنظام يحدد ـ مسبقا ـ مكانها وأهدافها وتوجيهاتها وما يلزمها من عدد وعتاد وميزانية. ولم نتتبع ذكر المواجهات المتكررة، والهجمات المباغتة على المخيمات والواحات وما أكثرها، فهذه الأخيرة لا تدخل في عداد الحملات.

ذلك التاريخ بستين(60) سنة أي منذ 1843، وإنكارٌ لتضحياتهم التي قدموها دفاعا عن الأراضي المغربية التي اقتطعتها ظلما معاهدة لالة مغنية، والأراضي التي ضمتها بعد ذلك إلى الأراضي الجزائرية بشكل توسعي وتعسفي، والتي قدَّم أصحابُها تضحياتٍ جساما دفاعا عن مغربيتهم ومغربية أراضيهم[469].
فأين يُصنف هؤلاء المجاهدون؟ وتحت أي نعت توضع تضحياتهم؟
" فهل نتنكر لرجال شنقيط وتوات لا لسبب سوى أن المستعمر اغتصب من أرض المغرب الشاسعة أقاليم فسيحة ضمها في وقت من الأوقات إلى مستعمراته أو اصطنع لها كيانات حسب أغراضه وشهواته؟ "[470]

هل ننكر تاريخيا هؤلاء المغاربة ومقاومتهم لحملات الجيوش الفرنسية الغازية التي قامت بالمجزرة تلو المجزرة لترهيب آمنهم، وتشريد ساكنهم، وهدم ديارهم، وتخريب ممتلكاتهم، وقد اعترف بذلك قادتهم في كتاباتهم الموجودة كشاهد لا يقبل شكا ولا تأويلا ؟.

اذا كان الاحتلال اقتطع الأراضي المغربية وألحقها بالجزائر، فهل نسمح لأنفسنا باقتطاع مرحلة من مراحل تاريخنا بزمانها وأحداثها وأراضيها وأشخاصها وشهدائها وأمجادها لنلحقها بأرض النسيان؟

لقد أبلى المغاربة كلهم البلاء الحسن في الذود عن وطنهم، وبرهنوا عن حمية صادقة، وبسالة نادرة، جعلت - على سبيل المثال - القبطان الطبيب جون فيال (Jean Vial) ينبهر بشجاعتهم ولا يفتأ في صفحات كتابه " المغرب البطولي" يتحدث ويكرر الحديث عن بطولاتهم واستماتتهم رجالا ونساء في الدفاع عن وطنهم ودينهم. ويتعجب من استهانتهم بالموت صونا لكرامتهم، وقد رافق هذا الطبيبُ الحملةَ العسكرية الفرنسية منذ انطلاقها من نواحي وجدة في اتجاه الغرب لاستكمال احتلال المغرب، إلى أن أنهت مهمتها في

---

469 انظر بتفصيل: أحمد العمري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب.

470 عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، (م- س) الجزء الأول، ص 8.

الجنوب الغربي، وشَهِدَ كل المعارك التي وقعت بين بداية الغزو ونهايته[471].

يقول الجنرال أوكَيستان كَيوم(Augustin Guillaume) [472] :

"ليست هناك قبيلة (مغربية) استسلمت لنا بدون مقاومة، وإنما كان استسلام الثلاثمائة والأربعين قبيلة بعد هزيمتهم في المعركة"[473].

وما كانت هزيمة هذه القبائل - شرقيها وغربيها - إلا غلبة أمام العدة والعتاد المتطوريْن الذيْن أخضعت بهما فرنسا شعوب إفريقيا وبعض شعوب آسيا.

إن مراجعة تاريخ المغرب تقتضي من المؤرخين أن ينصفوا كل هذه القبائل وأن يعطوا كل ذي حق حقه، فقد وحدتهم ذات يوم مقاومتهم للغزو الأجنبي، ويجمعهم اليوم وغدا وإلى الأبد هذا التاريخ المشترك الذي يجب أن لا يُهضَم فيه حق، ولا يُقْصَى فيه وطنيٌ مخلص قدم تضحية مادية أو معنوية، صغيرة أو كبيرة.

إن ندرة الكتابة عن استشهاد وجرح المئات بل الآلاف من المجاهدين طيلة سنين مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة[474] بل

---

[471] Jean Vial, Le Maroc Héroïque, p.270.

[472] الجنرال أوكَيستان كَيوم ولد سنة 1895م وتوفي سنة 1983م، من بين أشهر ضباط الحرب العالمية الثانية، عين في 1951 مقيما عاما للمغرب، وباتفاق مع الحكومة الفرنسية قرر كَيوم في 1953/8/20 تنحية الملك محمد الخامس عن العرش، وبعد التردد الفرنسي في سياسته تجاه مطالبة المغرب بالاستقلال، أقيل كَيوم من منصبه سنة 1954. شارك قبل ذلك في معارك الغزو الفرنسي للجنوب المغربي، قال الكلمة المترجمة أعلاه بعدما خَبَرَ شراسة المقاومة المغربية، وشاهد شجاعة وإقدام المقاتل المغربي في جبال الأطلس والصحراء:

« **Aucune tribu n'est venue à nous sans avoir été préalablement vaincue par les armes** ».

[473] A. Guillaume, les berbéres marocains et la pacification de l’atlas central, p.73.

وانظر: عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ص 221-242.

[474] استشهد 600 مقاوم في ثلاث معارك واجهوا فيها حملة الجنرال ويمفن التي استمرت شهرا واحدا، حسب ما سجله تقرير الحملة، والله وحده يعلم كم سقط من شهيد طيلة مقاومة الشيخ بن الطيب التي دامت 25 سنة. انظر التقرير عن حملة ويمفن:

Michel Lihoreau, L’éxpédition Wimpffen, p.30-49

انعدامها من الطرف المقاوم تجعلنا عاجزين عن معرفة أسماء الشهداء والجرحى والمفقودين وأعدادهم، وانتصارات المقاومين، وأسباب هزائمهم، وخسائر العدو، وأعداد قتلاه وجرحاه ومَرْتَباتهم العسكرية، كما أن إحصاء ممتلكات المجاهدين وأموالهم الضائعة والمسلوبة بقيت مبهمة إلا ما احتفظت به ذاكرتهم، والتي ذهبت مع ذهاب كبارهم، ولذلك فنحن نقتصر على ما تسمح به الكتابات الفرنسية، بكل ما تحمله النظرة الأحادية من خصائص ونقائص، منها الاقتصار – لدى بعضهم - على نصف الحقيقة أو تبديلها أو طمسها.

إن من بين الآثار التي خلفتها المقاومة على أولاد سيدي الشيخ الغرابة:

- اقتطاع أكثر من 9 قرى مغربية كان يسكنها أولاد سيدي الشيخ المغاربة وإلحاقها بالجزائر(الأبيض، بوسمغون، الشلالة الظهرانية، والشلالة القبلية، الصفيصيفة، تيوت، وعسلة، أم قرار الفوقانية وأم قرار التحتانية ...الخ)

- اقتطاع أراضي المراعي، وأراضي فلاحية بورية وأخرى سقوية بها أجنة ونخيل وعيون الماء (من الأبيض سيدي الشيخ إلى وادي الناموس..)

- ضياع الممتلكات العقارية والثروات الحيوانية أثناء الحملات العسكرية.

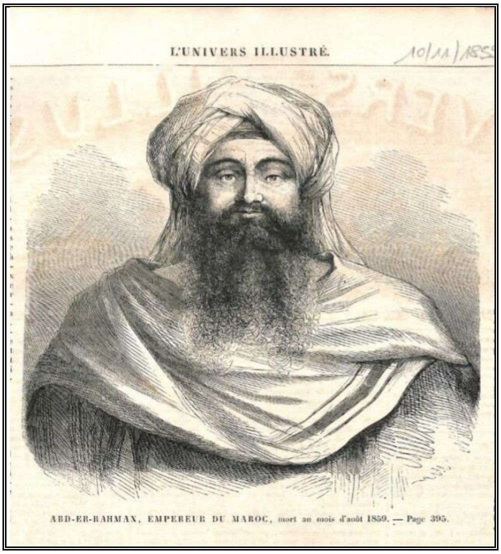
- الضغوط على السلطة المغربية من أجل التضييق على المقاومة بشتى الطرق منها منع دخول الأسواق، والترحيل الجماعي القسري، والسجن الفردي والجماعي داخل المغرب. زيادة على تعرض بعضهم للسجن بالمعتقلات الفرنسية بجزيرة كورسيكا.

- الاحتجاز الجماعي داخل معسكرات (سطيف وفرندة ومعسكر ووهران..)

- الانتهاء بالتهجير القسري وما ترتب عنه من مشاكل وأضرار إنسانية مادية ومعنوية.

ملحقات

السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، سلطان المغرب يتدخل من أجل إطلاق سراح المستعبد الإفريقى فى أمريكا: عبد الرحمان بن إبراهيم بن سوري الفولانى الغينى.



السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام
(L'univers illustré du 10/11/1852)

"عبد الرحمان بن إبراهيم بن سوري كان أميراً مسلماً من غرب إفريقيا، ومن قبائل الفولاني التي كانت تسكن غينيا، أُسِرَ واقتيد عبداً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام 1828 أصدر الرئيس الأمريكي جون كوينسي آدمز وسكرتير الدولة هنري كلاي أمرا بتحريره بعد أن قضى 40 عاما في العبودية. اشتهر في التاريخ فيما بعد بلقب (أمير بين العبيد).

وُلد عبد الرحمان بن إبراهيم سوري سنة 1762 في مدينة تومبو في غينيا وكان ينتمي إلى قبائل الفولاني، تلقى تعليما إسلاميا تقليديا في مدينة تمبكتو في مالي، ثم انظم الى الجيش الذي كان والده أميرا عليه، وترقى فيه حتى أصبح قائد كتيبة قوامها 2000 مقاتل.

بعد معركة مع قبائل محلية تَمَّ أسره وبيعه الى تجار الرقيق حوالي عام 1788 حيث كان في السادسة والعشرين من عمره.

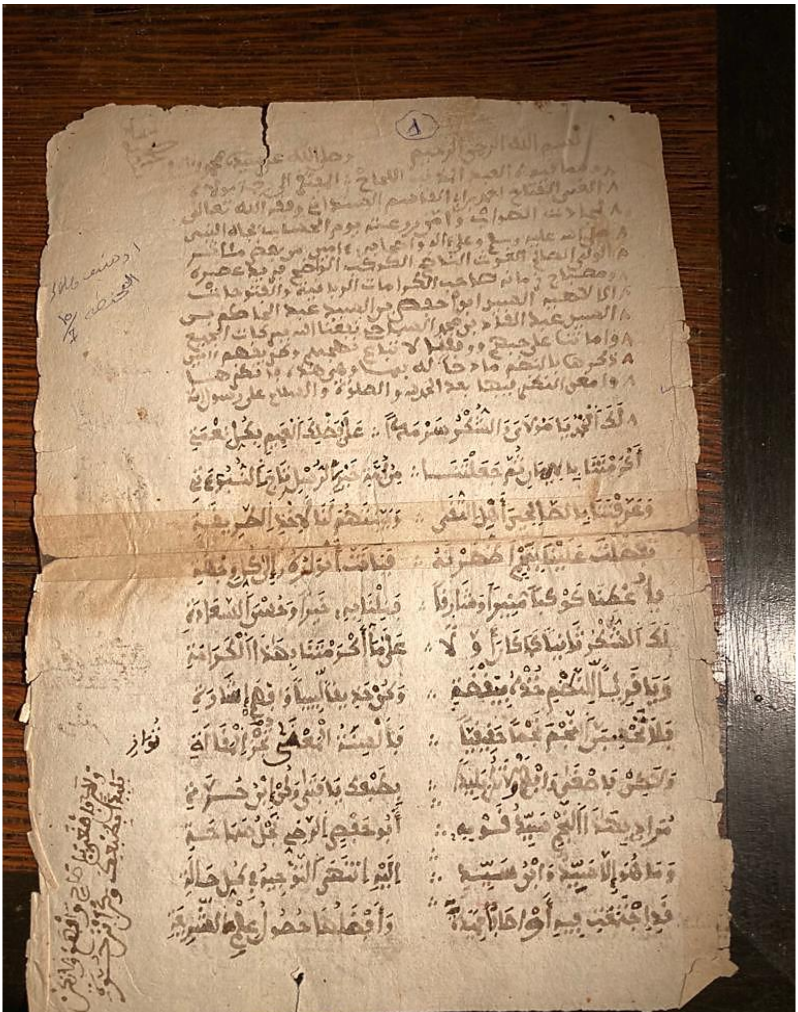
نظراً لمعرفته السابقة بالزراعة أصبح عبد الرحمان المشرف على زراعة القطن لدى سيده، وتزوج إيزابيلا التي كانت مملوكة لنفس السيد...

استمر سعي عبد الرحمان نحو عودته إلى إفريقيا، كتب خطابا إلى آندرو مارشاك وهو أحد معارفه الذي كان يعمل صحافيا.
أرسل آندرو نسخة - من خطاب عبد الرحمان - إلى السناتور توماس ربيد من الميسيسيبي فأرسلها السيناتور إلى سفارة الولايات المتحدة في المغرب، نظراً لإنها كُتبت بالعربية، فظن السيناتور أن كاتبها واحد من الموريسكيين.
وصلت الرسالة إلى سلطان المغرب (مولاي عبد الرحمان بن هشام) فطلب من الرئيس الأمريكي جون كوينسي آدمز، والوزير هنري كلاي، أن يُحررا عبد الرحمان. ووافق المالك أخيرا على تحريره بدون مقابل. على شرط أن يعود إلى إفريقيا ولا يبقى في الولايات المتحدة كرجل حر.
قبل مغادرة الولايات المتحدة زار عبد الرحمان وزوجته إيزابيلا عدة ولايات لجمع التبرعات لتحرير ابنائهما من العبودية، واستخدما في ذلك الصحافة والمؤتمرات وجهود بعض السياسيين...
بعد عشرة شهورجمع الزوجان نصف المبلغ المطلوب لتحرير ابنائهما التسعة، واضطرا الزوجان للسفرإلى مونروفيا عاصمة ليبيريا، وبعد أربعة أشهر أخرى، أصيب عبد الرحمان بالحمى وتوفي في سن السابعة والستين، دون أن يرى أولاده أو تيمبو(مسقط رأسه) أبداً.
عن ويكيبيديا (عبد الرحمان بن إبراهيم سوري)



عبد الرحمان بن إبراهيم سوري االفولاني الغيني.
(ويكيبيديا)

قصيدة في مدح الشيخ أبى حفص الحاج وهو الشيخ الرابع فى الطريقة الشيخية، وهو الجد الخامس للمجاهد الشيخ بن الطيب.





قصيدة من نظم المسمى أحمد بن أبي القاسم السنداني، يظهر من نسبته إلى السندان أنه من قبيلة حميان، ومن فرقة السندان، وهم معروفون في المشرية ونواحيها، بالجنوب الجزائري، يمدح الشاعرُ في قصيدته العارفَ بالله الشيخَ أبا حفص الحاج[475] بن عبد الحكم بن الشيخ عبد القادر السماحي (المشهور بسيدي الشيخ).

والشيخ أبوحفص الحاج هو حفيد مؤسس الطريقة الشيخية ورابع شيوخ الطريقة بعد مؤسسها.

من خلال أبيات القصيدة يتبين أن الشاعر كان معاصرا للشيخ أبي حفص الحاج، وكان من مريديه، إلا أننا لم نتوصل من مالك الوثيقة الأستاذ العربي الهلالي، إلا بصفحتيْن، والظاهر من سياق القصيدة أن البقية منها مفقودة.

نص الوثيقة:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وفيما قيده العبد المذنب اللحاح، المفتقر إلى رحمة مولاه الغني الفتاح، أحمد بن أبي القاسم السنداني، وفقه الله تعالى لجادت(جادة) الصواب، وأمَّن روعته يوم الحساب، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه آمين، من بعض مآثر الولي الصالح، الغوث الناصح، الكوكب الواضح، فريد عصره، ومصباح زمانه، صاحب الكرامات الربانية، والفتوحات الإلاهية، السيد أبوحفص بن السيد عبد

475 محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ، ص101 (https://archive.org/details/20190904_20190904_2337/mode/1up)

الحاكم بن السيد عبد القادر بن محمد السماحي، نفعنا الله ببركات الجميع، وأماتنا على حبهم، ووفقنا لاتباع نهجهم وطريقهم آمين.
ذكرها بالنظم مادحا له بها وهي هذه فانظرها وأمعن النظر فيها، بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

(القصيدة كما يظهر من متنها تحتاج إلى تحقيق، يوضح الأخطاء اللغوية والإملائية والعروضية، التي تركناها على أصلها.)

لك الحمد يا مولاي والشكر سرمدا
على فضلك العميم بكل نعمـــــــــة
أكرمتنا بالإيمان ثم جعلتنـــــــــا
من أمة خير الرسل تـــاج النبوءة
وعرفتنا بالصالحين أهل التقــــى
وبينتهم لنا لأخــــــــــــذ الطريقة
تفضلت علينا بنجم أظهرتـــــــــه
فبانت أنواره إلـــــــــــى كل وجهة
فأعطنا كوكبا منيرا وشارقـــــــا
فنلنا به خيـــــــرا وحسن السعادة
لك الشكر ثانيا كما كــــــان أولا
على ما أكرمتنــــــــا بهذا الكرامة
ويا قارئا للنظم خذه بيقظـــــــة
وكن حذيقا لبيبـــــا وافهم إشارتي
فلا تحسبن النجم نجما حقيقيـــا
فألسنة المعنــــــــى توازي المقالة

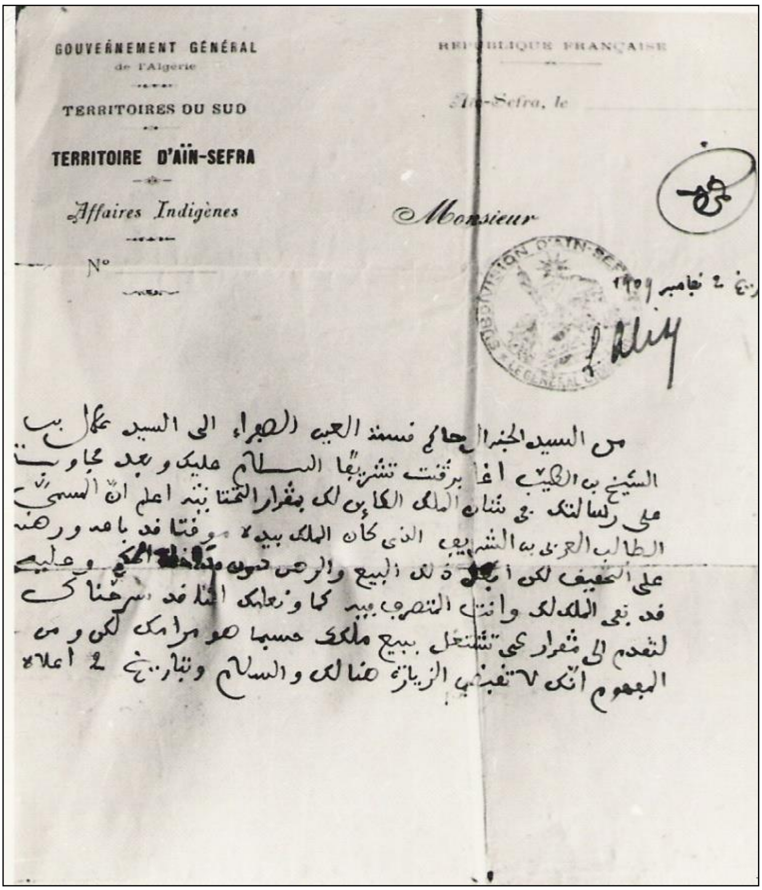
ولكن فاصغى وافهم ولا تك بليــدا
بطبعك يا فتـــــــى وكن ابن حرة
مرادي بهذا النجم سيد قومـــــه
أبو حفص الرضـــي نجل السماحة
وما هو إلا سيد وابن سيـــــد
إليه انتهى التوجيـــــه في كل حالة
قد اجتمعت فيه أوصاف حميــدة
وأفضلها حصــــــول علم الشريعة
قد ارتقى منزلا شريفا مشرفــــا
وعرفه المولـــــــــى بعلم الحقيقة
فأظهره فضلا لنفع عبـــــاده
وأبرزه حقـــــــــا لبذل النصيحة
وورَّثه علما وحلما وأدبـــــا
وجعله كهفـــــــــا منيعا فخذ نعتي
وألبسه ذكرا من العز والتقـــى
ووفر حقـــــــــــه من كل مرية
مجيب لمن دعاه حتما يجيبـــه
ولو كان صبيــــــا من قبل الحلومة
أمده بالسخاء من غير منــــة
فبنده منصـــــــوب لأجل الضيافة
فإطعامه للضيف ذلك دأبــــه
وعادته الحسنـــــــــى إثار البرارة
وطبعه قيرالضيف دأبا وسرمدا
وذلك شأنـــــــــــه مرور الأزمنة
مطيعا لربه منيبا ومخلصـــا
شغولا بما يعنيــــــــه في كل ساعة

وبالصوم والقيام دأبـــــه عــادة
معافا من الريــــــــــا كذا والمباهة
فأحواله تهـــــــدي وأقواله تغني
وفيـــــــه توفـــــرت شروط الولاية
وقد صار وارثا بنهج أجـــــداده
وآباءه الأخيـــــــــــــار أهل العناية
هدى به الله قومــــا بعد ضلالهم
فتابوا ورجعـــــــــــوا لسبل السلامة
وندبهم للحق فانتدبـــوا لـــــه
ولقنهم بالذكـــــــــــر فازوا بالطاعة
فهذا هو الإمام ان كنت صادقـــــا
فقلده تظفـــــــر باقصـــــــى الذخيرة
ولا تصغى لحسود جاءك مغتبـــا
كـــــذوب ومفتـــــــر شنيـــع المقالة
فمن عادة المولى الكريم في خلقــه
ولا بد من حســــــــــــــود لكل نعمة
ولكن همم العارفيـــــــن بربهم
فلا تقـــــــدح بسبِّ أهـــــــل التعنت
ألا ترى أن البحر لا يتغيــــــــر
ولو ألقيت فيـــــــــه جميـــع القذارة
فعوذته بالله من شر خلقـــــــه
وحصنتـــــــــه به من أهـــــل الإذاية
ويا رب يا وهاب ثبت عقيبـــــه
وكن لهم حافظـــــــــــا من كل بلية
ووفقهم للخير يقفون نهجـــــه
وورثهم علما مشوبــــــــــا بخشية...

بعض الوثائق التى تثبت ممتلكات الشيخ بن الطيب فى قصور تيوت وأمقرار والشلالة

–

أم قرار



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
de l'Algérie

TERRITOIRES DU SUD

TERRITOIRE D'AÏN-SEFRA

Affaires Indigènes

N°

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Aïn-Sefra, le

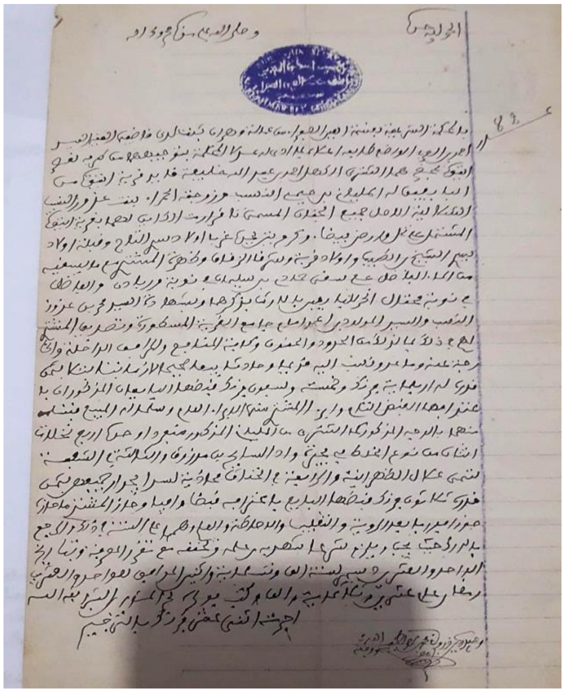
Monsieur

بتاريخ 2 نوامبر 1909

من السيد الجنرال حاكم قسمة العين الصفراء الى السيد علال بن
الشيخ بن الطيب آغا برقنت تشريفا السلام عليك وبعد جوابا
على رسالتك في شأن الملك الكائن لك بقرار التحتانية اعلم ان المسمى
الطالب العربي بن الشريف الذي كان الملك بيده موقتا قد باعه ورهنه
على الضعيف لكن ابطل ذلك البيع والرهن بدون مداخلة الحكم وعليه
قد بقي الملك لك وانت المتصرف فيه كما ونعلمك اننا قد سرحنا لك
لتقدم الى قرار كي تشتغل ببيع ملكك حسبما هو مرادك لكن ومن
المعلوم انك لا تقضي الزيارة هنالك والسلام وبتاريخ 2 اعلاه

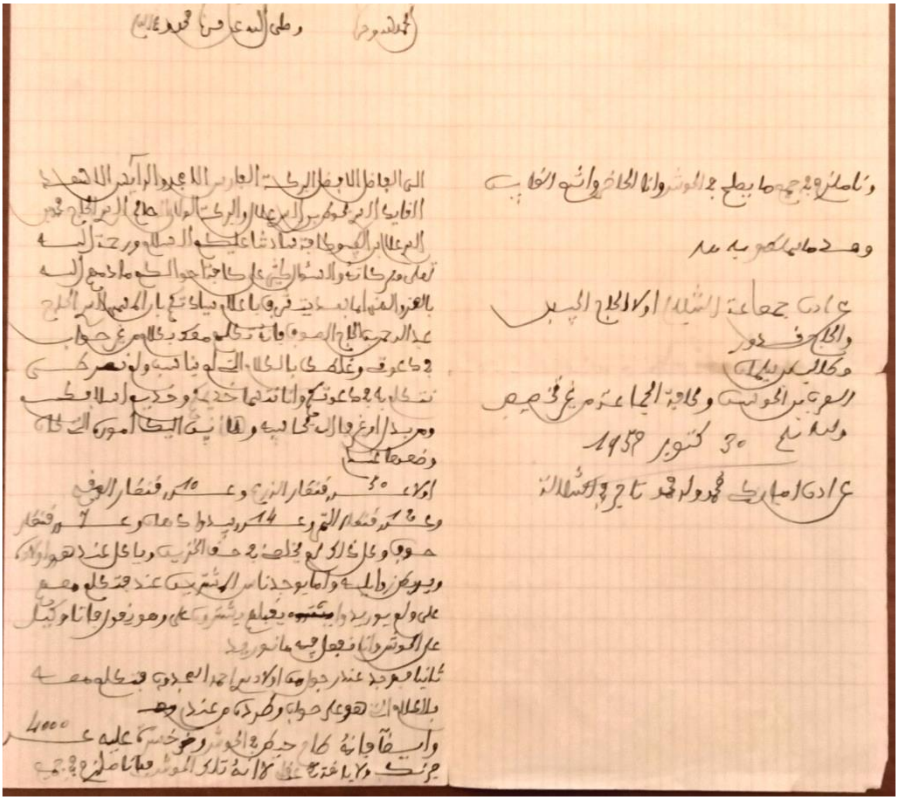
سبقت الإشارة إلى هذه الرسالة التي تثبت ممتلكات الشيخ بن الطيب في أم قرار
في مراسلة علال بن الشيخ بن الطيب
للجنرال حاكم العين الصفراء
مؤرخة في 2 نوفمبر 1909

تيوت



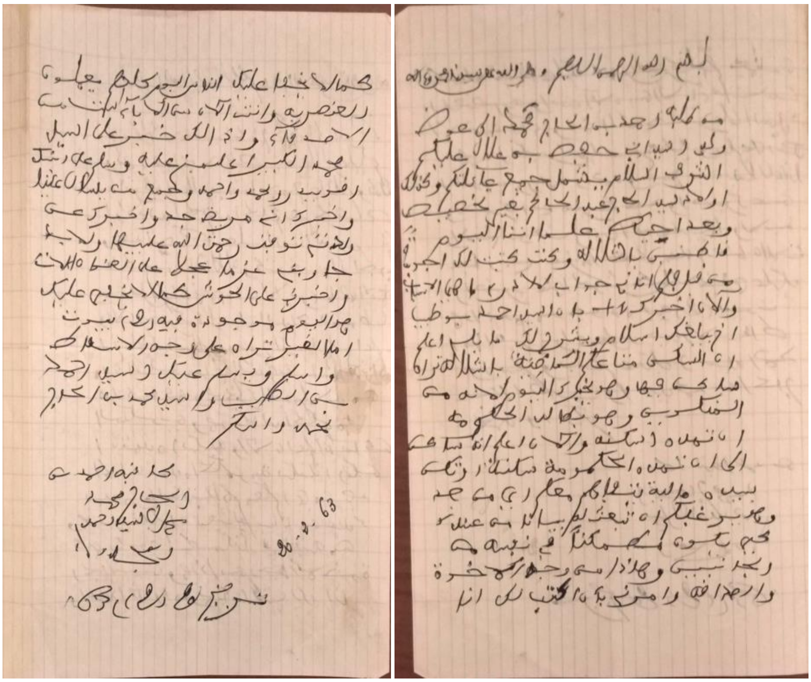
شهادة عدلية مؤرخة (في 21 دجمبر 1902/الموافق لـ 21 رمضان 1320) صدرت من محكمة العين الصفراء حول شراء أحمد بن عبد الله خليفة قائد تيوت للجنان المسمى تاقرارت الكائن بقرية تيوت من المسمى اليماني بن حيمي وزوجته الحمراء بنت عزوز، وتذكر الشهادة جوار هذا الجنان من الجهة الشرقية (القبلة) لملك أولاد سيدي الشيخ بن الطيب. (الوثيقة في ملك أ. الشريف بنواز)

الشلالة الظهرانية



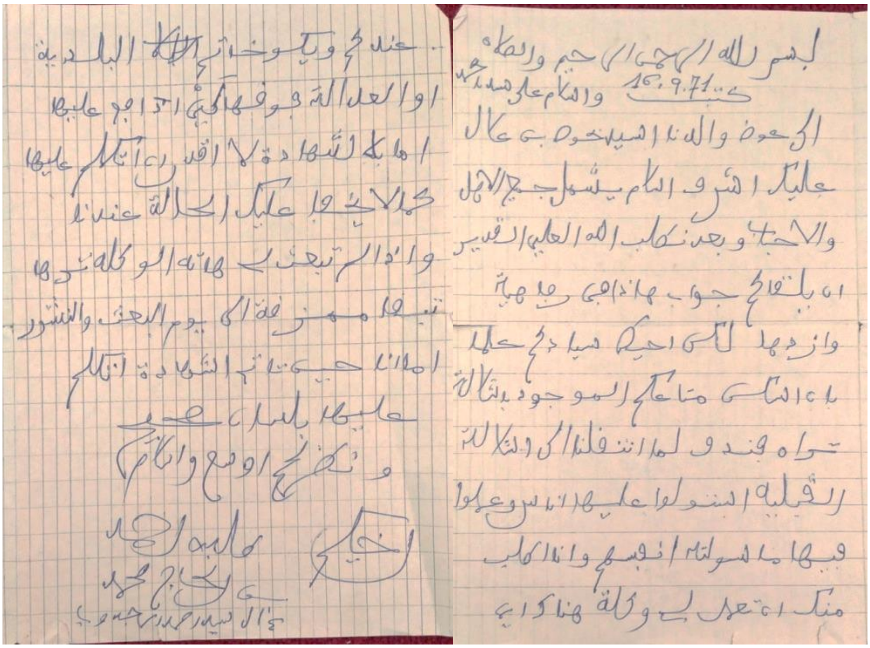
رسالة مؤرخة في 30 أكتوبر 1952 بعثها أمباركي محمد ولد محمد تاجر بالشلالة، الذي كان وكيلا لأولاد سيدي الشيخ بن الطيب عن أملاكهم بالشلالة، وهي عبارة عن دور وجنانات وأراضي فلاحية وعين ماء والمرافق التابعة لذلك، وكاتب الرسالة يشتكي من تدخل عبد الرحمان بن الحاج الصوف وهو من أقارب أصحاب الملك.

الشلالة الظهرانية



رسالة مؤرخة في 20 فبراير 1963 من كاتبها طلبة أحمد بن الحاج امحمد المجدوبي، الذي وكله الحاج بحوص بن علال كبير عائلة الشيخ بن الطيب للسهر على أملاكهم بالشلالة الظهرانية، إذ لم يعد الوكيل السابق امباركي محمد بن محمد تاجر بالشلالة حاضرا، وصاحب الرسالة أحمد المجدوبي، هاجر من الجزائر إلى المغرب ما بين 1958-1959 إبان حرب التحرير، وكان منخرطا في جبهة التحرير، ووقع بينه وبين المسؤولين خلاف حول التسيير، فاتهم في انتمائه وانضباطه وسجن في المركز الحدودي بعين بني مطهر، فاستنجد بالحاج بحوص بن علال (قائد سابق لأولاد سيدي عبد الحكم وشيخ زاوية) الذي كان صديقا لوالده الحاج امحمد المجدوبي، فتوسط لدى سلطة جيش التحرير، فأطلق سراحه واستقر في مخيم اللاجئين الجزائريين بناحية عين بني مطهر معلما للصبيان. وكان يقضي أغلب أوقات فراغه بالزاوية الشيخية عند الحاج بحوص بن علال. ولما كان يتهيأ للرجوع إلى الجزائر عند أعلان استقلالها، وكَّله الحاج بحوص ـ بصفته كبير العائلة وشيخ الزاوية ـ على السهر على أملاك جدهم الشيخ بن الطيب بالشلالة الظهرانية، وكان أحمد المجدوبي مستقرا بالشلالة القبلية، ولا تفصل بين الشلالتين إلا ما يقرب من ثلاثة كيلومترات.

الشلالة الظهرانية



الرسالة الثانية مؤرخة في 16 شتمبر1971 للمسمى: طُلْبة أحمد بن الحاج امحمد المجذوبي الذي كان وكيلا لأولاد سيدي الشيخ بن الطيب على أملاكهم بالشلالة الظهرانية، وفيها يطلب وكالة مكتوبة موقعة من الجهات الرسمية، ليستطيع إخراج أناس استولوا في غيبته على بعض الممتلكات التي كان وكيلا عليها.

المصادر والمراجع

أولا: العربية

1/ الكتب

* **إبن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي،** إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2008، خمسة أجزاء.
* **أبو العلاء إدريس،** الابتسام عن دولة ابن هشام، تحقيق مصطفى الشابي، المطبعة الملكية، المشور السعيد، الرباط، 2021م.
* **أبو القاسم سعد الله:**
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الرابع ، الطبعة الأولى 1996م طبع دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول، طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، الطبعة الثالثة.
* **أبو حفص الحاج بن عبد الحكم السماحي،** مفاتيح الخيرات، تحقيق عبد الله طواهريه، مطبعة الجسور، وجدة، 2009.
* **أحمد بن أبي بكر السكوني،** تقوية إيمان المحبين، تحقيق عبد الله طواهرية مطبعة الجسور وجدة، المغرب، (بدون تاريخ).
* **أحمد بن خالد الناصري،** الإستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء. المغرب 1997.
****أحمد بن عجيبة الحسني،** إيقاظ الهمم، في شرح الحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.
* **أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي،** السلالة البكرية الصديقية، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.(جزءان)
* **أحمد العماري،** توات، في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، من حوالي 1850-1902.
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1988.

* **أحمد غاني**، الشيخ في التراث الصوفي، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2014.
* **أحمد مزيان**، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء، 1988.
* **إسماعيل حمت**، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2010.
* **بداوي عبد الرحمان**، شموع المشرية، نسخة رقمية (خاصة) 2017.
* **بلحداد نورالدين**، السلطان مولاي الحسن الأول والسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية، 1873-1894، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2011.
* **بناصر بن عبد القادر جباري**، محطات في مسار الثقافة الفيجيجية حتى 2010، مطبعة الجسور، وجدة، 2012.
* **بولنوار العربي**، معاهدة لالة مغنية 18مارس 1845، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية (مرقونة) إعداد الطالب بولنوار العربي، جامعة الحسن الثاني كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، شعبة القانون العام، الدار البيضاء (بدون تاريخ).
* **تشرشل شارل هانري**، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله، طبع الدار التونسية للنشر، تونس 1974.
* **جاك فريمو**، فرنسا والإسلام من نابوليون إلى متيران، ترجمة هاشم صالح، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، ليماسول، قبرص.1991.
* **جامعة إبن زهر**، ندوة "المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955 الجذور والتجليات"، منشورات كلية لآداب والعلوم الإنسانية أكادير، طبعة الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1997.
* **جمال يحياوي**، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، مطبعة دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
* **خالد بن الصغير**،المغرب في الأرشيف البريطاني،دار النشر ولادة،الدار البيضاء،1990.
* **خليفة بن عمارة**، سيرة البوبكرية (الجزء الثاني) ترجمة بوداود عمير، مطبعة جودي مسعود، وهران، 2011.
* **خير الدين الزركلي**، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002.

* **ديبكودي طوريس**، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة سلا، المغرب. 1988م.
* **سكيرج أحمد بن العياشي**، رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المطبعة المهدية، تطوان 1971.
* **شوقي أبو خليل**، وادي المخازن، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988.
* **عباس بن إبراهيم السملالي**، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 (10 أجزاء).
* **عبد الباقي مفتاح**، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، دار الكتب العلمية، بيروت.2009.
* **عبد الحق المريني:**
ـ الجيش المغربي عبر التاريخ، الطبعة الخامسة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997.
ـ محطات في تاريخ المغرب المعاصر، 1894-1956، منشورات الزمن، 2012.
* **عبد الحميد زوزو**، ثورة بوعمامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
* **عبد الجليل التميمي**، تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، السلسلة 4: تاريخ الموريسكيين الأندلسيين.رقم 29. منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية. منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري/شباط 2011.
* **عبد الرحمان بن محمد الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، في جزئين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1384هـ/ 1965م.
* **عبد السلام الغرميني**، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري طبع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 1420هـ/2000.
* **عبد العزيز بنعبد الله**، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1975م (4 أجزاء).
* **عبد القادر عيسى**، حقائق عن التصوف، الطبعة السادسة عشر، دار العرفان، حلب ، سوريا، 2007.

* **عبد الكريم كريم**، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط المملكة المغربية، الطبعة الثالثة، 1427 هـ/2006.
* **عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح**، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، مطبعة دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1996.
***عبد الله حمادي الإدريسي**،
- السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد بن أبي محلي مهدي وادي الساورة، 2 أجزاء، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2019.
- الاستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2018.
* **عبد الله طواهريه**
- معجم الأعلام البكريين الصديقيين، منشورات دار الأديب، وهران الجزائر،2012.
- تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان، نسخة خاصة.
* **عبد المجيد القدوري**:
- ابن أبي محلي الفقيه الثائر، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، 1991.
- وقفات في تاريخ وجدة، تنسيق منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2001.
* **عبد الهادي التازي**، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مطبعة المعارف الجديدة الرباط المغرب، 1422هـ/2001م. 3(اجزاء).
* **عبد الوهاب بن منصور**:
- الوثائق، من إصدار مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية، الرباط، 1978.
- أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، 1979، الرباط.
* **العربي المشرفي الراشدي أبو حامد**، نزهة الأبصار، لذوي المعرفة والإستبصار، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، تحقيق ذ. مولاي الزهيد العلوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر سنة 2020.
* **العربي هلالي**، فجيج، تاريخ وثائق ومعالم، المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج، المطابع المغربية والدولية، طنجة،ط 1 /1981.

* **العربي الهلالي، ومحمد بوزيان بنعلي**، فجيج والمخزن، في عهد الحسن الأول(1873-1894).سلسلة تراث فجيج رقم 16، مطبعة الجسور، الطبعة الأولى، وجدة، 2017.
* **عكاشة برحاب:**
- المغرب وفرنسا، 1901-1907، مطبعة الرباط نيت، 2007.
- المغرب والجزائر، تاريخ جوار صعب، مطابع الرباط نت، 2015.
- من الذاكرة المحلية المغربية، نموذج الجهة الشرقية، الطباعة: دار القلم الرباط ،2017. (في جزئين).
- السلطان والثائر الفتان، دار القلم، الرباط، 2018.
- السلطان والزعامات المحلية في مناطق الحدود، حالة الشيخ بوعمامة في مطلع القرن العشرين، دار القلم، الرباط، 2019.
* **علال الفاسي**، معركة وادي المخازن، مشورات مؤسسة علال الفاسي، الطبعة الثانية، 2014.
* **علي بن عبد السلام التسولي** "مديديش"، أجوبة الفقيه على أسئلة الأمير، تحقيق وتعليق محمد البنعيادي، ط 2، مطبعة وراقة بلال، فاس، 2016.
* **عمر رضا كحالة**، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993.
* **قدور الورطاسي**، بنو زناسن عبر الكفاح الوطني، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1976/1396.
* **مجموعة من الأساتذة**، معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1411، هـ/1989م، (27 جزء).
* **مجموعة من الأساتذة**، منار الإجتماعيات، كتاب التلميذ والتلميذة، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، مطبعة (توب إيديسيون) Top édition 2017.
* **المحفوظ أسمهر**، تاريخ الإستعمار والمقاومة بالبادية المغربية خلال القرن العشرين، نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، ومراجعة علي بنطا
لب. الرباط، 2010.
* **مديرية الوثائق الملكية**، الوثائق، الأعداد من 1 إلى 7، المطبعة الملكية، الرباط. 1989.
* **محمد ابن الطيب البوشيخي**، أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة، التصوف والجهاد والسياسة، الطبعة الثالثة، مطبعة أطلال، وجدة، 2013.

* **محمد الأمين بلغيث**، تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ط 4، طبع البصائر الجديدة، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
* **محمد بلمعمر**، الشيخ سيدي الحاج عبد الحاكم سلفه وخلفه، مطبعة مغرب إشهار، الدار البيضاء، 2018.
* **محمد بن الأمير عبد القادر**، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الاسكندرية، 1903.
* **محمد بن عبد الوهاب الغساني**،رحلة الوزير في افتكاك الأسير،حقيق وتقديم عبد الرحيم بنحادة، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو، اليابان، 2005.
* **محمد بن عبد الله الصفار الأندلسي التطواني**، رحلة الصفار إلى فرنسا 1845-1846، حققها وقدم لها د.سوزان جليزن ميلر، عربها وشارك في التحقيق خالد بن الصغير، طبع دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان، 2007.
* **محمد بن سليمان الصائم التلمساني (الجزولي)**، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين، تقديم وتحقيق، قيداري قويدر، رسالة لنيل شهادة الدكتورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2012-2013.
* **محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي**، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، جزءان، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005.
* **محمد بوزيان بنعلي**:
- فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي،مطبعة الجسور،وجدة، 2000.
- بيوتات العلم والأدب بفجيج، مطبعة الجسور، وجدة،2002.
- فجيج في عهد السعديين، مطبعة الجسور، وجدة، 2005.
- روضة السلوان، مطبعة الجسور، وجدة، 2010.
* **محمد بوزيان بنعلي والعربي الهلالي**:
- ديوان القندوسيين، مطبعة الجسور،وجدة 2018.
* **محمد بوكبوط**، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار(1880-1838)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005.
* **محمد حجي**:

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الأول، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.سلسلة التاريخ(2)مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب أبريل 1977.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين الجزء الثاني منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.سلسلة التاريخ (2) مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب منتصف شوال 1398هـ/شتنبر 1978م.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1409هـ/1988.
* **محمد حسن العيدروس**، العصر الأندلسي، خروج العرب من الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2012.
* **محمد حوتية**، توات والأزواد، في جزءين: طبعة دار الكتاب العربي، الجزائر 2007.
***محمد العربي الزبيري**،تاريخ الجزائر المعاصر،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999.
***محمد الصالح بجاوي**، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي، مذكرة ماجيستير في التاريخ، 2005-2006. دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر(http://archive.org)
* **محمد القبلي**، تاريخ المغرب، تحيين وتركيب، إشراف وتقديم منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الطبعة الأولى، الرباط المغرب.2011.
* **محمد كنبيب**، المحميون، سلسلة بحوث ودراسات رقم 47، طبع دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.
* **مصطفى الشابي**، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.
* **مولاي التهامي غيتاوي**، لفت الأنظار،إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار، بولاية أدرار، إبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011.
* **مولاي عبد الحميد اسماعيلي**، تاريخ وجدة وأنكاد، أربعة أجزاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989.
* **مولاي عبد الرحمان بن زيدان**، العز والصولة في معالم نظم الدولة، جزءان، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب 1381هـ/1961.
* **نجادي محمد مقران**، شهادة ضابط من المصالح السرية للثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

* **لخضر بورقعة،** مذكرات الرائد السي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 2000.
* **يلماز أوزتونا،** تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سلمان ومحمود الأنصاري، 2أجزاء، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، 1988.
* **يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي،** رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، حقق نصها وقدم لها وعلق عليها: إبراهيم السمرائي وعبد الله محمد الحبشي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

__2/ المجلات__:

* **الإشارة،** مجلة شهرية تعنى بالشأن الصوفي، غشت 2001
* **الدراسات الإسلامية،** مجلة دورية محكمة، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى (الجزائر) المجلد 23 العدد 1، شوال1444 هـ / ماي 2023.
* **دعوة الحق،** مجلة تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.عدد 36 وعدد 338 وعدد 418.
* **قوت القلوب،** مجلة تصدر عن مركز الإمام الجنيد، للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة بالرابطة المحمدية للعلماء، عدد مزدوج 5-6، شوال 1436/غشت2015.
* **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية،** المجلد 13، العدد 1، السنة 2022 (تصدرها جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر)
* **مجلة دراسات تاريخية** العدد117-118 يونيو 2012، مقالة تحت عنوان: دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية وتناقضاتها "تحفة الزائر ومآثرالأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" أنموذجا للدراسة، طبع لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق.

__3/ الجرائد__

جريدة المساء، عدد 3088، السبت/الأحد يومي 2016/9/18/17.

4/ **__المواقع الالكترونية__**

ـ الشيخ بن الطيب البوشيخي البكري

https:// ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A
ـ سليمان بن قدور البوشيخي البكري
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/D8%B3%D9%84%D9%8A%
ـ الشريف بنواز، مداخلة في ندوة "حوار سيدي سليمان بن أبي سماحة مع علماء وادي مزاب من خلال وثائق جديدة"
https://youtu.be/POFDZy71K7km00

ثانيا : الفرنسية

1/ الكتب

* **Achille Fillias** L'expédition de l'oued-guir 1870, éditeur imprimerie de A. Bouyer (Alger) 1880.
* **Ahmed Bouyerdene et Eric Geoffroy et Setty G. Simon-Khedis** : Abdelkader,un spirituel dans la modernité, Presse de l'Ifpo, Damas 2012.
* **Alexandre Decamps**, Le Maroc en face de l'Europe, imprimerie Lacour et Ce, Paris 1849.
* **Allal El Fassi**, livre rouge, éditions et impressions Bouregreg, Rabat, 2014.
* **Amaudru Noêl**, Sultane française au Maroc, Librairie Plon, Plon-Nourrit et Campagnie, imprimeurs-éditeurs, paris 1906.
* **Augustin Guillaume**, les berbéres marocains et la pacification de l'atlas central, édition R. Julliard, 1946
* **Azan Paul**, Sidi brahim, édition P. Horizons de France, 1945.
* **Bigot Charles**, Gloires et souvenirs militaires, (1840-1893) (gallica.bnf.fr)
* **Bruno Etienne**, Abdelkader, isthme des isthmes, librairie Arthème Fayard/Pluriel, Paris, 2010.
* **Bruno Etienne et François Pouillon**, Abelkader, le magnanime, Gallimard, Paris, 2003.

* **Bugeaud**, Maréchal, bataille d'Isly, revue des deux- mondes, 1°mars 1845.
* **Bugeaud, Thomas-Robert**, Relation de la bataille d'isly, imprimerie du gouvernement, Alger, 1845.
* **Cheikh Si Hamza Boubakeur**, Un soufi Sidi Cheikh, édition Maisonneuve et Larose, Imprimerie A. Bontemps, Limoges, Paris, 1990.
* **Daumas Eugéne**, Le sahara Algerien, Langlois et Leclercq, Paris, 1845, gallica.bnf.fr
* **De La Martinière (H.-M.-P.) et N.Lacroix**, Documents pour servir à l'étude du nord ouest africain(DPSENOA), réunie et rédigé par ordre de Jules Cambon gouverneur Général de l'Algérie, imprimé par Maison L.Danel, Lille, 1896.
* **Dezobry et Bachelet**, Supplément au dictionnaire général de biographie et d'histoire, Librairie Ch. Delagrave, Paris, 1902.
* **Djilali Sari**, l'insurèction de 1881-1882, société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1981.
* **Dr A. Marcet**, Le Maroc, voyage d'une mission française à la cour du sultan, E.Plon, Nourrit et Cis, imprimeurs-Editeurs, Paris, 1885.
* **Dr Félix Jacquot**, Expédition du général Cavaignac, librairie-éditeur : Gide et Baudry, Paris. 1949.
* **Emily Keene**, Histoire de ma vie, Traduction, préface et annotations, Pr. Mohammed Sâad Zemmouri. Présentation, annotations, traductions annexes et documentation, Pr. Sidi Mohamed El Yamlahi Ouazzani, imprimerie Altopresse, Tanger (Maroc), Août 2008. 2ème édition.
* **F. Gourgeot.Challamel Ainé**, situation politique de l'Algerie, Editeur librairie Algerienne et coloniale ; Paris 1881.
* **Gagne Jacques**, Nation et nationalisme au Maroc, Imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, 1988.
* **Gaquière**, Berguent (Ras-el-Ain), BTSGAO (bulletin de la société de geographie et d'archéologie d'Oran) 1er et 2eme trimestre, 1913.
* **Georges Yver**, Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839), Typographie Adolphe Jourda, Alger, 1912.
* **Girault Arture**, Principes de colonisation et de législation coloniale, tome II, librairie de la société du recueil général des lois et des arrèts, Paris, 1904.

* **Gourgeot F.**, Situation pilitique de Algerie, Challamel Aine Editeur, Paris ; 1881.
* **Grandin Léonce** , Le Maréchal Pelissier, Duc de Malakoff, Editeur C.Paillart, (ABBEVILLE5), 1901.
* **H. Rozet (capitaine Breveté)**, Bataille d'isly. 14 aout 1844, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1895.
* **H. Andrieu**, Petite Histoire de l'Algérie, à l'usage des écoles primaires, imprimerie A. Legendre, éditeur, Meliana, 1894.
* **Henri jacob**, Le songe d'Abdelkader, poèmes, Gaffnay imprimeur grande rue, à Ingouville ; 1844.
* **Henry-Fréderic Faige-blanc**, Alpinus, Quelques pages sur Léon Roches, imprimerie Allier fréres, Grenoble, 1898.
* **Jean Vial** (médecin capitaine), Le Maroc Héroique, librairie hachette, Paris, 1938.
* **Khelifa Benamara**, La saga des boubekria (T2), éditeur Librairie Djoudi Messaoud, Oran, 2011.
* **Kiva, (Paul Waché)**, en algerie, (souvenir) Geryville, imprimerie et librairie miltaire, Paris, 1892.
*** L. M.** Poème sur bataille d'isly, stances Typographie Lacrampe et campagnie, Paris 1844.
* **Lanier Lucien**, L'afrique, choix de léctures de géographie, librairie classique Eugène Belin, Paris, 1884.
* **Louis Bartou**, La bataille du Maroc, Librairie Ancienne Honoré champion, imprimerie F. Paillart, Abbeville.1919.
* **Louis Rinn**, Marabouts et Khouan, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger 1884.
* **M. Ed. Michaux-Bellaire**, Archives Marocaines, publication de la mission scientifique du Maroc, Volume XI N°1, par Ernest Leroux, Editeur, Paris 1907.
*** Marchand V.**, Vieux souvenirs d'un officier du génie, imprimerie de Siridot-carré, Dijon, 1898,
* **Mhammed Ben Rahhal**, A travèrs les Beni Snasen; Digitized by the Internet Archivein , with funding from University of Ottawa.2010.
* **Michel Antar**, Chevauchées d'un future Saint-cyrien, à travers les ksour et oasis oranais, collection Hetzel, Paris 1905.
* **Michel Lihoreau**, L'expédition Wimpffen à l'oued guir en 1870, d'apres les recherches de Michel Lihoreau; publié sous l'égide du

centre d’etudes sur l’histoire du sahara, Edition L’Harmattan, Paris, 1996.,
* **Mohamed Lakhssassi**, Le Maroc face à la France, 2 tomes, éd. Bouregreg, Rabat, 2009.
*** Mohamed Maazouzi**, Un demi-siècle pour l’integrité territoriale, imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, 2004.
* **Mordac (commandant)**, La guerre au Maroc, édition Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1908.
* **Niox**, (**commandant)** Algérie géographiephysique ; gallica (www.gallica.bnf.fr).
* **Noêl (capitaine)**, Documents historiques sur les tribus de l’annexe d’El-Aricha, bulletin de la société de géographie et d’archéologie d’Oran, 1919.
*** Ouled sidi cheikh** (sans auteur) Editeur Henri Charles-Lavauzelle, librairie militaire, Paris, 1891 (gallica.bnf.fr).
* **Paul Augustin Farochon**, Le Marechal Pélissier, duc de Malakoff, édité par Alfred Mame et fils, Tours, 1894.
* **Paul Laurencin**, nos Zouaves, historique, organisations, faits d’armes, Les régiments, vie intime, J.Rothschild éditeur, Paris 1888.
* **Relation de la bataille d’isly**, suivie du rapport de Mr le maréchal gouverneur-général, Imprimerie du gouvernement, p.26. (sans auteur et sans date). (www.gallica.bnf.fr)
* **Romagny (le capitaine Ch.)**, Mémento chronologique de l’histoire militaire de la France, éditeur militaire, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1894.
* **Said SAYAGH**, La France et les frontières Maroco-Algériennes 1873-1902. , Editions du centre national de la recherche scientifique. Paris 1986.
* **Sidi Mohamed El Yamlahi Ouazzani**, l’Alliance sacrée entre Dar El Makhzen et Dar Dmana, imprimerie Le journal de Tanger, 2019.
* **Trumelet Corneille** :
- Les français dans le désert. Editeur Garnier, Paris, 1863 .
- Histoire de l’insurrection des Ouled-sidi-ech-cheikh, (sud algerien) de 1864 a 1880, Adolphe Jourdan, librairie-éditeur, Alger, 1884.
* **V. Marchand**, Vieux souvenirs d’un officier du genie; imprimerie de Sirodot-carré, Dijon, 1898.

* **Voinot Louis** ; Oujda et l'amalat, Publication de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, 1912.

2/ المجلات

***La conquête de l'Algérie**, le gouvernement de Bugeaud, Revue des deux mondes. (www.gallica.bnf.fr)
***Questions diplomatiques et coloniales**, revue de politique éxterieure, tome III, 2eme année, Paris, 1898.
***Revue Africaine**, journal des travaux de la société historique algeriènne, ancienne Maison Bastide-Jourdan, 1918 ,N° 294 et N°302-303.
* **Revue Britannique**, sous la direction de M. Amedée Pichot, 4eme tome, Année 1875, Paris 1873.
* **Revue d'infanterie**, 27eme annéedu 15/1/1913 n°313.

3/الجرائد

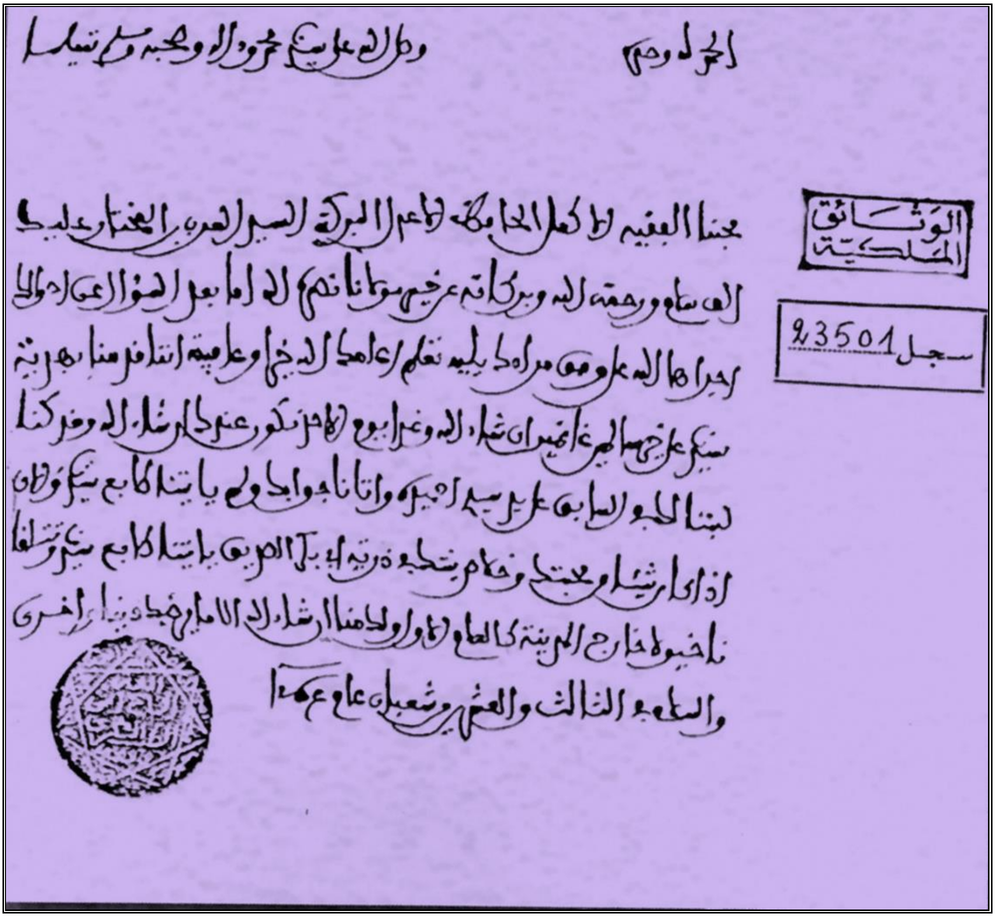
***La justice**, journal, du 16 juin 1883, N° 1248.
***la presse du samedi**, du 12 novembre 1881.
***Le journal de fourmies**, N°287 du jeudi 14 juillet 1881.
***Le monde illustré** (1857) N° 1276 du 10 septembre 1881.
***Le moniteur de la gendarmerie**, journal non politique, N°58 du dimanche 9 octobre 1881, Paris.
***Le progrès** (journal républicain radical) N°33, du jeudi 27/10/1881.
***Le rappel**, journal du 19 octobre 1881. Et du 16 juin 1883. N° 4845.
***Le temps**, journal, vendredi 25 fevrier 1892, N°11238, Paris.
***Le XIX siècle**, journal du vendredi 12 octobre 1883, N°4300. Et du 16 juin 1883, N° 4183.
***L'afrique,** journal de la colonisation française, du 2 au 6 juin 1845.
***l'illustration**, journal universel, hebdomadaire (entre 4/3/1843 et 19/8/1944).tome 1er (1843-1869).
***l'univers (journal)** édition semi-quotidiènne, N°5119 du 12/11/1881 et du 15 juin 1883, N° 5687.

فهرس المحتويات

فهرس الخرائط

فهرس الجداول

❊



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الوثائق الملكية

سجل 23501

رسالة الشيخ بن الطيب، خليفة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام على المناطق الجنوبية الشرقية المغربية، إلى العربي بن المختار، الحاجب الملكي، يشعره بقدومه إلى حضرة السلطان.

(مؤرخة في 23 شعبان 1264 هـ/ 25يوليوز 1848.)